

ترجمة: مصطفى عباس

ما خفي

مصر بين فاروق وناصر في الصحافة الأمريكية

دار العين للنشر

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مَا خَفِيَ

مصر.. بين فاروق وناصر

في الصحافة الأمريكية

د. أسامة حمدي

ترجمة: مصطفى عباس

عن الكتاب..

يتناول الكتاب سردًا مختلفا لفترة مهمة من تاريخ مصر، تمتد من تولي الملك فاروق عرش مصر، حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك من خلال ما كتب في الصحف العالمية وقت وقوع أحداث فارقة بتاريخها في الفترة المذكورة. يذكر أن الدكتور أسامة حمدي، هو أستاذ الأمراض الباطنة والسكر بجامعة هارفارد الأمريكية، ومهتم بالأدب والتاريخ المصري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



إهداءٌ..

«إلى أبائنا وأجدادكم، الذين عاصروا أحداث الكتاب، ولم ينقلوه كاملًا؛ أُكمل ما بدأتم، وأهديه لكم ولأبنائي وأحفادي، ولكل مصري يعشق بلده»

د. أسامة حمدي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



HGمقدمة..

قال ساخرًا وهو يتنبأ بنهايته: "لن يبقى بالعالم الا خمسة ملوك؛ ملك بريطانيا وملوك الكوتشينة الأربعة". وصدقت نبوءته على حكمه، وقال الآخر بعد أن تولى حكم مصر بعدة أيام من حركة الجيش المباركة، كما سميت وقتها: "ليس لنا مشكلة مع أى دين أو نحلة، فبإمكان اليهود والمسيحيين والمسلمين العيش معًا بسلام في مصر". وهو لا يعلم أن عزله من منصبه سيكون بسبب اتهامه بالارتباط مع جماعة الإخوان المسلمين.

قال الثالث قبل أن يتولى الرئاسة بعدة أشهر: "سأواصل الثورة حتى يتم اغتيالي!". وقد قامت بالفعل محاولات فاشلة لاغتياله. ملك ورئيسان على مدار 33 عامًا من حكم مصر من 1937 - 1970، قامت خلالهم أحداث جسام مثل الحرب العالمية الثانية، وموقعة العلمين التي غيرت مجرى الحرب، وحرب 1948، التي أججت المشاعر الوطنية، وحريق القاهرة الذي صدم الجميع، وجلاء المحتل الإنجليزي عن أرض مصر، وحرب السويس الضارية ضد ثلاث قوى معتدية على مصر، ووحدة عربية بآمال كبيرة، كادت يومًا أن تتحقق، تلاها انفصال مؤلم وحرب طالت في اليمن، وحرب 1967 المريرة، وحرب الاستنزاف الطاحنة لرد الكرامة. وانتهى الأمر بوفاة فاروق فجأة، في ظروف غامضة في إيطاليا، على حين عاش محمد نجيب في معزله الإجباري حتى وفاة عبد الناصر المفاجئة أيضًا بأزمة قلبية لم يتوقعها أحد، ليُسدل بذلك الستار على دراما سياسية واجتماعية ملتهبة لم يتوقع أي منهم أو منا نهايتها وعن حقبه مهمة من تاريخ بلدنا الحبيب كانت مليئة بالأحداث التى لا تزال تشكل وعينا وإدراكنا حتى الآن.

لكننا عشنا نسمع قصص الآباء والأجداد، كما أن بعضنا عاش جزءًا كبيرًا من هذه الاحداث ولا يزال يذكرها، ولكن بالتأكيد لم نعرف حتى الآن ماذا قالت عنا الصحافة الأمريكية في خضم هذه الأحداث وكيف علقت عليها في حينها؟

لقد عشت حياتي أعشق التاريخ، وكنت دائمًا ما أقول إن أعظم مصدر للحقيقة هو قراءة التاريخ حال حدوثه، فلا مجال وقتها للتغيير أو التأويل اللذين اعتاد عليهما الرواة، وأتقنهما كل مَن بنفسه هوى، كما أن التاريخ ليس وجهة نظر نفسر بها الأحداث أو نعلق عليها ونحللها من واقع فهمنا لها، فتغيب الحقيقة التاريخية أو تُنتقص.

وكانت إحدى هواياتي ولا تزال هى؛ اقتناء المجلات والصحف القديمة لأطلع فيها على الأحداث في وقتها وحال وقوعها حتى تجمَّع لدى عدد كبير من هذه الكنوز الغالية، أردت مشاركتكم فيها. وكان أكثر ما جمعت لاهتمامي

الشخصي كمصري، يعشق بلده هو المجلات والجرائد الأمريكية التي كتبت عن مصر وحكامها في وقتها.

ورغم معرفتي بتاريخ الأحداث فإن ما قرأت فيها كان مدهشًا لي، وربما ستراها أنت أيضا -عزيزي القارئ- مفاجئة كبيرة جدًّا ربما لم تكن تتوقعها. ومن المعروف أن كاتب الحوار أو المقال لا يكتبه للقارئ المصري المتعاطف، لكن يكتبه ويوضحه للقارئ الأمريكي، وهذا لا ينفي عنه الميل أو التحيز أو محاولة إثبات فكرة ما، ربما لا تروق للمصريين أمثالي. لكن أكثر ما أعجبني في هذة المقالات؛ أن كُتَّابها كانوا متحررين تمامًا من أى ضغط داخلي، ويبحثون من وجهة نظرهم عن الحقيقة في وقتها، لينقلوها لقرائهم في أمريكا كما شاهدوها. كما أن الحوارات التي أجريت وقتها مع حكام مصر في هذه الفترة كانت تمتاز بصراحة لم نعهدها -نحن- في الحوارات الداخلية والإعلام الموجه، الذي كانت له اعتبارات أخرى. وتبقى هذه المقالات -رغم جنسيتها- رأيًا خاصًا يعبر عن هوى كاتبه.

أعرف أن الكثير مما ستقرأ سيكون بمثابة المفاجأة لك، حين ترى الأحداث بغير ما رُويت لنا في الصحافة المصرية، وعلى شاشات التليفزيون، وربما بلون غير الذي ألفته واعتدت عليه. لذا فقد فضلت أن أنقل لكم وبلا تعليق أو تحليل مني هذه المقالات كما هى، والتي امتدت على مدار 33 سنة من حكم مصر. ولقد شجعني على ذلك الأخوان الفاضلان اللواء محمد يوسف عضو منتدى الأخبار للسياسات، والدكتور جمال يوسف، أستاذ العلوم السياسية وعضو المجلس المصري للشئون الخارجية، واللذان قدماني للزميل الفاضل الأستاذ مصطفى عباس، المترجم المخضرم بالأمم المتحدة، الذي قام بترجمة المقالات بكل أمانة ودقة، لنترك الحكم لك عزيزي القارئ دون تدخل منا. وتوجد لديّ ولدى "دار العين للنشر" صور المقالات الأصلية لمن يريد الاطلاع عليها باللغة الإنجليزية.

أعرف أنك إن بدأت في قراءة هذا الكتاب لن تتوقف حتى تنتهي منه، فمادته الشيقة وغير المألوفة تعيد لنا بعض أحداث التاريخ متحركًا وناطقًا وشارحًا. ولي رجاء أخير قبل أن تبدأ القراءة وهو؛ إفراغ عقلك تمامًا من أى قرار مسبق أو قناعة شخصية أو رأى خاص عن الحكام الثلاثة -رحمهم الله- وكن مؤهلًا لأن تسمع الجديد، وربما المدهش من واقع الأحداث التي عاشوها وتفاعلوا معها في وقتها، وبحكم زمنهم والظروف المحيطة بهم.

أتمنى أن يعجبكم ما أعددناه لكم في الصفحات التالية.

د. أسامة حمدي

صبي الكشافة يصبح مشيرًا

(مجلة التايم: ٩ أغسطس ١٩٣٧)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



9 أغسطس 1937

في الربيع الماضي حل ملك مصر، البالغ من العمر 18 عامًا ضيفًا، مجهول الهوية على مهرجان إنجلترا الكبير، للاحتفال بسباق التقاليد الراسخة وموسم التتويج. ومنذ أسبوعين عاد الملك فاروق الأول إلى القاهرة كي يُتوج رسميًّا ملكًا في احتفال لم يسبق له مثيل ولم يعهده أحد. ومنذ ما يقرب من 2000 سنة تُوفيت الملكة كليوبترا ذات الأنف الطويل الخلاب وأخر ملوك البطالمة. ومنذ ذلك الحين أضحت مصر إقليمًا من أقاليم الدولة الرومانية حتى عام 641 م، الذي وقعت فيه مصر في أيدي الإمبراطورية المحمدية (يقصد الفتح الإسلامي). وفي عام 1914، أصدر المكتب الحربي للإمبراطورية البريطانية المرسوم التالي: "نظرًا لحالة الحرب جراء ما قامت بها تركيا بانضمامها إلى ألمانيا والنمسا، ضد بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وروسيا، فإن مصر قد وُضعت تحت حماية صاحب الجلالة الملك جورج السادس ومن ثم ستكون من المحميات البريطانية. وبناءً عليه انتهت الولاية التركية على مصر. وعقب الحرب نصبت بريطانيا على عرش مصر السلطان فؤاد الأول، والد فاروق الملك الصبي الحالي، الذي لقب في أخريات أيامه بملك مصر" (مجلة التايم عدد 11 مايو 1936).

ومع ذلك قام وجهاء مصر الذين يمثلون 10 ملايين نسمة بتنصيب فاروق الأول، الذي مُنحَ بسطةً في الجسم، وقسطًا من الوسامة "أول عاهل لمصر الحديثة وملك للمملكة المصرية التليده".

وحيث إنه ليس لحكومة صاحب الجلالة سابق خبرة يُسْتدل بها، فإن التخطيط لهذا التتويج قام به رئيس الوزراء، قليل القد، بدين الجسم النحاس باشا، في اللحظة الأخيرة وعلى عجل. وكان النحاس يجري اتصالًا هاتفيًا من القاهرة إلى فيشي في فرنسا، بخبير البروتوكول الذي كان يعالج هناك ليقرر إن كان صاحب الجلالة سيرتدي التاج ذَا الرقائق الذهبية للملك توت عنخ آمون، الذي تم العثور عليه في السنوات الأخيرة. كانت هذه فكرة طيبة، إلا أن الولاة المسلمين لم يتوجوا قط، وكان النحاس يدرك أن الشعب المصري ليس له عهد بهذه الأمور في ظل الدولة العثمانية. ولحسن الحظ فإن مصر الحديثة كان في حوزتها سيف محمد علي، المرصع بالذهب، ومحمد علي، هو مؤسس الدولة المصرية الحالية، وهذا ما فكر فيه رئيس الوزراء. لكن هذا السيف التاريخي لم يتسن العثور عليه. وفي غيبة كلٍّ من التاج أو السيف، أمرت حكومة صاحب الجلالة أن يكون الموكب مؤلفًا من سيارات ليموزين شاهقة الاحمرار، ثم غيرت ذلك بتخصيص سيارة حمراء ناصعة لرئيس الوزراء وعربة ذهبية ناصعة للملك فاروق.

عاد فاروق لتوه من إجازته الأوربية في صحبة إخوته؛ فوزية وفايزة وفايقة وفتحية وأمه الملكة نازلي، "التي تفوق في أناقتها كليوباترا". كان والده الملك فؤاد يتفاءل كثيرًا بالأسماء التي تبدأ بحرف الفاء، ويرى المصريون اليوم فاروق أفضل الأسماء تيمنًا بالفاروق الذي فرق بين الحق والباطل.

دأبت العامة في بلاد الشرق على التهليل لسادتهم وأولياء النعم، وجن جنون القاهرة والإسكندرية بالملك فاروق في الأسبوع الماضي. وتكالب نحو 50000 من الشباب على شراء أقواس النصر والمراكب الورقية التي غطت شوارع القاهرة، ودفع لهم آباؤهم هذا بكل فخر. عّم اللون الأخضر جنبات البلاد، وهو اللون الأثير لدى المصريين، ففي كل مكان وضع علم مصر بلونه الأخضر والهلال الأبيض ونجمات ثلاث من نفس اللون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ملكة مصر (سنة 30 قبل الميلاد) وبعدها جاء الرومان

كانت صلة الملك فاروق بالرتب العسكرية حتى الأسبوع الماضي هي أنه رئيس صبية الكشافة في مصر. وبهذه الصفة تحدث إلى فتيان مصر وفتياتها من الكشافة وقال: "مهمتنا أن تكون جوارحنا رهن إرادتنا". وتم ترقية صاحب الجلالة من فتى كشافة إلى مشير، وارتدى زيًّا من الأحمر والأبيض والأخضر، وأمسك بصولجان المشير عوضًا عن العصا، واستقل العربة الخاصة به وسط المصريين الحفاة الذين يجرون على جانبي الطريق، والحرس الملكي الذين ارتدوا طرابيش حمراء وزيهم الأبيض والأزرق والذهبي.

اشتدت الحرارة في مصر، ووصلت إلى 104 درجة فهرنهايت، وهذا شديد الوطأة حتى على المصريين أنفسهم، وتحولت قاعة البرلمان إلى ما يشبه السونا، ولم تكن تسع إلا العائلة المالكة والنواب والشيوخ والدبلوماسيين. وفي هذه القاعة في العام الماضي وقف رئيس البرلمان ليطْلع الجميع على المظروف الذي كان يحوي وصية المرحوم الملك فؤاد التي كتبها قبل 13 سنة، وبها أسماء الثلاثة الذين ارتآهَم أوصياء على الملك الحالي حتى يبلغ سن الرشد. استعان قارئ الوصية بكشاف وعدسة مكبرة، ليعلن رسميًّا أن الشمع على المظروف سليم، ولم يُعبث به، وأخذ يفتح المظروف في خضم حالة من الترقب المتصاعد، وأخذ النواب والشيوخ يلقون نصائحهم بصوت عالٍ حتى صرح رئيس البرلمان أنه يصعب عليه فتحه فهمَّ أحد الشيوخ المتماسكين بفضه.

أحد الذين وقع الاختيار عليهم من الأوصياء كان قد وافته المنية، ولم يرق الاثنان الآخران لأعضاء البرلمان، وصوَّت البرلمان على الفور على تعيين ثلاثة آخرين كأوصياء. وأدي الوجهاء الثلاثة مهمتهم على خير وجه. وفي الأسبوع الماضي تم نقل هذه السلطات في البرلمان إلى الملك فاروق الأول، في حفل بسيط لحلف اليمن، شبيه بما يحدث في واشنطن، وقام صاحب الجلالة بأداء القسم على القرآن الكريم، بحضور وزير من الولايات المتحدة يدعى برت فيش، ويجلس في مقصورة الدبلوماسيين. "أتعهد أمام الله العلي القدير أني سألتزم بالدستور والقانون، وأحافظ على استقلال البلاد وسلامة أراضيها".

وفي اليوم التالي، ورغم استمرار حرارة القاهرة التي لا تطاق، اتجه الملك فاروق إلى الأحياء شديدة الفقر، وسط تهليل الناس بهدف الصلاة في المسجد الذي يرقد فيه والده. وفي اليوم الثالث عدلت حكومة صاحب

الجلالة البرنامج، وبكرت بزيارة المشير الملك عدة ساعات حتى يتسنى لجلالته تفقد الجيش المصري في الساعات الأقل حرارة عقب الفجر مباشرةً. وقد نصبت الحكومة مكبر صوت في الميادين العامة لكبرى المدن المصرية، ليتسنى للناس سماع صاحب الجلالة للمرة الأولى: "أهب نفسي خادمًا مخلصًا لبلدي، وأسدي الشكر إليكم جميعًا أنتم شعب مصر، وإلى كل الأجانب على ما أبديتموه من إخلاص حيال والدي وحيالي.

التزمت الحكومة البريطانية للمصريين، منذ أعلن وليم إيورت جلادستون، في مدينة نيو كاسل عام 1891، أن الاحتلال العسكري البريطاني لمصر مؤقت، وسوف ينتهي بالضرورة". وفي عام 1922، منحت بريطانيا مصر بمقتضى المعاهدة، وضع الدولة المستقلة ذات السيادة باستثاء السودان، وعلى أن تبقى المعسكرات الإنجليزية في أرجاء البلاد. وفي واقع الأمر أغدق بينيتو موسوليني الديكتاتور الكثير من المديح للمصريين وهو في طريقة إلى إثيوبيا (4 نوفمبر 1935) وهو الذي أقنع البريطانيين بأنه لو قدر لهم الاحتفاظ بالسيطرة الفاعلة على مصر، فإنهم ينبغي أن يقللوا من التدخل في الشئون المصرية. وبناءً عليه، وقع رئيس الوزراء النحاس وأنتوني إيدن في وزارة الخارجية البريطانية على معاهدة بين إنجلترا ومصر، صيغت على ورقة بيضاء ملفوفة بشريط أزرق (صحيفة التايم يوم 14 سبتمبر).

بما أن مصر كانت دولة مستقلة ذات سيادة، بمقتضى معاهدة 1922، فإن المعاهدة الجديدة معاهدة تحالف عسكري، الغرض منها أن نغدق على المصريين مشاعر التقدير من جانب بريطانيا باعتبارهم حلفاء، على قدم المساواة حيث إن بريطانيا ستحتفظ بقوات قوامها 10000 جندي في منطقة قناة السويس، ويكون للقاذفات البريطانية الحق في التحليق بحرية فوق أي مكان في مصر، كما يحق للقاذفات المصرية أن تحلق بحرية للمرة الأولى فوق إنجلترا (لدى إنجلترا 400 طائرة ومصر لديها 49 طائرة). وتحتفظ البحرية البريطانية بقاعدتها الدائمة في الإسكندرية، وتدفع إيجارها. بيد أنه يتعين على المصريين التعهد ببناء طرق سريعة إستراتيجية على نفقتهم، تبدأ من السويس بحيث يتسنى للقوات البرية المكانيكية البريطانية الإسراع إلى أي مكان في مصر في غضون ساعات. وما إن يتم بناء هذه الطرق حتى توافق بريطانيا على سحب ثكناتها الحالية في مصر، رغم أن النص الكامل للمادة 1 من المعاهدة كالتالي: "تم إنهاء الإحتلال العسكري لمصر من جانب قوات صاحب الجلالة ملك بريطانيا وإمبراطورها".

وعلى نفس المنوال، ورغم أن الملك الجديد فاروق قيم على السودان فإن السودان يحكمه في واقع الأمر الحاكم العام الذي سيظل بريطانيًّا ويدير

القوات البريطانية بمقتضى المعاهدة التي تدوم 20 عامًا، وتجدد حينئذ تلقائيًا عشرين عامًا أخرى.

في أحوال كهذه يتعين على ملك مصر حتى يتمكن من الحفاظ على عرشه، أن يتلقى تعليما وتربية كاللتين تلقاهما فاروق الأول الذي أشادت به الصحافة البريطانية أخيرًا حينما زار لندن وقالت عنه: "أأدب صبي في العالم"، حيث إنه في سن الرابعة حظي برعاية وتربية السيدة إينا نيلار، الأرملة الأيرلندية التي ظلت ترعاه حتى بلغ الخامسة عشرة من العمر، ووافق البرلمان المصري على تخصيص 80 ألف جنيه إسترليني للوفاء بمصروفات ولي العهد، وخاصته في السنة الأولى لتعليمه في بريطانيا. أقام الملك فاروق في دار كنري في منطقة كنجستون هيلز في ظل حراسة مصرية كبيرة، وسرعان ما ألفه الناس لطيب طباعة وتحدثوا عنه وسموُّه الأمير فريدي.

كان أخوات فاروق الأربع يرتدين في العادة ملابس المدارس الإنجليزية بضفيرة تتدلى على ظهورهن، أما الملكة نازلي فكانت تتفوق في التقاط الصور وتحميضها وطبعها، وهي سليلة قائد فرنسي لقواة التنين التي أخذها الإمبراطور نابليون إلى مصر، ويرث الملك فاروق من أجداده هؤلاء مظهر قوات التنين المعروفة، حيث إنه كان عريض المنكبين، مكتمل الصحة فاتح البشرة، وهذا ما يندر بين المصريين. وكان صاحب الجلالة -شأنه شأن من يجري العرق العربي فيهم- متميزًا في الحساب وحاذقًا له، وكان معه شخص يتذوق الطعام حتى لا يتعرض للتسمم، وهو رجلا إنجليزيًا أصلع الرأس قليل القد، وحاصل على إجازة في الصيدلة، وكان يعرف في مصر باسم إريك تتيرنجتون بيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



سير مايز و5.000.000 دولار (خمسة ملايين دولار)

كان السير مايز لامبيرت الذي لم يذكر اسمه في المراسلات على الإطلاق حتى الأسبوع الماضي، هو الحاكم الفعلي لمصر، وكان يشغل منصب المفوض السامي البريطاني في القاهرة، ثم أضحى السفير البريطاني بمجرد أن أصبحت مصر وإنجلترا "حليفتين" في الفترة الأخيرة.

كان سير مايز شخصية تعبر عما بقي من تقاليد العصر الفيكتوري الخاصة بعباءة الرجل الأبيض الذي يسعى إلى نشر السلام على الطريقة البريطانية، رغم أنف الناس الأخرين كالمصريين. ولا أحد تقريبًا يماري بأن سيطرة بريطانيا على مصر لمدة نصف قرن، وإن كانت قد خفتت بعض الشيء، هي التي ساعدت على التخلص من المحسوبية المتفشية في التاريخ المصري، ونشر معايير الإدارة السليمة كما حدث في السنوات الأربع عشرة من حكم الملك السابق فؤاد، التي اتسمت بتقدم ملموس في مصر يفوق ما حدث في الألفي سنة الماضية.

بيد أن المرحوم صاحب الجلالة كان شخصيه مصريةً قوية بشكل واضح، إلا أنه اضطر في بعض الأحيان أن يتصرف كأنما هو تابع لبريطانيا يحظى بالقبول. وحين كان يخف الضغط البريطاني أحيانًا، أو من وراء الكواليس، كان فؤاد الأول يبرز هذا التنازل أو ذاك الذي انتزعه من سادة مصر لها وهذا يعد مثلًا ينبغي أن يحتذي به فاروق الأول، البالغ من العمر الآن ثمانية عشرة سنة وينبغي أن يظهر الشخصية والشكيمة اللتين ربته عليهما مربيته من يورك شير.

أتى فؤاد الأول إلى العرش، وهو فقير إلا أنه ترك ثروة تقدر بخمسين مليون جنيه إسترليني لابنه فاروق الأول، ومن ثم ترك ابنه فاروق كأغنى أغنياء مصر. وقد حقق المرحوم صاحب الجلالة هذا الإنجاز بمصادرة الإقطاعيات التي كان يملكها الأمير المخبول أحمد سيف الدين، وكان أحمد سيف الدين إما مجنونًا أو غاضبًا من الملك فؤاد، ومن ثم أطلق رصاصة على صاحب السعادة استقرت في رقبته، وهذا ما تسبب في كحة دائمة عنده وحالات اختناق شديدة، وهذه الرصاصة ظلت مع صاحب الجلالة حتى وافته المنية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



فريق
متميزون
E-BOOK

ملك مصر يتزوج أجمل الجميلات من رعاياه

(مجلة لايف: ١٤ فبراير سنة ١٩٣٨)

14 فبراير سنة 1938

في يوم 20 يناير، وضع ملك مصر الفتى والطموح في عمر السابعة عشرة يده في يد والد زوجته تحت منديل من الحرير، وتشابكت أصابعهما معًا، وتعهد بقبول فريدة ذو الفقار "لكي تكون أمًّا لأولاده، وأن يحبها ويعاشرها، وأن يتشاطرًا السراء والضراء".

ارتدت فريدة فستانها بعد 6 ساعات من الاحتفال الفعلي الذي لم تشارك فيه، وقابلها الملك على سلم القصر. وكانت تلبس هدايا الزواج التي قدمها الملك وعقدًا من الماس. كبير الياواران أحمد حسنين باشا ومعه المساعدون.

الملكة عارية الرأس مما يصدم المسلمين المتمسكين، وقد ظهرت بجوار الملك في شرفة قصر عابدين، وذلك في يوم 22 يناير، ويظهر تحتها الهلال المصري والنجوم الثلاث. والإيشارب الخفيف الذي ترتديه فريدة يشيع في المجتمعات العلمانية المصرية.

امتدت احتفالات الملك حتى جسم أبو الهول تحت الأضواء الكاشفة التي أبهرت السياح. في وسط هذا الحماس الشعبي ابتهاجًا بالزوجين الأنيقين، أعلن النشالون أنهم سيمتنعون عن ممارسة النشل في فترة الاحتفال

فتيات الكشافة يتعهدن بالولاء للملك والملكة في شرفة قصر عابدين وهن يحملن السلاح. ووزع الملك فاروق على فقراء القاهرة مائة طن من الحبوب والملابس من أربع عشر سرادقًا كبيرًا. أصيب أربعمائة شخص من المصريين جراء التزاحم.

كانت فريدة، البالغة من العمر ستة عشر عامًا، وأمها وأم الملك وإخوتهُ يشاهدن المنظر من خلال الشيش، وقدم الملك إلى والد زوجته مظروفًا قيل إنه كان يحوي جنيهًا ونصف الجنيه، وهو الحد الأدني الذي أوصي النبيَّ محمد للمرأة كمهر، ووقع على ثلاثة عقود للزواج، ثم ترك العقود للشهود والضيوف في صندوق مرسوم عليه صور للملك فاروق من الناحية اليسرى والملكة فريدة من الناحية اليمنى. وفي عصر ذلك اليوم عادت فريدة إلى منزلها لإرتداء فستانها الفضي ووسام الكمال، وهو ما كانت ترتديه النساء المصريات. كان موكب الزفاف يمر بحديقة قصر القبة إلى خيمةٍ حريرية

خضراء. وفي يوم الثاني من فبراير استقر الملك وبدأ العمل وقام بحل البرلمان.

مأدبة الزواج: الجالسون على الطاولة المزينة بأكاليل الزهور (من اليسار) الأخت الكبري للمك فوزية وأمير الأسرة الملكية المصرية، والملكة الأم نازلي والملك فاروق (بزي المشير) والملكة فريدة وابن العم وولي العهد المفترض الأمير محمد علي، وابن العم الثاني ابن الخديو السابق عباس حلمي باشا الثاني الذي عزله الإنجليز في 1914م. والمغنون والراقصات اللائي أدَّيْن حتى منتصف الليل.

كان لدى الشاب فاروق من الحكمة السياسية ما يكفي ليدرك أن الملكة الجميلة، التي اختارها من عامة الشعب، هي بمثابة رصيد سياسي ذو قيمة، ومن ثم حرص على إتاحة الفرصة كاملة للشعب للمشاركة في العرس. فبعد يومين خرج بها في شرفة القصر، في أول ظهور لهما عقب الزواج على الإطلاق على عامة الشعب. ونظرًا للطبيعة الإسلامية العميقة المتأصلة في شعبه فإنه لم يبالغ في الظهور. وهو في واقع الأمر يرمي إلى اكتساب دعم الطبقة المثقفة وطلبة الجامعات الذين تتعمق لديهم النزعة الدينة أكثر من بقية الطبقات. وهذه الصفحة دليل على إعجاب عامة المصريين بزواج الملك وقد كسب الملك رضاهم بهداياه وبزخه من الغذاء والكساء والموسيقي والرقص الذي دام 3 أيام في الشوارع.

بائع الصحف ينادي على صور الملك فاروق والملك وهما أجمل زوجين في الساحة المصرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ملك مصر صاحب المشاكل

(مجلة لايف: ١٠ أبريل ١٩٥٠)

10 أبريل 1950

تصيب الدهشة الزائرين لمصر، الذين يرون الملك فاروق في الكباريهات التي يرتادها، فيرون فيه شخصًا غليظ الملامح ذا طابعٍ خنزيري، وقد بدأ شعره في التلاشي، وأصبحت عليه ملامح رئيس مصرفٍ ممتلئ. وبالنسبة لمعظم الغربيين، فإن الفتى الكريم ممشوق القوام الذي يدعى فاروق، قد اصبح بين عشية وضحاها أول ملك لمصر المتحدة المستقلة منذ أيام الفراعنة.

الملك فاروق يركب سيارة فخمة تابعة للدولة ومبطنة بالساتان ومطلية بماء الذهب ليقوم بافتتاح البرلمان الذي يتجاهله في معظم الأحيان أثناء حكمه لهذا البلد

ولم يمض سوى ثلاثة عشر عامًا تقريبًا حتى أضحى فاروق هذا الشاب الخجول، الذي اعتلى عرش مصرٍ في سن السادسة عشرة، وتزوج وطلق وازداد وزنه نحو 90 رطلًا، مستحوذًا على سلطات مطلقة في أقوى دولة في العالم العربي، كما أنه تعرض لشائعات مغرضة وشريرة. وكان الزمن كفيلًا بإحداث تغيير في شخصية الملك وجسده. حين بلغ الثلاثين أمسى متقلب المزاج ومتوترًا وعنيدًا ولم يعترض عليه أحد منذ أن اضحى حاكمًا على 20 مليون مصري باستثناء دبلوماسي بريطاني واحد.

لست في حاجة للبقاء في مصر لفترة طويلة لتكتشف أن لفاروق شخصية متعددة الجوانب، وله معارف كثيرة. وحتى من يعرفه من الناس حق المعرفة تتباين آراؤهم حين يصفونه للآخرين. فالبعض يرى فيه إنسانًا أليفًا وغير مدعٍ. ويتذكر أحد المراسلين البريطانيين كيف دق الملك فاروق باب مصيفه في الإسكندرية ذات صباح في الصيف الماضي، وكان فاروق يرتدي ملابس البحر ويحملُ سلةً بها جمبري طازج. "بُص يا بابا". كانت هذه صيحة ابنة المراسل الصحفي ذات الثمانية أعوام. "الملك الصياد". دلف الملك المبتهج إلى الشاليه وأمضى صباحًا هادئا مع جارة يلعبُ مع البنت الصغيرة في الشرفة. عادةً ما يكون فاروق مقتضب القول، ذا طبيعة باردة. وفي العام الماضي أجريت مسابقة ملكات الجمال في أوبرج الأهرام لاختيار ملكة جمال مصر عن عام 1949. وما إن أعلن المحكمون عن هذه الملكة حتى سارع الملك بإرسال رسالة يوضح فيها أنه غير سعيد بحكم المحكمين في هذه المسابقة، وعلى الفور أوقف المحكمون القرار وأغدقوا اللقب على فتاة أخرى.

الكثير ممن يعرفون الملك، يؤكدون أنه ليس شخصية تافهة، كما يبدو، وأنه يأخذ مهامه الملكية مأخذ الجد، وأشاروا إلى حرصه على توسيع المنشآت التعليمية في بلدٍ تتجاوز فيه نسبة الأمية 70 %. وفي عهده أصبح التعليم إلزاميًّا للأطفال بين السابعة والثانية عشرة. وقد تم بناء نحو ثلاثة آلاف مدرسة ابتدائية، كما أن عدد طلاب الثانوية العامة قد تضاعف أربعة أمثال وتم إنشاء جامعة في الإسكندرية تحمل اسمه.

قد يكون الملك فاروق مضيفًا مسليًّا، ولديه روح دعابة أخاذة، وإن كانت غريبة في بعض الأحيان، وهو يميلُ إلى الاهتمام بضيوفه وتسليتهم في نادي السيارات الملكي الذي يزوره كل يوم تقريبًا، ويقلد أصوات الباعة الجائلين ويطلق الصفارات، التي أجادها منذ نعومة أظافره. وفي طريق عودته إلى البيت يباغت أصدقاءه بإطلاق زمارة سيارته التي يشبه صوته صوت كلب دهسته السيارة. وهذا التباسط قد يكونُ خادعًا أحيانًا لأنه في بعض الأوقات يكون في غاية الاهتمام بالبروتوكول، شأنه شأن كبار الدبلوماسيين. وهو يتحدث بلغة رفيعة عن سانتونجرفيتس، السفير الأمريكي السابق إلى مصر، والذي أخطأ حين قدم أوراق اعتماده وقال: "صاحب السعادة" بدلا من أن يقول له "صاحب الجلالة".

مدلل، عنيد، بحالات

فاروق يركبه العناد، شأنه شأن طفل مُدلل اعتاد على أن يطاع، وذلك إذا اعترض عليه أحد. فحين جاءته نزوة وقرر أن يتزوج فتاة من الشعب عمرها ستة عشر عامًا تسمى ناريمان صادق، في ديسمبر الماضي، تجاهل كل النقد الذي وجهه له الأجانب، والغضب الذي أبداه بعض رعاياه الذين رأوا أنه ليس من الإنصاف أن يتعدى على خطيبة رجل آخر، كما أنه لم يعبأ لأنه لم ير هذه الفتاة إلا مرةً واحدة، وفي ظل هذه الظروف ليس من المدهش أن تكون حياة الملك الخاصة مليئة بالقصص والشائعات. وبعضها حقيقي، مما أدى إلى سيل لا ينقطع من الشائعات تدور فيما بين الجالسين على بار حانة فندق شبرد، وحول الموائد في محل جروبي وفي المنتديات الأخرى في فندق سميراميس، وبعض الأماكن الأخرى في مدينة القاهرة.

فاروق ملك محتار ومتقلب المزاج يتأرجح بين الملزات والرغبة الصادقة في أن يأخذ بيد شعبه. بقلم وليام هـ. أتود.

حيث يتجمع القاهريون بشتى مشاربهم مرتين أو ثلاثًا في اليوم لاحتساء القهوة أو الويسكي والسمر. كان معظم ما يجري على الألسنة من حكايات يصل إلى القصر، مما أوجد عند فاروق حساسية مفرطة لهذه الشائعات. في الخريف الماضي، حين تجاسر موظف بدرجة وكيل وزارة بكل صدق، ونصح

الخاصة الملكية بأن يقلل الملك من ظهوره أو يخفض صوته فيما يحضر من حفلات ممتدة، كان يقيمها في شقة صغيرة بجوار النادي الملكي للسيارات، وجد هذا الموظف نفسه على الفور منقولًا من وظيفته في وزارة الزراعة إلى وظيفة دبلوماسية في جنيف.

يشعر فاروق بحساسية شديدة من أي نقد عن ولعه بالنساء. وفي معرض حديثه عن هذا الموضوع، لأحد الدبلوماسيين الغربيين منذ فترة غير بعيدة، اشتكي من أنه لم ينتهك إلا أمرًا واحدًا من الأوامر التي وردت في القرآن، ويغض الطرف عن تمسكه بما سواها. ويجري نفي الفتيات اللائي يتباهين بعلاقتهن بالملك، أو يناقشن هذا الأمر إلى خارج البلاد على الفور. وصدرت الأوامر بوضوح إلى المراسلين الأجانب والصحف المحلية، بعدم الكتابة عن فاروق إلا بعد العودة إلى القصر، وتمت مراقبة البريد الخاص وحذف أي إشارة إلى الملك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مأزق الشمولية

أحيانًا ما تنتاب الدهشة الأمريكيين الذين يهبطون مصر، ويتوقعون أن يروا مملكة دستورية على الطراز الإسكندناقي. من المفروض -وفقًا للدستور- أن يمارس الملك سلطته التنفيذية من خلال الوزراء، وليس بالتربيط معهم. كما أن مجلس الوزراء مسئول أمام البرلمان وليس أمام الملك، وواقع الحال أن الملك يسيِّر الأمور حسب رغباته إلى حد كبير. كما أن الأمريكيين يهالهم التباين الشديد بين أسلوب حياة الطبقة الغنية المترفة على قلتها، والسواد الأعظم من المصريين. لماذا نحرص على تحسين العلاقات مع بلد يسوده الظلم الاجتماعي؟ لماذا تغيب بوادر الثورة فيما بين ١٩ مليونًا معدمًا، وقد طال العهد بهم وأمسى مستوى العيش لديهم لا يليق بالبشر؟

الرد على السؤال الأول هو؛ أن هذا البلد العجيب والتليد، الذي تغطي الصحراء القاحلة 95 % من أرضه قد أضحى الكتلة السياسية الرائدة فيما بين الدول العربية التي تشكل منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية. وكان فاروق ذاته وبحثٍّ من مستشاريه هو الذي بادر بتجميع هذه الدول تحت لواء الجامعة العربية التي تقبع الآن في هوة النسيان، ولا يُلام فاروق على هذا. ما ضر الجامعة حقًا هو الطموح الشخصي للملك عبد الله -ملك الأردن- وتبعيته للإنجليز، والهزيمة التي حاقت بالجيوش العربية غير المنظمة في الحرب مع إسرائيل.

4 سنوات من الإغراق في الملذات كانت سببًا في الاختلاف في هيئة الملك فاروق. ففي عام 1944 (الصورة على اليسار) كان له ذقن (سكسوكة) ويحمل سبحة في يده، حيث كان يحلم أن يصبح خليفة للعالم الإسلامي. أما في عام 1948 (الصورة على اليمين) فهو يحمل صولجان المشير، ويتفقد قواته المتجهة إلى الحرب في فلسطين.

الإجابة عن السؤال الثاني، وهو: لماذا قبل الفلاحون نظامًا اجتماعيا يعرضهم للاستغلال؟ - تكمن ببساطة في أنهم لم ينتظروا أبدًا في حياتهم إلا الكد والنصب ولا يجأرون بالشكوى إلا إذا بالغ الحاكم في البطش بهم. بيد أنه يتعين القول بأنهم يشعرون بالامتنان الكبير في عهد الملك فاروق، ففي السنوات الثماني الأخيرة تم افتتاح أكثر من 100 مركز زراعي للتدريب والمشورة في المحافظات، ويقوم ممثلوا مديرية الزراعة بزيارات دورية لتقديم الدعم الفني، وتقديم قروض ميسرة للمزارعين. وتبذل الحكومة جهودًا جبارة للقضاء على الأمراض المستوطنة كالبلهارسيا التي تفتك بالفلاحين وتزيدهم بؤسًا منذ مئات السنين.

بالنسبة للأقلية التي حصلت على قسط من التعليم، وهي أقلية يزداد فيها تدهور شعبية الملك فاروق على نحو مطرد ويمكن القول: إن مكانته تدنت كثيرًا منذ أن إعتلي عرش البلاد في 29 يوليو 1937 حتى إن الملك ذاتة علق بسخرية على مستقبله بالقول: "في بضع سنوات لن يكون هناك إلا خمسة ملوك في العالم، وهم ملك إنجلترا وملوك أوراق الكوتشينة الأربعة".

لفهم السبب في ضياع شخصية فاروق، يجب فحص العوامل التي شكلتها وأفضت إلى هذه الشخصية المتقلبة. وأهم هذه العوامل –قطعًا- هو الوفاة المباغتة للملك فؤاد في عام 1936، مما عجل بوقف تعليمه والدفع به إلى الاضطلاع بدور لم يكن مؤهلًا له. ففاروق ملك لم يدخل الجامعة، ولم يسافر إلا لمامًا. في السادسة عشرة من عمره كان محاطًا بحاشية القصر التي حققت له كل نزواته، ولم تجرؤ على معارضته وكانت المأساة أنه لم يحظ بالانضباط الذهني أو الشعور بالاتزان القيمي.

ولد فاروق في قصر عابدين بالقاهرة في 11 فبراير 1920، بعد ثلاثة أعوام من خلافة والده لحسين كامل كخديو. وكان السلالة المباشرة لمحمد عليٍّ مزارع التبغ الألباني الذي عينه الأتراك واليًا على مصر عام 1805م وأسس الأسرة التي حكمت هذا البلد شبه المستقل منذ ذلك الحين.

تربى فاروق مع أخواته فوزية وفايزة فايقة وفتحية (كان فؤاد مغرمًا بالأسماء التي تبدأ بحرف الفاء) وكانوا جميعا محبين للملذات. الصبي فارق تربى على يد مربيات أجانب وتعلم الفرنسية والإنجليزية والعربية، اللغة الرسمية لمصر. كانت طفولته مغلقة حتى بمعايير الملوك. وكان أقرانه من الطبقة الأرستقراطية وأطفال العاملين في القصر من بينهم طفل إيطالي يدعي أنطونيو بولى وهو ابن كهربائي القصر ثم أضحي بعد ذلك حلاق الملك وهو اليوم من بين أصدقاء فاروق المقربين وحصل على البكوية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ساسي أضحت فريدة

في عام 1935، أُرسل فاروق إلى إنجلترا ليتعلم في الأكاديمية الملكية العسكرية في وولويتش. غير أنه بعد ستة أشهر مات الملك فؤاد، وكان على فاروق العودة إلى مصر. في العام التالي ذهب في صحبة أمه وأخواته إلى سويسرا لقضاء العطلة، حيث التقي بساسي ناز ذوالفقار وهي إبنة وصيفة أمه وكانت تبلغ من العمر 15 عامًا والتي تزوجها بعد 6 أشهر من اعتلائه للعرش كأول ملك لمصر منذ القدم. ورث فاروق ولع أبيه بالأسماء التي تبدأ بالفاء وعليه سماها فريدة. غير أنه ذرف الدمع بعد 10 سنوات حين وقع على وثيقة الانفصال عنها.

ظل زواجهما أشهر زواج ملكي في العالم لردح من الزمان وبالقطع كانا الأكثر أناقة. اعترت فاروق وعروسه الحيرة وعدم الأمان وهما يبادلان رعيتهما الحب والاحترام والاعجاب. قاد فاروق طائرته ذات مرة بطول الشاطئ وأسقط كرات الضوء على أكواخ الفلاحين الذين طُلب منهم إرجاعها في مقابل عبوات من الحلوى من المخازن الملكية.

آخر فضيحة لفاروق محورها ناريمان صادق ابنة الستة عشر ربيعًا. كانت مخطوبة لموظف مصري حين سحرت لب الملك. تم فسخ الخطوبة واعتزم فاروق أن يجعل منها ملكة.

كان فاروق يلتمس النصيحة من حفنة من المستشارين لم يكن يهمهم أكثر من الحصول على الترقيات، ولا يحرصون على سمعة الملكية ومكانتها. كان يقضي معظم وقت فراغته في صحبة الطليان، الذين كانوا يتلقون أوامرهم من السفارة الإيطالية لإفساد الملك، ومن ثم يدعمون مكانة إيطاليا الفاشية في الشرق الأوسط. وقد تم استقدام الراقصات الإيطاليات الماهرات من روما. كان الملك الشاب بالنسبة لهن ليس كأمير أعزب بل كان كطالب أمريكي تخطى المرحلة الثانوية ولا يزال طائشًا. بدأت القاهرة تسمع عن الحفلات الماجنة في القصر ودار الحديث عن الملك فاروق الولد الشقي. كان الخديو إسماعيل ذلك البطل الذي اقتدي به فاروق في صباه حيث إن إسماعيل كان يكتسي عظمة الرجال الأثرياء ويحيط نفسه بـ 3000 امرأة وواتته المنية وهو يحاول ابتلاع زجاجتين من الشمبانيا دفعة واحدة. انحصر إعجاب فاروق وتركزت عاطفته بمرور الزمن على ثلاثة أشخاص هم؛ زوجته فريدة وكبير مستشارية أحمد حسنين باشا والسياسي مصطفى النحاس باشا. هجرته فريدة وتُوفي أحمد حسنين وكان النحاس السبب في أول وأمرِّ صدمة سياسية واجهها الملك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الخيانة الأولى

ارتفع نجم النحاس في الحياة المصرية، وأصبح رئيس حزب الوفد وهو ابن فلاح مقتدر والوفد حركة وطنية من أجل إخراج الإنجليز من مصر. إلا أنه في عام 1935 تزوج النحاس البالغ من العمر 59 عامًا فتاة طموحة معدومة الضمير. كانت لا ترى في السياسة ميزة إلا إذا أتت بفائدة وهذا معناه أن يبقي زوجها في السلطة حتى ولو كان على حساب مبادئ حزب الوفد. لم يجد النحاس بدًا من الخضوع لذكاء عروسه الشابة. وهكذا وجد النحاس نفسه بعد 7 سنوات وقد وقع عليه الاختيار من جانب الطليان ليترأس الوزارة وهذا ما لم يغفره له فاروق أبدًا.

حدث هذا في شتاء 1941، حين كان الإنجليز في أضعف حالاتهم في الشرق الأوسط. البريطانيون كانوا يثقون في النحاس، لأنهم رأوا فيه قدرا من الأمانة وكانوا يعرفون أن زوجته موالية للحلفاء، ما دامت القوات الإيطالية مرابطة في مصر كما أنهم يحبذون رئيس الوزراء الحالي حسين سري باشا. لكنهم لم يثقوا في فاروق ولا في من يحيط به من الطليان. وحين اقترح السفير البريطاني سير لامبسون المتزوج من إيطالية أن يتخلص ممن حوله من المستشارين الطليان الفاشيين، رد الملك "سأتخلص منهم حين تتخلص أنت ممن حولك منهم".

احتدم الموقف في وقت لاحق في فبراير 1942. رحل فاروق عن مصر لقضاء العطلة، وقام حسين سري -القائم بأعمال رئيس الوزراء- بضغط من الإنجليز بقطع العلاقة مع حكومة فيتشي في فرنسا التي أصبحت سفارتها في القاهرة مركزًا للتجسس. حين عاد فاروق ركبه الغضب واضطر حسين سري إلى الاستقالة وعلى إثرها أوضح فاروق أنه سيعين عليّ ماهر باشا المعروف بميله للألمان رئيسًا للوزراء.

إزاء ذلك كشف الإنجليز عن وجههم وأسرعوا بإحاطة القصر بالدبابات في حين توجه السير بصحبة جنرال إنجليزي إلى المقر الخاص بالملك وسط دهشة الحراس وأبلغوا الملك صراحةً أنه إما أن يعين النحاس باشا أو أن يتخلى عن العرش ويترك مصر في اليوم التالي على متن طائرة بريطانية.

شعر فاروق بالغضب والمهانة وسلم بالشروط البريطانية إلا أنه توجه للسفير بالقول: "إنكم ستندمون على صنيعكم هذا".

استمرت وزارة النحاس سنتين وثمانية أشهر إلا أنه في أكتوبر 1944 حين تلاشت ظلال الحرب بعيدًا عن مصر تمت إقالة النحاس. ورغم أن حزب الوفد

كسب المعركة الانتخابية وعاد النحاس إلى مقعد رئاسة الوزارة فإن البرودة والجمود سادا العلاقة بينه وبين الملك.

تأثرت شخصية فاروق بسبب إخفاقه في علاقته الزوجية بالملكة فريدة، حيث طلبت منه الطلاق في وقت مبكر عام 1941، بسبب خيانته الواضحة لها. رفض تطليقها وإن كان سمح لها بالانفصال والعيش في قصر القبة في حين ظل هو في قصر عابدين. أنجبت فريدة له ثلاث بنات ولم تنجب ولدًا. واستمر شعورها بالغربة وحثه أصدقاؤه على الزواج مرة أخرى للحفاظ على الأسرة الحاكمة. وافق فاروق أخيرًا على تطليقها ووقَّع قسيمة الطلاق في 18 نوفمبر 1948.

منظر أبوي للملك فاروق وهو يضع يديه على كتفي ابنتيه فريال وفوزية وهما في سن العاشرة والحادية عشرة وهم يتنزهون خارج القاهرة. وكانت الإبنة الثالثة فايقة تبلغ من العمر 6 سنوات وهتف الجمهور لا ملكة إلا فريدة وعلى إثرها تركت المسرح ولم تظهر بعد ذلك في الأماكن العامة

استردت فريدة اسمها القديم وتعيش الآن حياة منعزلة في فيلا بالقرب من القاهرة. ولا تزال شعبيتها كبيرة لدى رعاياها السابقين الذين انحاز معظمهم لها. وقد قيل إن فاروق في الخريف الماضي عرض عليها الرجوع فاشترطت بعض الشروط القاسية كطرد بعض الوصيفات. شعر فاروق بالمرارة وقرر التخلي عن وعده بعودة الزواج وهمّ على الفور بالزواج من ناريمان صادق لتصبح ملكة على مصر. حين عمت التكهنات جنبات القاهرة ذهبت فريدة إلى مسرح في وسط القاهرة وما إن لمحها الناس حتى انخرطوا في التصفيق والتهليل

أما العامل الثالث الذي أثر في شخصية فاروق أيما تأثير وأورثه الحيرة وترك لديه فراغًا فهو وفاة أحمد حسنين باشا في حادث سيارة عام 1946. تخرج حسنين في أوكسفورد وكان كثير الأسفار ومستكشفًا مرموقًا وعالم آثار. على خلاف أعضاء الحاشية لم يتبرم حسنين من فاروق وكان لا يخشى معارضته وإن كان بحنكة. وبعد وفاته كان معظم المحيطين بالملك من الرجال ضعاف الشخصية وطفيليين في بعض الحالات وكانوا يستمدون قوتهم من قربهم من القصر. شعر فاروق بالاغتراب عن معظم أسرته باستثناء أخته الكبرى فوزية. ففي السنتين الماضيتين كانت أمه وأختاه فايقة وفتحية الصغيرتان يعشن في أمريكا حيث كانت الملكة الأم تتلقى العلاج.

هل كانت لفاروق فلسفة سياسية؟ دائمًا حير هذا السؤال الدبلوماسيين الأجانب. كل من حاول تصوير شخصيته يتفق على أن سياساته كانت خليط من الكراهية الكامنة للإنجليز وتأثرًا من واقعة النحاس لامبسون الخاصة

بمحاصرة القصر وشعورًا غريبًا بالوطنية والأبوة تجاه الشعب باعتبار ملكًا عليهم.

لا عجب أن يكره المصريون الإنجليز ويكره الإندونيسيون الهولنديين. رغم تعدد الإنجازات التي صنعها الإنجليز في الفترة من 1882 حتى 1922 فإنهم أتوا مصر غزاة وبقوا فيها بحماية قواتهم. كان المصريون يدركون أن الإنجليز في مصر يسخرون منهم كما كانوا يسخرون من الأمريكان. انسحبت القوات البريطانية من القاهرة وأصبحت مصر دولة ذات سيادة، لكن المرارة التي خلفتها عشرات السنوات من الإحتلال ستبقي لفترة طويلة وظل الكيد للإنجليز كما كان الحال في أيرلندا يحظى بتأييد شديد. أدان السياسيون وكتاب المقالات الصحفية تمركز قلة من الجنود الإنجليز في منطقة قناة السويس والمشاركة في إدارة السودان في ظل الحكم الثنائي. كراهية فاروق للإنجليز تعبر عمًّا يعتمل في وجدان شعبه تجاههم.

هذا الشعور الوطني مفهوم. ففاروق كأول ملك لمصر المستقلة كل الاستقلال فهو يعتبر نفسه رمزًا لاستقلال مصر بعد أن خضعت عقودًا للطغيان الأجنبي، كما يقول الكثير من الناس وكما هو الحال في البلدان حديثة العهد بالاستقلال والشعور الوطني المصري قد ينجرف إلى أبعاد شديدة. ورد في منشور حديث أصدرته إدارة السياحة ووزارة التجارة والصناعة أن مصر هي مركز الكون وأن الدول الأخرى هي التي تحتاج إلى مصر أكثر من حاجتها إليهم وأنها على أعتاب عصر جديد وتتزايد مكانتها العالية في الشرق الأوسط تحت قيادة وحكمة الملك فاروق صاحب الجلالة حفظه الله.

لم تكن مشاعر المصريين بنفس القدر من الحساسية التي كانت عليها في فترة الحرب مع إسرائيل حين كان المصريون يبصقون على الأمريكان وتم تجاهل دبلوماسييهم من قبل جميع الوزارات المصرية. لكن -كما جرت العادة- يسأل المصريون ابتداءً من الملك: لماذا يتحكم اليهود في السياسة الأمريكية؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



أبٌ لشعبه؟

فكرة فاروق عن حب الشعب له باعتباره أبًا لهم لا تستند إلى أسس متينة شأن تمسكه بالوطنية وكراهية الإنجليز. فمعظم المصريين ولا سيما الفلاحين يكنون نوعًا من العاطفة والارتياح له وإن كان هو يبالغ في هذا التصور من جانبه، لأن هذا الشعور يولد بحكم الألفة سواءً له أو لغيره. ففي عام 1943 أصيب فاروق في حادث اصطدام بشاحنة. نقل على إثرها لمستشفي عسكري بريطاني بالقصاصين بالقرب من القاهرة حيث مكث شهرًا (نتج عن الحادث ضرر بعين من عينيه وتضرر بصره مما يفسر ارتداءه لنظارة سوداء كلما أطل على الجمهور). استقبلته حشود جامعة ملأت جنبات الشوارع حين عاد من المستشفى إلى قصره. واعتبر فاروق هذه مظاهرة حب وولاء له وإن كان معظم الناس مدفوعين بالشغف أكثر من أي شيء أخر.

غداء فاروق وليمة كبيرة. مكونات هذه الوجبة (من الأمام إلى الخلف) خوخ واستاكوزا وفرخة محمرة ورمان ومانجو. أما الأطباق المغطاة فهي دجاج مقطع وقطع من لحم الماعز وسمك موسي ولحم باتيه بالقشطة وبطاطس وفاصوليا وأرز وخرشوف

وقد عرف عنه حين تنتابه هذه الحالة أن يمشي في قاعة مجلس الوزراء إبان الاجتماعات ويقول: "أنا أمثل الشعب"، وكان يطرح برامج قيمة للإصلاح الاجتماعي، بينما يدون الوزراء الملاحظات ويمدحون بصيرته وريادته. ويقول أحد الوزراء: إن طروحات الملك قد تكون في بعض الحالات قديمة وتحولت إلى قوانين من قبل.

نظرًا لما يتمع به الملك من سلطات حقيقية ونظرية فإنه من الأفضل أن يخدم وحده بلده كهيئة تشريعية قوية ذات خبرة واسعة، ذلك لأن مصر تعاني من بيروقراطية شديدة الوطأة ومُعجزة. ففي مجال التجارة الخارجية تتضارب الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها كبار المسئولين. في وزارة التجارة والصناعة -على سبيل المثال- تسعي الوزارة إلى تشجيع تصدير الأرز والقطن في حين كان الخبراء أنفسهم مكتوفي الأيدي بسبب المعوقات التي تفرضها نفس الوزارة بحجة الحفاظ على تدني الأسعار. فلو أن السلع المصدرة وصلت إلى ميناء مصرية، فلا بد أن يُؤخذ في الحسبان غباء مسئولي الجمارك وتعنتهم. منذ فترة ليست ببعيده تلقى أحد المصدرين طلبًا من الولايات المتحدة لشراء مئات البالات من نفايات القطن. كانت البالات مقطعة كلها وبعد فحصها على يد الجمارك أُعيدت لتعبئتها من جديد. فأرسلها مرة أخرى مقطعة فاضطر المُصدر إلى إيقاف الصفقة وبيعها كنفايات في السوق

المحلي. لو خصص الملك بضع ساعات في اليوم للإشراف على ما تقوم به الحكومة، لكان هذا وسيلة إدارية فاعلة. لكنه لسوء الطالع يقضي معظم وقته في إشباع رغباته.

يستيقظ فاروق متأخرًا في قصر القبة وأحيانًا في قصر عابدين ويبدأ يومه بإفطار شهي مؤلف من 5 أو 6 بيضات على الأقل وسلطانية عصيدة وطبق فول وبراد كاكاو. وإن كان أخيرًا قد اتبع حمية غذائية لإنقاص وزنه والحفاظ في الوقت ذاته وعلى قواه الجسدية وبناء عليه نصحه الدنماركيون -عبر الهاتف- بأكل القواقع البحرية من 200 إلى 600 في الأسبوع.

اعتاد فاروق على توقيع بعض الأوراق، وإلقاء نظرة على ملخص ما قالته الصحف قبل تناول الغداء وأحيانًا ما كان يتوقف لزيارة بناته الصغار مع مربيتهن. تعيش فريال وفوزية في قصر القبة، أما الصغيرة فادية فكانت تعيش مع أمها. يتم تخصيص جزء من وقت الظهر لقضاء الواجبات الملكية لوضع الأسس وتخصيص الآثار والإشراف على المدارس كما أن زوار الملك لا بد من الاهتمام بهم ويتم إطلاعهم على مقتنياته النادرة من الساعات أو العملات التي تقدر ب 54 مليون جنيه إسترليني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



جبال من الطيور المصطادة

يقضي فاروق ساعة أو ساعتين كلما تسنى له ذلك في ممارسة الصيد استعدادًا لرحلته الأسبوعية التي يقيم فيها حفلًا للصيد. وهو صياد ماهر ففي رحلته الأخيرة اصطاد 344 بطة في 415 محاولة. تعرض الصفحات الأولى لصحف القاهرة صورًا له وأمامه كومة صغيرة من الطيور التي اصطادها.

يعشق فاروق السواقة ويخترق الطرق الريفية بسرعة جنونية بسيارته فهو يحب ماركة لينكون أو كاديلاك. أما حين يسوق في شوارع القاهرة فإنه تسبقه وتحيط به قافلة من موتوسيكلات الشرطة ويتعطل المرور أحيانًا لمدة ساعة.

عادةً ما يكون 6 أو 7 حراس شخصيين بالقرب من الملك، وهذه إحتياطات أمنية معهودة في ضوء اغتيال رئيسين للوزراء (محمد فهمي النقراشي باشا وأحمد ماهر باشا) وتم قتل قاضي المحكمة العليا ومدير الأمن منذ الحرب. وكل هؤلاء باستثناء أحمد ماهر هم ضحايا الإخوان المسلمين وهم مجموعة من المتشددين دينيًا تم تفكيكهم منذ عام خلى. لم يطلق النار على فاروق منذ 1938 ولكنه لا يخاطر بنفسه على الأقل في أوساط العامة.

حين يهجع الليل ولا تكون هناك فاعليات رسمية ينزل الملك ضيفًا على نادي السيارت الملكي لبضع ساعات للعب القمار، وأحيانًا ما يتناول العشاء هناك والمطبخ يحتفظ دائمًا بمخزون كافٍ من المكرونة الإسباجتي له. ويقول شباب المصريين الذين يلاعبونه القمار إنه مقامر عطريد. يعد فاروق أغنى شخص في مصر (حيث تقدر ثروته بـ 50 مليون دولار) ولا يستطيع أحد مجاراته في رفع مبلغ المقامرة الذي قد يصل إلى 25 ألف دولار في المرة الواحدة. في إحدي المرات كسب فاروق لأن معه ثلاث أوراق ولد وقال أنا الولد الرابع.

غالبًا ما ينتهي المطاف بالملك في نادٍ ليلي متواضع يدعي سكارابي حيث يركز معظم الاهتمام على مغنية فرنسية في العشرين من عمرها تسمى أني بيرية. وفي الثانية صباحًا بإمكان من يرشي الحراس بجنيه أن يتوقف لأخذ مشروب ومشاهدة فاروق عن كثب فهو ليس حسن الهيئة فهو ممتلئ الجثة أصلع الرأس وئيد الحركة ويجلس ساعات من دون إنقطاع منكفئًا على طاولة يحيط بها الدخان والظلمة وبجانبه الحاشية والحراس وهو يرمق بعينيه من خلال نظارته السوداء المغنية أني وهي تعزف البيانو وتشدو "أشعر شعورًا طيبًا...طيبًا طيبًا طيبًا" وتقول هذا بالفرنسية والإنجليزية ويقوم النادل من آن لأخر بملء كأس فاروق بالكوكاكولا (فهو لا يحتسي الكحول في العلن) وإذا

حدث صخب في الطاولة المجاورة، فإنه يرمق الجالسين عليها حتى يتوقف هذا الصخب فهو يخفي عيونه خلف النظارة ولا ترتسم على شفتيه السميكتين أي بسمة كما أن جسمه البدين نادرًا ما يتحرك.

ليس بوسع المرء إلا أن يتساءل عما يدور في فكر فاروق إذا نظرت إليه فهل هو راضٍ أم غير ذلك؟ هل هو قلق أم زاهد في الدنيا؟ هل هو طموح؟ حدث في فترةٍ ما أن راودته فكرة أن يكون خليفة مما يمكنه بأن تكون له مكانة في العالم الإسلامي شبيهةً بمكانة بابا الكاثوليك. فقد أطلق لحيته كالمعتاد إلا أن طلاقه وأسلوب حياته الخاصة أوديا بهذه الفكرة. فهل لا يزال يحلم بترأس مجموعة الدول العربية؟ حتى إن كان يفعل ذلك فإنه يبقي على هذه الأحلام لنفسه. الإجابة عن كل هذه الأسئلة لدى شخص إنجليزي عرف فاروق منذ نعومة أظافره، حيث قال: "أظن أن الملك يحاول أن يعثر على وسيلة للتمتع بالحياة".

كجزء من مهامه الملكية، أقام فاروق مأدبة غداء ملكية في شهر يناير، لبيفين وزير الخارجية البريطاني العائد من مؤتمر في سيلان. وكان بصحبته دوق إدنبرا الذي كان في مهمة بحرية في الشرق الأوسط وكان فاروق قد قبل أخيرًا رتبة اللواء الشرفية في الجيش البريطاني رغم كراهيته للإنجليز ودار الحديث عن قيامه بزيارة لإنجلترا.

يشعر الكثير من المصريين أن الاستقرار في الزواج هو الحل للحالة الراهنة لفاروق وأن ناريمان صادق هي الخيار الأفضل -على ما يبدو- فالملك بحاجة إلى امرأة عاقلة ترشده وتصاحبه وتحبه. ويستحيل أن نتوقع وجود كل هذه الصفات في تلميذةٍ لم تتجاوز السادسة عشرة وكانت مخطوبة لرجل آخر.

في الحين ذاته، يبحث فاروق عمَّا يحقق له السرور والصيد هو أكثر التسليات التي تحقق هذا، ففي زياراته الأخيرة إلى ضابط أمريكي أقام حفلة للصيد وسأله الضابط الأمريكي عن موضوع الزيارة الناجحة لشاه إيران للولايات المتحدة، وتساءل إن كان الملك قد فكر بالقيام بزيارة مماثلة للولايات المتحدة. اعتلي الوجوم وجه فاروق وقال غاضبًا: "من ذَا الذي يدعو ملكًا بدينًا أصلع أعمي؟ ثم اتجه نحو منطقة الصيد وأمسك بندقيته وبدأ يطلق أعيرةً على أطباق فخارية تتطاير في السماء، كما لو كان طفلًا باغته الجنون يحطم أفضل ما لديه من ألعاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الملك فاروق. حين يحتاج الفلاح إلى صديق

(مجلة التايم: ١٠ سبتمبر ١٩٥١)

10 سبتمبر 1951

بحلول الرابعة عصرًا، انفرج شيش الشباك الذي كان يحجب شمس الريفيرا، واندفع الخدم والحراس من الدور الثاني لفندق كارلتون بمنتجع كان إيذانًا باستيقاظ صاحب الجلالة، وسرعان ما ظهر في الشرفة رجل بدين أصلعَّ رأسه قبل الأوان وله شارب الفرسان وجلس على كرسي من الخوص بجسد يزن 225 رطلًا وطلب زجاجة كوكاكولا. كان يرتدي حلة صيفية معتادة لدى رواد اليخوت مكونة من بنطال رمادي وسترة كحلي وبريه أبيض. وكانت الشابة السمراء المليحة والممتلئة التي تصاحبه ترتدي نفس الزي. جلس صاحب الجلالة 15 دقيقة وأطبق عليه الصمت. جلب له أحد المساعدين صحيفة، فأخذ بتصفح عناوينها ثم ألقى بها جانبًا وقفز على قدميه. وإن هي إلا لحظة أو تكاد حتى بدأت التشريفات وأحضرت السيارات الكاديلاك التي حملت الزوجين إلى حفل الكوكتيل.

كان هذا يوم من أيام الملك فاروق الأول، ملك مصر وصاحب السيادة على النوبة وكردفان ودارفور، ومن أيام الملكة في الأسبوع 13 من شهر العسل.

"كسبتك". حين بلغ فاروق الواحدة والثلاثين تحول إلى أكول بشراهة ومتهور في القمار وذئب نساء. وهذه صفات أكدها فاروق في الريفيرا هذا الصيف. يوصل الطهاة الليل بالنهار في فندق الكارلتون لأن صاحب الجلالة قد يشعر بالجوع ليلًا أو نهارًا وقد شغل هو وحاشيته 13 غرفة بتكلفة تبلغ 2000 دولار يوميًا. يلتهم الملك في وجبة الغداء "صدور الدجاج وسمك موسي وريش ضاني ودجاجة كاملة في الفرن، واستاكوزا كاملة وبطاطس مهروسة وبسلة وأرز وخرشوف وخوخ ورمان ومانجو".

اعتاد فاروق في معظم الأيام التي قضاها في "كان" على الظهور في صالون القمار في العاشرة مساءً، والجلوس على طاولة الرهان المفتوح والإشارة إلى وضع قشاطات القمار أمامه. فيقذف بها في المربع الأبيض ويصرخ بكلمة "كسبتك" إذا ضرب معه الحظ ويضحك حين الخسارة. أطلق رفقاء القمار على هذا الرجل الشهواني والبدين الذي يدخن سيجارًا عملاقًا، والذي لا يكل ولا يمل من لعب القمار طيلة الليل، اسم "القطار". وهذا القطار خسر 160000 دولار في أسبوع واحد في لعبة "السكة الحديد".

غير أن الملك بدأ في الفترة الأخيرة ينأى بنفسه عن الكازينو. وأفاد المراقبون أنه بدأ في الاستقرار. وكان الملك في فصول الصيف الأخيرة يبدي الاهتمام بالفاتنات في منطقة الريفيرا، حتى إن نحاتًا من المنطقة كان شغله الأساسي رسم النقوش على الخواتم والأساور بعبارات مثل: "من أجل سوزت" و"إلى جانت"، وتوزيعها على صاحباته. أما في هذه السنة، فإنه لا يري إلا عروسه وبدأ يمارس الرياضة والسباحة ويعمل مع مستشاريه ويداوم على الاتصال بمصر ويشغل خطوط الهاتف.

هل فاروق -رغم كل ذلك- مجرد ملك تافه؟ ترى الولايات المتحدة أنه بالفعل كذلك.

فقد يصبح فاروق الذي أدلى بحديث لمراسل الأسوشيتد برس، وأقلع عن لعب القمار يصبح شخصية حاسمة في منطقة حساسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



زمان القتلة

الشرق الأوسط هو الجبهة الجنوبية للدفاع عن أوروبا وهو على الرغم من ذلك بمثابة سفينة محملة بمتفجرات شديدة الوطأة تتجه نحو الصخور وبها طاقم يتشاجر مع بعضه بعضًا.

المتحدثون في كل مدينة وواحة يضرمون نار الكراهية للغرب وهذا بالفعل زمان القتلة والتعصب الوطني (الشعبوية). ففي السنوات الأخيرة، اغتالت جماعة الإخوان المسلمين السرية ملك (الملك عبد الله) ورئيسًا و4 رؤساء وزارة ووزيرين ومديرًا للشرطة وقاضيًا وضابطًا من قيادات الجيش، وأطلقت النار على شاه إيران وأحد رؤساء الوزارة. وقد أفادت التقارير في الأسبوع الماضي أن اثنين من عناصر الإخوان يترصدان الملك فاروق في الريفيرا.

المنطقة تخلو من رجال الدولة المسئولين، فمعظم القادة إما معاديًا للغرب أو لا يرجى منه خير. والولايات المتحدة جهدها ضئيل في إدخال المنطقة تحت نطاق السيطرة والروس هم المستفيد الوحيد بلا مقابل. أثبت القادة المصريون أنهم لا خير فيهم شأنهم شأن الأخرين. إلا أن الكثير يعتبر أن مصر بماضيها التليد وحاضرها الخاوي تمتلك إمكانات القيادة ومقوماتها وسواء كانت مصر على قدر هذا الدور أم لا فإن لها موقعًا استراتيجيًا في الشرق الأوسط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مـا حـال مصـر؟

ظلت أرض مصر الموغلة في القدم أرض الفراعنة، في الأسبوع الماضي تقبع في شمس حارقة، وتحيط الصحراء القاحلة بدلتا النيل بصفارها الداكن. ويعتمل النهر في جنباته بالماء والغرين القادم من السودان والحبشة ليمنح الحياة والأمل. والنساء الحوامل يأكلن الطمي المترسب على جنبات النهر، اعتقادًا منهن أنه يكسب أولادهن الصحة والعافية، إلا أن النيل لم يتقيد بوعوده وعهوده. نصف أطفال مصر يموتون قبل أن يصلوا الخامسة من العمر ويصاب الآخرون قطعًا بالمرض في معظم الأحوال. يعمل 14 مليون فلاح وهم 70 % من السكان في أرض لا يملكونها ويهلكون أنفسهم في إنتاج محاصيل لا يأكلون منها ويتقاضون أجورًا لا تسد رمقهم (10 سنتات في اليوم). فهم يعيشون في بيوت من الطمي ويفترشون الأرض بالحصير ويلبسون الملابس المرقعة ويعيشون على خبز الفقراء (ففي مصر نوعان من الخبر: الأسمر للفقراء والأبيض من خيرات مصر للأغنياء). الطبقة الحاكمة في مصر بغبائها وأنانيتها وفسادها مثلها مثل غير في البلدان الأخرى لا تعبأ بذلك ولا تفكر فيه. درج الأغنياء على الهروب من شمس القاهرة الحارقة إلى الإسكندرية الأقل حرارة ويصطاف ملكهم على شواطئ الريفيرا. وحين يعودون إلى القاهرة في مستهل الخريف، تقتصر نساؤهم المتشحات بالملابس الباريسية والألماس على العيش في عالم صغير مغلق وينتقلن بين المسارح والنوادي المغلقة والقصور، فهن يمتلكن معظم أرض مصر ولا يدفعن إلا النذر اليسير من الضرائب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ريــاح السـخط

اعترى الفلاحين الغضب، حين وقعت حديثًا حادثة غير مسبوقة، إذا اعتدت مجموعة العاملين على ناظر العزبة المرتشي، وكذلك ابن الباشا، وأضرموا النار في بيت الباشا ولم توقفهم إلا طلقات البندقية الآلية. ووصلت الجرأة ببعض الفلاحين لانتزاع الأرض من الباشا. وحين همت الحكومة برفع سعر العيش، رفع الفقراء صوتهم بالاعتراض، فما كان من الحكومة إلا أن تراجعت في كلامها. وقف الساسة ضد هذه المظاهرات بعد أن كانوا يشجعونها لمعاداة الغرب على أمل إلهاء الناس عما هم فيه من بؤس فهم يخشون أن ينسى الناس معاداة الإنجليز ويركزوا على الأحوال البائسة التي هم فيها.

الوضع الآن، هو أن الإخوان يجيِّشون الناس لارتكاب عمليات إرهابية ويعمل الشيوعيون على نشر المنشورات الصحفية وكسب الرأي العام على الرغم من أنهم ليست لديهم قيادة ظاهرة، فالحزب الشيوعي محظور إلا أن لهم خلايا تتغلغل في كل مكان. يتهم الساسة كل معارض لهم يطالب بالإصلاح بأنه شيوعي، وبهذا يسدون خدمة جليلة للشيوعية والشيوعيين. وكنت قد كتبت تقريرًا من قبل عن تفرد الحزب الشيوعي الذي لا يدانيه أحد في مصر. بيد أن هذا تغير الآن في مصر. بدأت الشيوعية ترفع رأسها إلى أعلى عليين في نهاية فبراير وأول مارس. حيث بدأت الصحف الشيوعية في الظهور مرة أخرى، والطبعة تتكلف 364 دولارًا، والعجيب أنه ليست بها إعلانات فمن الذي يمولهم؟ قطعًا هناك من يدعمهم. لكن من هو؟ المسألة لا تحتاج قدرًا كبيرًا من التخيل فهم يلعبون لعبة ذكية جدًا. يناهضون الملكية والحكومة والإنجليز والأمريكان ومن سواهم، ويستغلون حالة السخط العام ويحولونه إلى حركة مناهضة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



شكل من دون محتوى

من الوهلة الأولى للاحتلال الإنجليزي لمصر في 1882، أصبحت في هذه الأرض العريقة حكومة حديثة في السنوات الأربع والستين التي مكث فيها الغزاة البريطانيون في مصر، أنجزوا مهمة إدارية جليلة: وازنوا الميزانية وأصلحوا المكاتب الحكومية وأعادوا تنظيم الجيش إلا أنهم أغفلوا ما تعانيه مصر من تخلف اجتماعي وصناعي.

حين أعلنت بريطانيا استقلال مصر 1922، أقامت هياكل الحكومة الديمقراطية من دون محتوى حقيقي. مصر اليوم سنت الدستور ولديها برلمان وتعقد الانتخابات وتضع الميزانية وتحصل ضريبة دخل. بيد أن الدستور نادرًا ما يطبق والبرلمان لا يمثل إلا الباشوات والانتخابات تزور وضريبة الدخل نادرًا ما تحصل.

كان حزب الوفد المصري له شعبية حقيقية، وكان يطالب حقًا بالإصلاح ولكنه سرعان ما ترهل ودبت الفُرقة في صفوفه بوفاة مؤسسه سعد زغلول سنة 1927، وهو من الفلاحين. وحين عاد إلى السلطة في 1950، بعد فترة مضطربة، غير الدفة من النقيض إلى النقيض، فبعد أن كان معارضًا للملكية، بات خادمًا لها وأمسى يتلقى الرعاية والمكرمة وطفق يرد هذه المجاملات للقصر بالموافقة على إصلاح اليخت الملكي وترميم جدران القصر بمخصصات لصاحب السمو تربو على ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف دولار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



العبقري الشرير

مصطفى النحاس باشا، رئيس الوزراء ورئيس حزب الوفد يبلغ من العمر 75 عامًا، أعيته الأيام وطاله المرض. وهو ابن فلاح وكان سياسيًا أمينًا ولا يرغب من حطام الدنيا سوى في أن يبقى في سلام وطمأنينة رئيسًا للوزراء. لا يزال له أتباع وإن لجأ أحيانًا إلى استئجار بعض الناس ليقوموا بتقبيل يديه أمام العامة وهذا ما يدخل السعادة إلى قلبه.

واقع الأمر، أن الحزب تديره مجموعة من الأعضاء الجدد الأغنياء ومعدومي الضمير وعلى رأسهم فؤاد سراج الدين ضخم الجثة والأمين العام للوفد ووزير الداخلية والمالية. ويتحالف سراج الدين مع صديقته مدام زينب النحاس الزوجة البدينة مخطوفة النفس التي تزوجها النحاس باشا منذ خمسة عشر عامًا حين كانت في الخامسة والعشرين وهو قد ناهز الستين. ويصفها المراقبون الغربيون بأنها عبقرية مصر الشريرة.

من آن لآخر يقومان معًا بزيارة النوادي الليلية في مصر، وكانا حينما يصلان إلى مدخل أحد النوادي تنقطع الأنوار وسرعان ما تعود حينما يجلسان بهدوء وراء شجيرات النخيل. وكان معارضوهما يطالبون برأسيهما السياسية وتعد السيدة النحاس وأخوها رجل الأعمال في عداد أغنى المصريين رغم أن عائلتهما لم تمتلك الكثير، ولم يكن لهما دخل سوى مرتب الزوج. وقد اشترت زوجة النحاس هذا العام ما لا يقل عن 750 فدانًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



من هو أقوى رجل؟

لدى الوفد أكبر تنظيم سياسي فاسد في مصر. ففي الانتخابات الأخيرة تدخلت الشرطة ووزعت على الفلاحين الأميين بطاقات الانتخاب، وأوضحت لهم أين يضعون العلامة فيها.

كان الوفد يتباهى بحصوله على 5000 صوت. وقطع الحزب على نفسه وعدًا بإجراء إصلاحات اجتماعية ولم يفعل. ولم يكن أمامه -حفاظًا على شعبيته وإلهاء الناس حتى ينطفئ غضبهم- سوى إزكاء مشاعر الكراهية لبريطانيا.

أجرت حكومة الوفد مفاوضات مع لندن لمدة سنتين تقريبًا، بهدف تعديل معاهدة 1936، والتي تمنح البريطانيين قواعد عسكرية في منطقة قناة السويس. وقد تعثرت هذه المفاوضات، فالكثير من قادة الوفد لا يرغبون في انسحاب الإنجليز من منطقة القناة لأنهم يعلمون أن الجيش المصري الذي مُنيَ بهزيمة نكراء على يد الإسرائيليين منذ ثلاث سنوات لن يتمكن بمفرده من الدفاع عن مصر. ومن المعروف معارضة الملك فاروق لجلاء البريطانيين من هذه المنطقة وهذا ما لم يستطع أن يصرح به في العلن.

الأمل مقطوع في أن يتفوق أي من الأحزاب المصرية على الوفد، فحزب السعديين هو ثاني أكبر حزب انشق عن الوفد في 1938، لأنه ضاق ذرعًا بفساد الوفديين.

يتفق المثقفون المصريون والدبلوماسيون الغربيون على أن مصر في مسيس الحاجة إلى قائد يضع الأمور في نصابها والشخص الوحيد القادر على القيام بذلك إذا صدقت نيته هو الملك فاروق نفسه. ويقول أحد كبار البريطانيين الذين يعيشون في مصر: "لو أن فاروق خرج غدًا للدفاع عن الديمقراطية الاجتماعية الحقة، فإن غضب شعب مصر عليه سوف يتلاشى بين عشية وضحاها".

قام الإخوان المسلمون على طريقتهم بإغداق المجاملات الشديدة على الملك، وقد عثر أحد الصحفيين الأمريكيين على ورقة مكتوب عليها ما يلي: "أخطأت جماعة الإخوان المسلمين برفضها اغتيال الملك فاروق في 1948، فهو أقوى رجل في مصر".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



فريق
متميزون
E-BOOK

أم تتنبأ بالمستقبل

في عام 1936، وفي فيلا من الحجر الغامق في ضاحية لندنية تدعى كنجزهيل، دق جرس الهاتف والتقطه فاروق الشاب اليافع ابن الستة ربيعا ليتحدث مع أمه الملكة نازلي التي قالت وهي تبكي: "لقد أصبحت ملكًا".

توفي الملك فؤاد، الذي يجمع بين الرشد والطمع بعد حكم دام 19 عامًا. وقبل الوفاة بستة أشهر وصل الأمير الشاب فاروق إلى بريطانيا لتلقي التدريب في الأكاديمية العسكرية الملكية في وولويتش، وحضور بعض الدروس في سلوكيات الملكية وفنونها. تم إقحام فاروق فور رجوعه للقاهرة في حياة القصور ومؤامرتها. أحاط به المتزلفون الذين لم يعصوا له أمرًا ولبوا كل رغباته.

ورث فاروق ثروة خاصة تقدر بـ 50 مليون دولار، ودخل سنوي 400 ألف في السنة و4 قصور فارهة وعزبًا ممتدة ويخوتًا. وكانت الملكة الأم نازلي تؤمن بقراءة الطالع والكوتشينة وغيرهما من وسائل التنبؤ. (تعيش الآن في بيفرلي هيلز حيث تشعر بالراحة كما تقول التقارير).

في العام الماضي حين وافقت على زواج ابنتها الأميرة فتحية لأحد عامة الشعب، انتزع فاروق الممتلكات المصرية الكثيرة التي تخص الملكة الأم والأميرة فتحية.

حين بلغ فاروق الثمانية عشرة بعد عودته إلى مصر بسنتين، تزوج فريدة ابنة الست عشر ربيعًا، التي تربت معه، وهي ابنة قاضٍ بارز في الإسكندرية، وكانت تنعم بقدر طيب من الجمال والذكاء وربط بينهما الحب. إلا أنه لم تمر إلا ست سنوات على هذا الزواج وباء بالفشل، وكانت القصة المتداولة هي؛ أن فريدة هجرت زوجها لأنه كان يجري وراء نساء أخريات. ويقول أصدقاء الملك إنها تتحمل جزءً من اللوم ولأنها بطريقة ما خيبت أمل الملك، إذ إنها حملت في ثلاث بنات ولم تنجب ولي العهد. اكتسب فاروق الشاب شعبية طيبة، وكان يزور المستشفيات بتأثيرٍ من أستاذه في جامعة أوكسفورد، وذلك إبان الغارات في فترة الحرب، وكانٍ أيضًا يزور الأماكن التي تعرضت للقصف ويساعد في إزالة المخلفات. ودرج على زيارة منازل الفقراء بنية طيبة وإن كان بسذاجة وفي إحدى الزيارات لأسرة فقيرة قال لهم: "آمل أن تتمكنوا يومًا ما من تناول الطعام الجيد الذي آكله".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

صديقه الكهربائي

وقعت حادثة هزت الملك، كما قال أصدقائه، وهزت ثقته في اختياره لأصدقائه من الغرب. فقد وقعت أزمة وزارية في مصر في فبراير 1942، حين كانت دبابات روميل على مرمى حجر من الإسكندرية وتبين أن الملك قد يعين رئيس وزراء موالي للمحور. طلب البريطانيون من الملك تعيين النحاس باشا الموالي للحلفاء، لكنه رفض لوقوعه في خلافات مع النحاس. وكان واضحًا أن الإنجليز سوف يقدمون على شيء إلا أن بعض البريطانيين المقيمين في القاهرة رأوا أنهم قد وقعوا في خطأ بتصرفهم هذا. وفي اليوم المحدد، اتجهت دبابتان بريطانيتان إلى القصر ووقفتا على مدخل قصر عابدين في القاهرة والتفت القوات حول المبنى وقام السفير البريطاني سير ماليز لامبسون بصحبته كبار الضباط الإنجليز بالدخول إلى حجرة مكتب الملك فاروق.

قال فاروق بعد ذلك: "ها أنا ذَا أقف خلف مكتبي ومعي مساعدتي. ودخل الإنجليز ووقفوا على الجانب الآخر من المكتب وبدأوا الحديث إليّ. نظرت حولي ووَقَعتُ على تعيين النحاس رئيسًا للوزراء". حين همَّ السفير البريطاني بمغادرة المكان قال له فاروق بكل برود: "يا سير ماليز ستندم على هذا اليوم".

حين توفي أستاذه من جامعة أكسفورد بنوبة قلبية في 1946، بحث الملك الذي يشعر بالوحدة عن رفقاء آخرين، وكانت اختياراته غريبة، كان منها صحفي لبناني قصير القامة أصلع الرأس اسمه كريم ثابت، وهو الآن المستشار الصحفي للملك وكاتم أسراره. وهناك اختيار آخر للملك وهو الإيطالي الذي يدعى بولي بيه الذي كان يعمل حلاقًا في القصر وكهربائيًا. إذ كان فاروق يتبعه وهو يعمل في القصر وهو منبهر بعمل بولي ككهربائي وهو يعمل الآن في حاشية القصر ويصلح كل شيء ويختار من يلعب بوكر مع الملك ويجيد الرقص. كانت زمرة ثابت وبولي وغيرهما ممن يلتفون حول الملك غارقين في المحسوبية وكانت هناك فضيحة كبرى ببيع أسلحةٍ فاسدة للجيش المصري، أميط اللثام عنها بعد حرب 1948.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

"أنا خميرة عكننة"

فاروق يشعر بالوحدة، ويود أن يكون محبوبًا لكن ليست لديه هذه المَلَكة، فقد اعتاد على الذهاب إلى حفلات كوكتيل عند صديق أمريكي قديم، لكن تبين له أن المدعوين الأخرين لا يشعرون بالراحة في صحبته ويلتزمون الصمت. وفي نهاية المطاف قال لمضيفه: "لن آتي إلى هنا مرة أخرى فأنا خميرة عكننة".

ما من شك في ذكاء فاروق وحيويته، فبعد تناوله كل صباح طبقًا من الشوربة و5 أو 6 بيضات، وطبقًا من الفول وفنجانًا من القهوة، يبدأ في الاطلاع على طائفة من التقارير التي يرسلها عملاؤه الخاصون في كل فرع من فروع الحكومة. ويطّلع بنفسه على قصاصات الجرائد والتلغرافات والتقارير الدبلوماسية فهو سريع البديهة، كثير القراءة يناقش قصص الصراعات والسياسة الخارجية بسبع لغات ويجعل من حوله من الموظفين في حركة دائبة.

إلا أن ذكاءه هذا حتى الآن لم يقترن برغبة في الاستمرارية والدأب. فمن آن لآخر يدخل على اجتماع مجلس الوزراء ويصدر إليهم الأوامر ويقول: "أنا أمثل الشعب". ويضع برامج مفصلة للإصلاح الاجتماعي لا تثمر عن شيء. فلم يتم حتى الآن القيام بأي شيء للوفاء بالاحتياجات الملحة في مجال الإصلاح الزراعي ومزيد من التصنيع. وقد قام هو شخصيًا بجهود حثيثة لوضع الأمور في نصابها. فقد تبرع ذات مرة بعشرة آلاف دولار لمكافحة الحفاء وعُهد عنه الاستجابة لطلبات العاملين وحل مشاكلهم ووزع على سكان القاهرة الكتب الأولى التي صدرت في مايو الماضي حين بدأت مصر في نظام الضمان الاجتماعي: ووضع في كل كتاب ورقة من المال تكفي لرعاية مسن لعدة أشهر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



هل فاتته الحافلة؟

لم يأل فاروق جهدًا في تقلد الزعامة في الشرق الأوسط، وحين وضعت الحرب أوزارها أشرف على إنشاء الجامعة العربية، وحين رفض ابن سعود الاشتراك أسرع بالسفر إلى السعودية لإقناع الملك العجوز، وإن كانت أهمية الجامعة العربية قد تلاشت إلى حد كبير، نظرًا للهزيمة النكراء التي مُني بها العالم العربي على يد الإسرائيليين. قل اهتمام فاروق بالشئون الخارجية وإن كان يتحدث بهمة في جلساته الخاصة ويتفهم خطر الشيوعية ويدرك أن مستقبل مصر مع الغرب.

ولا خيار أمامه إلا أن يترك وزير خارجيته يدين البريطانيين في العلن، وإن كان فاروق يعمل بصمت لوقف الحركة الوطنية للمحافظة على المفاوضات مع الإنجليز.

تحدث الملك في الفترة الأخيرة في مدينة "كَان" مع مندوب الصحافة الأمريكية عمّا يمكن القيام به لجعل فاروق شخصية محبوبة لدى الأمريكيين. فهناك الكثير من الأمور التي قد لا تحبب الأمريكيين في فاروق، وبنفس المعيار هناك الكثير من الأمور التي لا تحبب فاروق في الأمريكيين، ولا سيما دعمهم لإسرائيل وسياستهم السطحية العقيمة في الشرق الأوسط. تتألف السياسة الأمريكية الحالية في مصر مما يلي:

1) قلة من المساعدات المقدمة.

2) زمالات فولبرايت الدراسية.

3) التعاون السلبي مع البريطانيين.

4) الأمل في أن فاروق بعد عودته من شهر العسل سوف يكون أداؤه أفضل كملك. وبهذا فإن الولايات المتحدة لا يمكنها توجيه النقد إلى الملك واتهامه بالتقاعس.

يقول أحد المحررين المصريين: "تصر النُظُم الديمقراطية على تفويت الفرصة. فقد فاتتهم الحافلة في إيران. وهل ستصل إلينا بعثة هاريمان في مصر حين يكون الوقت قد مضى؟ ينبغي أن يتعدى الأمر ذلك".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

فاروق يقضي شهر عسل رائعًا

(جريدة بوسطن صانداي بوست: ٣٠ سبتمبر ١٩٥١)

إلى أي حدٍ يكون البذخ؟

ملك مصر المبذر يضع حدًّا جديدًا للتبذير

30 سبتمبر 1951

كان ملك مصر البدين يمتلك ثماني عشرة سيارة، وستة قصور وناديين ليليين وقطار وثروة شخصية تقدر بملايين كثيرة. وكان بإمكان الملك -البالغ من العمر 31 عامًا- شراء كل شيء إلا إعجاب العامة، وذلك في رحلته لقضاء شهر العسل الذي داني الذي أحداث الف ليلة وليلة إلا أنه غير من أسلوبه. توالت الليالي والملك -عريض المنكبين- يلعب البكارا والروليت والشومان دو فير في كازينوهات كان ومونت كارلو. كانت الملكة الجديدة ناريمان تنام هنيئةً في الجناح المخصص لها في فندق كارلتون في كان في حين يسعى فاروق إلى تجربة حظه في صالات القمار.

وكان يزيح بيديه قطعًا مستديرة قيمتها آلاف الدولارات على طاولة مغطاة بغطاء أخضر وهو يضحك على ما يتكبده من خسائر ويقول: "يقول الناس إني فقدت ثروات وهذا يجافي الحقيقة تمامًا. فأنا أعشق لعب الكوتشينة وأحيانًا ما أراهن أكثر من الناس العاديين. السبب في هذا أني مقتدر ماليًا." أورد تقرير خاص أن الملك الشقي خسر 300 ألف دولار في 9 أيام في كازينوهات كان فقط. ويصعب حساب ما تم تبذيره في ثلاثة أشهر، وهي مدة شهر العسل الأسطوري الأشهر في هذا القرن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



لا شيء إلا الأفضل

كان فاروق يسافر بالمركب والقطار والسيارة في صحبة الملكة والحاشية من منتجع أوروبي إلى آخر ويوزع الثروات على الطريقة الملكية المعتادة. تم حجز فنادق بأكملها، وجنت الكازينوهات وتجار المجوهرات أرباحًا طائلة.

رأى العالم ملكًا لا يعبأ بمهام الدولة، إنما التمتع بوقت طيب، في الوقت الذي يسعى ملايين المصريين الفقراء ودافعي الضرائب لنسيان همومهم بقراءة القصص على صفحات الجرائد.

في بداية شهر يونيو هبط الملك من اليخت الأبيض المدعو "فخر البحار" بلبس البحرية في صحبة عروسه و40 من حاشيته على شواطئ تاورمينا في صقلية.

وتوجهت المجموعة من ميناء تاورمينا إلى كابري، حيث تعرض الملك فاروق إلى بعض المشاكل مع المصورين. كان المصورون يحاولون تصويره وهو في أوضاع "غير مناسبة" واشتكي الملك من ذلك، وأصدر التعليمات إلى الحراس بمصادرة الصور. إلا أن المصورين واصلوا متابعته. تتبعه الصحفيون في كل مكان وهو يهبط من يخته أو يجلس في النوادي الليلية أو يقامر في الكازينوهات. وحاول فاروق كل مرة مصادرة الصور وحينما سُئل عن ذلك قال على طريقة الملوك: "إن هذه الصور تنتشر في بلدي ويمكن أن تكون لها عواقب غير حميدة".

تجنبًا لهذا اصطحبه 20 مخبرًا أينما ذهب، وكان بعضهم يحمل البنادق. وكان يجلس أفراد الشرطة على جنبات المائدة التي يأكل عليها فاروق وكان هناك شخص يتذوق المشروبات على سبيل الاختبار في كأس مرصعة بالزمرد والألماظ.

قال أحد الذين يحيطون به، إن هذا "مجرد إجراءات إحترازية معتادة". لم ينزعج فاروق على الإطلاق من هذا وكان راضيًا كل الرضا. وفي نابولي سمعه بعض رواد المطاعم وهو يصرخ بصوت عالٍ ويوجه النصائح ويقول: لا ينبغي أبدًا لرجل أن يتزوج في السابعة عشرة في إشارة إلى زواجه الأول في ريعان شبابه من الأميرة فوزية التي طلقها في عام 1948.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

المسألة سهلة يا رفاقي

قال فاروق وهو يدخن سيجاره الهافان السميك في إحدي الليالي في مدينة كابري، حينما هنأه الناس على انتصاراته في القمار: "لعب القمار مسألة سهلة بمجرد أن تعتاد عليه".

أعطي فاروق الإشارة بالمغادرة من منطقة الجنوب الإيطالي وبدأت سياراته الكثيرة بالتحرك نحو الشمال في صفٍ طويل. كانت في بداية الصف سياراته الثلاث الكاديلاك السوداء، وبها المخبرون ثم سيارة فاروق الخاصة التي كان يتبعها خاصته كمصطفى بيك، والد ناريمان ذي الشعر الأسود والأميرة فايزة أخت الملك وزوجها. ثم جاء بعدهم الطبيب الملكي والممرضات والسكرتيرات والنبلاء ومزيد من المخبرين وكان هذا الجمع يحتاج إلى 50 غرفة في الفندق.

وفي فينيسيا ربح فاروق في مرات متتالية عدة آلاف من الدولارات في ليلة من ليالي القمار وطلب طائرةً محملةً بملابس صيفية للملكة ناريمان. بعد 6 أيام كانت هناك رحلة سريعة إلى ميلانو لركوب قطار من ثلاث عربات ثمنه 3 ملايين دولار. وتوجه الجميع على متن القطار إلى لوجانو سويسرا، حيث قرر فاروق القيام برحلة على البحيرة. التقط مصور سويسري صورة له وعلى إثرها أمر الملك الغاضب بالتحفظ على الرجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الملك يغادر

اشتكى المصور إلى الشرطة، وتمت إعادة الصور له. بعد 4 ساعات من ذلك قرر الملك المغادرة على وجه السرعة وتوجه إلى الحدود الإيطالية. أرسلت الحكومة السويسرية مسئولًا للاعتذار ولكن فاروق كان غاضبًا كل الغضب. وصل فاروق إلى إيطاليا بعد عبور البحيرات والبلدان واستقر به المسير في بحيرة كومو وسرعان ما استعاد طبيعته المرحة. كسب فاروق في سان ريمو 37500 دولار والتقي بعارضة أزياء اسمها جريس أندروز وطلب منها أن ترقص معه إلا أن الشائعات التي كانت تدور على لسان من حول الملكة ناريمان كانت تشير إلى وريث محتمل لفاروق.

بعد بضعة أيام اتجه فاروق وعروسه من سان ريمو إلى مونت كارلو، حيث عاود اللقاء بجريس أندروز في الكازينو، وقضى الأمسية معها كشريكة له على طاولة القمار.

في التاسع من أغسطس عاد فاروق كالمنتصر إلى مدينة كان. وبعد انتظار دام 3 ساعات استيقظ فاروق من قيلوته ليجد عمدة المدينة في استقباله وتحيته وانتقلا إلى فندق كارلتون.

تم تخصيص الدور الأول في هذا الفندق الفخم للحاشية الملكية بتكلفة 1500 دولار في الأسبوع، مما تسبب في حنق النزلاء في الدور.

عاد ملك مصر، حياته المعتادة. استعد الملك لالتقاط صورة بعد أن التهم دجاجة من الدجاجات الأربع التي درج على تناولها في العشاء ثم جلس يدخن في بهو الفندق وهو يرقب الفتيات جيئةً وذهابا.

عقب ذلك كان هناك عشاء للملكة وحاشيتها في الكازينو، تبعه جلسة قمار في منتصف الليل. بحلول التاسعة صباح اليوم التالي، كان فاروق قد خسر 1500 دولار.

في عصر ذلك اليوم سبح الملك في مياه البحر المتوسط المحيطة بشاطئ الأغنياء في منطقة "أنتيبس"، وتم تنظيم سباق سباحة فاز به الملك كما هو متوقع. تضمن عشاء تلك الأمسية المزيد من الدجاج والكافيار ثم كانت هناك جلسة طويلة من القمار.

استمر هذا الوضع 11 يومًا وليلة، حتى ورد ما يفيد بضرورة وجود الملك في اجتماع للمجلس في مصر. وعلى إثرها غير فاروق أسلوب حياته، وبدأ يأوي إلى فراشه في منتصف الليل. ليس معروفًا إن كان اجتماع المجلس سببه ما

تعرضت له رحلة شهر العسل من نقد أم لا، لكن يبدو واضحًا أن ضغوط الرأي العام أطفأت بريق شهر العسل الأشهر في هذا القرن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تنحية الملك

6 ساعات حاسمة

رئيس مصر الجديد يفصح عن قصة الانقلاب

الذي أطاح بفاروق

(مجلة لايف: ٢٥ أغسطس ١٩٥٢)

25 أغسطس 1952

عن اللواء محمد نجيب

كما نقلها ديفيد دوجلاس دانكن

في 26 يوليو، أذهل اللواء محمد نجيب، رئيس أركان القوات المسلحة المصرية العالم بإعلانه أن فاروق لم يعد ملكًا على مصر. وأوضح الجنرال نجيب لمجلة لايف القصة المخفية عن إطاحة مجموعة صغيرة من الضباط بحكم الطاغية الغاشم. وتعرض المجلة هذه القصة كوثيقة تاريخية. وهي بطبيعة الحال القصة كما روتها الميليشيا العسكرية الانقلابية والتي تعبر في بعض الأماكن عن الحماس الوطني لبعض أعضائها كما ورد على سبيل المثال في الإشارة إلى إسرائيل "كعدو يهدد جبهاتنا الشرقية".

وبعد فترة وجيزة من الانقلاب، بدأت حكومة نجيب الجديدة في الوفاء ببعض وعودها كبرنامج الإصلاح الزراعي وتخفيض العبء الضريبي على الفقراء، والتخلص من فساد النظام القديم والقيام بانتخابات عامة في شهر فبراير. إلا أنه كان هناك في الأسبوع الماضي دلائل على أن القيادات الجديدة وقعت بينها إشكالات - إضراب في بعض مصانع القطن، تحولت إلى أعمال عنف، وأعلن اللواء نجيب بأنه يفخر بإنهاء الرقابة على الصحف بعد وقوع الانقلاب، إلا أنه ينبغي فرض رقابة جزئية في هذه الآونة.

ورد في الذكر الحكيم:

"يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ..... وَيَا سَــمَــاءُ أَقْلِعِي

وَغِيـــضَ الْـمَـــــــــاءُ..... بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

نجيب يصلِّي

إن بذور كفاحنا من أجل الحرية بذرناها منذ سنوات وسنوات مضت... والآن، والآن فقط وبعد طول انتظار ها هي وقد أينعت. لم نكن سوى حفنة من الرجال قلوبهم عامرة بالإيمان. كما أننا رجال يشعرون بالخجل والإذلال الذي فرضته علينا الحملة في فلسطين ونحن -كرجال هذه الأمة- استجبنا لنداء الواجب في ربوع سيناء. وسعينا بشعور الوطنية كمصريين لصد خطر العدو عن الجبهات الشرقية فيما بعد السويس. ونحن إذ نحارب على رمال الصحراء الملتهبة اكتشفنا أن العدو يتربص بنا بليل ويتمترس في عقر دارنا ووراء ظهورنا، إنهم خونة الدماء. إن الأسلحة التي تسلمتها قواتنا كانت بها أجزاء مهمة ناقصة ووصلت الذخيرة أخيرًا إلى المخازن، لكنها فاسدة، وكانت الإمدادات الطبية لعلاج الجرحي وهم كثير إمدادات هزيلة والكثير من مستلزمات الأسلحة الميدانية الضرورية للغاية لم تصل. واقع الأمر أنه قد أحيط بنا وتحققت المخاوف التي كانت تساورنا، ونحن في المعسكرات قبل الحرب.فولاة الأمر باعوا أنفسهم ومواطنيهم وأولادهم للشيطان.

لقد استمرأوا سوء السمعة، وسولت لهم أنفسهم خيانة الوطن. لكن كانت هناك وللمرة الأولى- مجموعة من الضباط اتحدوا على قلب رجل واحد لمواجهة الخطر وتخليص الوطن من قبضة الخونة الذين تاجروا بشرفهم وبحياة إخوانهم في الوطن.

يقف نجيب ومساعدوه في إنتظار رئيس الوزراء تحت صورة للملك فؤاد الأول والد فاروق. ويفسر نجيب أنه قد تم إنزال صور فاروق كشخص إلا أنه لم يتم التخلص من الملكية

لقد شعرنا بالمرارة أن سمعة وطننا قد مُرغت في التراب، ولذا وهبنا أنفسنا لاستعادة الكرامة. ولقد سعينا منذ البداية إلى تغيير الأمور، ووزعنا منشورات على الناس عن تاريخنا الأسود وحذرنا الملك وطالبناه أن يعود إلى رشده.

الرجل الذي قاد الانقلاب جلس لمصور مجلة الحياة ديفيد دوجلاس دنكن، وهناك العديد من الصور في الصفحات الخمس المقبلة. وبعد أن صور نجيب وهو يؤدي صلاته اليومية طرح نجيب أفكاره عن الدين. "لا خير في من لا دين له". وقال: "ليست لدينا مشكلة مع أي دين أو نحلة. بإمكان اليهود والمسيحيين والمسلمين العيش معًا في سلام في مصر" سعى الطغيان بكل قواه وبكل الشر الذي يكمن خلفه ويدفعه ثم يقف بجواره أن يطفئ النور ويخنقه ولا تزال القوى الشريرة تواصل ظلمها. فلقد حاربوا الفضيلة وحموا الرذيلة وأصبح عرشهم رمزًا للمحسوبية والفساد والشهوات. لقد وطئوا على

سمعة مصر بأقدامهم وجعلوا هذه البلد جزءًا من العالم لا يصلح للاستقلال ولا يستحق أن يكون له سجل ناصع يفخر به. ولكن لا يزال صوتنا الخفيض ينطق للدفاع عن هذا البلد الذي يعمر الإيمان جنباته ويعتمل في قلوبنا وهو مصدر القوة للتصدي لقوى الشر وهزيمتها، لكن آذان الطغيان صماء وعيونه عمياء. لقد تجاهل هو هذه التحذيرات ونعت مطلقيها بـ "الصبيان".

ثم وقع حدث بسيط ألا وهو انتخابات اللجنة العامة لنادي الضباط، وحاول الملك أن يهيمن على هذا الجزء من حياتنا. وكان مرشح الملك الفريق حسين سري عامر، الذي يعتبره الكثيرون غير مؤهل لأن يرتدي زينا العسكري، فلقد ذكر اسمه مرارًا وتكرارًا، وارتبط بتجارة المخدرات ثم الاتجار في أراضي الدولة. وتساءل الكثير من الضباط عن صلته بفضيحة الأسلحة الخاصة بحملة فلسطين. فلقد رفضناه ورفضنا الملك.

اشتاط الملك غضبًا، وجرحت كرامته لوجود مجموعة من الرجال يتحدون سطوته في مصر، وكان رده التآمر على هؤلاء الضباط والإيقاع بهم والقضاء عليهم، وطالب بعقد جمعية عمومية لأعضاء نادي الضباط لتغيير دستور النادي حتى يتسنى له فرض إرادته، لكن مني بهزيمة أخرى هزت كيانه. وحاول أن يوقع بكل من يعترض عليه، فقام بحل اللجنة العامة للنادي المنتخبة انتخابًا حرًّا. وكانت هذه مسألة بسيطة ولكنها كانت بداية النهاية.

نحن جنود مصر نتطلع إلى عنان السماء، ودعونا الله أن ينيرنا إلى سواء السبيل وأعددنا لشيء عظيم ثم توجهنا مرة أخرى إلى الله، وطلبنا منه أن يقرب يوم الكفاح ويوم التحرير واليوم الذي يحيطنا فيه بأمنه وحمايته.

نعمل كل يوم مع وحداتنا ونتدرب، لكن ذات مساء اختلف الأمر حيث التقت مجموعة صغيرة من الضباط وحددت ما يقوم به كل منا حينما تصدر الإشارة والخطة كانت بسيطة وسهلة ولكنها قوية وحاسمة وأتخذت كل الإجراءات لاستباق كل الخطوات التي قد يتخذها الطغيان. وحينما حاول هو أن يفرض إرادته بما يضر مصالح البلد كنّا مستعدين فلقد أقسمنا أن نخلص الأمة من الطغيان والذل والعار أو نموت.

لقد أطلقنا على أنفسنا الضباط الأحرار، وكانوا كلهم من صغار الضباط برتبة ملازم أو رائد على الأكثر باستثنائي أنا. ولم تكن لأي منهم أي صلة بالأحزاب أو الجماعات الدينية كالإخوان المسلمين. وتمت مناقشة خطط الانقلاب معي، ثم وضعت في أيدي تسعة من الضباط هم أعضاء اللجنة العامة. وحتى أنا لم أكن أعرف هؤلاء التسعة رغم أنني بعد ذلك طلب إليَّ أن أكون قائد المجموعة وعرفت بعد ذلك أن نقطة الإتصال هي أحد أعضاء هذه اللجنة وبناءً عليه تم تأمين العمل تمامًا رغم سطوة الطغيان ومع ذلك أقسمنا جميعًا

على السرية لحماية الخطة وحمايتنا، وكنّا نعوِّل على ما يتسم به كل ضابط في المجموعة من شرف وكرامة.

بتزايد حجم الحركة، تحققنا بدقة شديدة من كل إنسان يعمل معنا وكما هي الحال في كل البلدان وفي كل الجيوش كان هناك البعض الذي لا يمكن أن يُعَّوَل عليه حتى نتأكد أن النصر حليفنا. وحتى في ثورتكم في سنة 1776، ورد أن ثلث سكان المستعمرات هو الذي كان سيقدم على التمرد ببنادقهم..

جرت الاتصالات في الصفوف الدنيا على نحو غير مباشر ولم يتم ذكر أي شيء عن الخطة أو عن ضباط اللجنة العامة الذين كانوا يعكفون على وضع كل تحرك حينما تسنح الفرصة. وتم توجيه كل جهودنا على رفع الروح المعنوية للأعضاء لنعدهم لكي يقوموا بدورهم في التخلص من الطغيان الذي كاد أن يقضي على مهنتنا وعلى أمتنا.

وقامت اللجنة العامة بوضع خطة التحرير التي لم يشترك فيها إلا حفنة صغيرة من الرجال، ذلك أنه ليس هناك عدو حقيقي، لأنه ليست هناك معركة وإنما الأمر كان السيطرة على بعض النقاط الأساسية داخل الجيش، ثم إستبدال كبار الضباط الذين يحيط الشك بولائهم.

كانت هناك نقاط أخرى داخل مدينة القاهرة ينبغي عزلها في نفس الوقت حتى نحمي جوانبنا. وكانت لدينا أيضًا لجان محلية مؤلفة من ضباط متفانين من كل أفرع القوات المسلحة، وعددهم صغير بالضرورة، حيث تم تمثيل كل الأسلحة (المدفعية والمدرعات والمشاة) وكذلك القوات الجوية والقوات البحرية، وانتظروا كلهم الإشارة وكانوا على أهبة الاستعداد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تسببت الأزمات في الانقلاب

حلت بالبلد أزمتان واحدة تلو الأخرى. طلب الملك من حسين سري باشا (سابقًا) (تم إلغاء الألقاب بعد ذلك) وهو من الشخصيات المعتدلة في الحياة العامة المصرية، أن يشكل الوزارة ويترأسها. كان ذلك في الثاني من يوليو 1952. وبما أن حسين سري كان يعلم بمدى ولاء بعض الرجال في القوات المسلحة لي ولا سيما في صفوف المخضرمين الذين عاصروا حرب فلسطين فإنه طلب إلى الملك أن يعينني وزيرًا للحربية ورفض العرش هذا التعيين. عدل حسين سري عن رئاسة مجلس الوزراء وسقطت حكومته يوم 21 يوليو.

وطلب الملك من أحمد نجيب الهلالي (باشا سابقًا) رئاسة الحكومة وتشكيلها. وتبدت إشارات النصر في تعيين وزير الحربية إسماعيل شيرين، عديل الملك وهو شخص مدني فرض على الجيش ومنح رتبة عقيد. رأى أعضاء اللجنة العامة أن هذه إشارة من إشارات العصر وإن كانت أتت من أعلى.

صدرت التعليمات من اللجنة العامة لكل مجموعة من الضباط الأحرار في القوات المصرية وتم تحديد ساعة الصفر في الواحدة والنصف من صباح 24 يوليو، وبما أنه سرت شائعات بوجود قلاقل داخل الجيش لمدة ثلاثة أو أربعة أيام تقرر تقديم ساعة الصفر يومًا كاملًا لتكون في الواحدة والنصف صباح يوم 23. بالقطع كان الله يهدينا. بدأت الخطة الرئيسية تتضح وهمَّ شباب مصر بالتحرك السريع والمنظم على طريق أجدادهم في الصحراء. وبدأوا في الوصول إلى معسكراتهم، وصدرت الأوامر لهم بالاستعداد والتمركز في الساعة 11.30 مساء الثلاثاء 22 يوليو، كما صدرت في الساعة 11 أيضًا إشارة إلى اللجنة المركزية مفادها؛ أن هناك ما يدعو إلى الاعتقاد أن الخطة قد كشفت، حيث إن أحد شباب الضباط رأى اثنين من المشكوك في ولائهم، وهو يخرج من بيته وأوقفوه للحظة لأنه كان مسلحًا وقد شعر بالارتباك وكانت ردوده على أسئلتهم مرتبكة. وقد كان ففي هذه اللحظة اتصل هذان المخبران باللواء حسين فريد رئيس أركان الجيش ولكن كان ضباط اللجنة العامة على ثقة تامة في الخطة وفي الله وإنتظروا ساعة الصفر التي إقتربت وكانت هناك مجموعة من الضباط يجوبون القاهرة وينتظرون.

تم تقسيم القاهرة في الخطة الأساسية إلى أربعة قطاعات، وخصصت اللجنة العامة لكل قطاع فريقًا من 4 ضباط ومجندين، وكان كل فريق مزوّدًا بعربة جيب وحافلة مغلقة قوية. وكان يتعين على كل فريق أن يلقي القبض على ضباط بعينهم في القطاعات وهذا كان الهدف الأول في الخطة، وذلك لعزل القادة عن جنود الجيش، ولا سيما كتائب المدرعات، وكان عدد كبار الضباط

من 8 إلى 10 في كل قطاع وكان يتعين على الضباط الأحرار حين يصلون إلى منازل الضباط المطلوب القبض عليهم أن يداهموا منازلهم ويلقوا القبض عليهم. وكانت الخطة تقضي بدخول اثنين من الضباط الأحرار للقيام بالمهمة، في حين يبقي الاثنان الآخران بالخارج، ويقوم المجندون بمراقبة أسفل المنزل والشارع. بعد إلقاء القبض على الضباط يتم وضعهم في الحافلة المغلقة، ويظلون بها حتى يتم القبض على جميع المطلوبين. وبعد انتهاء عملية القبض عليهم يرحلون إلى ثكنات الكلية الحربية، ويتم التحفظ عليهم حتى الانتهاء من تنفيذ الخطة الرئيسية. وتم تنفيذ هذا الجزء على نحو كامل وسليم.

وكانت الوحدات الأخرى تتحرك حول القاهرة حين جاءت ساعة الصفر. تم الانتهاء من المرحلة الأولى، وكانت هناك حلقات من الضباط الذين تم اختيارهم لمحاصرة الثكنات العسكرية، وساعدتهم في ذلك عربات مدرعة كانت على اتصال بالإشارة إلى بعضها بعضًا. وكان يتعين منع جميع الضباط من الوصول إلى قواتهم حتى لا يصدرون لهم أي أوامر، ولم تكن القوات ذاتها على دراية من أن الأوامر تصدر لهم من الضباط الأحرار، أو أنهم بالفعل كانوا مشاركين في الانقلاب. وقامت قوات المشاة بدعم من العربات المدرعة بالسيطرة على الإذاعة والسنترال المركزي ومحطة السكة الحديد والمقر العام للجيش المصري وطُلِبَ إلى الدبابات أن تسيطر على النقاط الإستراتيجية في المدينة وأن تستعرض ما لديها من قوة بدعم من سلاح المدرعات وذلك للحيلولة دون وقوع أي قلاقل.

أحاطت قوات المشاة بالمطارات الموجودة في القاهرة ودعمتها في ذلك العربات المدرعة وقاموا بمنع دخول الأشخاص غير المرغوب فيهم إلى أرض المطارات. لم تقع أي أحداث وتم سحب القوات في العاشرة صباحًا بعد تصوير الميادين فقط في ساعات الذروة من الصباح الباكر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ضربة حظ كبرى

كانت هناك ضربة حظ كبري تمثلت في أن رئيس الأركان، اللواء حسين فريد بعد أن تلقى معلومات من المخبرين أصدر أمرًا إلى اللواء حسن حشمت قائد سلاح المدرعات بالتحري عن أي قلاقل بين القوات وبدلًا من الاتصال الهاتفي أو إصدار تحذير همَّ هو بالتوجه إلى المعسكر مما خدمنا خدمةً كبيرة وتم القبض عليه بمجرد الاقتراب من الثكنات. كما تم القبض على اللواء على نجيب أخي بنفس الطريقة وحتى رئيس الأركان تم القبض عليه في المقر العام ولم يبدِ إلا مقاومة بسيطة هو وحراسه. كان هناك فقط إثنان من المجروحين جروحًا طفيفة ولم يتم إطلاق أي طلقات أخرى في عملية الاستيلاء على القاهرة.

كانت هناك حادثة وقعت في المرحلة الأولى أدت إلى مشكلة كبيرة للضباط في اللجنة العامة، حين علموا بنجاح الخطة. كان يتعين عليهم إخبار البعثات الأجنبية في القاهرة بأنه لا داعي للجزع، وأن العملية لا تعدو كونها تصحيح داخلي طال انتظاره قامت به القوات المسلحة المصرية. لكن بما أن الضباط المصريين كانوا صغارًا في السن لم يكن لهم أي اتصال مع أي من الأجانب وحينها تذكر أحد الضباط ذلك الأمريكي الذي التقى به في مناسبة اجتماعية من قبل، وبناءً عليه كان المقدم ديفيد إيڤنس الملحق العسكري في السفارة الأمريكية أول من تم الإتصال به من الأجانب من جانب اللجنة المركزية للانقلاب وكان معروفًا أن السيد جيڤرسون كافري السفير الأمريكي موجودًا بالإسكندرية وهي العاصمة الصيفية لمصر. ولو كان موجودًا في القاهرة وحتى إن لم نكن نعرفه كنّا سنخبره شخصيًا ونؤكد الأمر له لأنه كان من الشخصيات التي تحب عملها في مصر وأرى شخصيًا أنه أفضل سفير أمريكي شهدته مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مكالمة هاتفية متأخرة

وقعت واقعة مسلية وليست خطيرة في الرابعة صباح الأربعاء 23 يوليو، إذ تلقيت مكالمة هاتفية في المقر من ضباط اللجنة المركزية حيث طلبوا أن أتسلم مهامي كقائد للقوات المسلحة المصرية وكنت قد توقعت حين رنّ جرس التليفون أن هذه مكالمة من الإسكندرية من مرتضى المراغي، وزير الداخلية في وزارة أحمد نجيب الهلالي. قال لي الهلالي إنه قد سمع تقارير عن أنشطة غريبة في القاهرة، وطلب مني أن أتبين إن كانت هناك أي خطورة، وأن أعاود الاتصال به إن لزم الأمر، وقلت له: حاضر يا أفندم (عينيّه سيادتك) وبعد المكالمة واصلت عملي كقائد للانقلاب، ورأيت أنه مضيعة للمال أن أعاود الاتصال به ذلك لأن وزارته سقطت في عصر ذلك اليوم.

واتضح في الساعة السابعة والثلث صباح يوم الأربعاء 23 يوليو، أن الخطة قد كللت بالنجاح، ودانت السيطرة للضباط الأحرار على القاهرة، وساد الهدوء، وبناء عليه صدر بيان من الإذاعة باسمي لإخبار الناس بالانقلاب وتحذير من تسول له نفسه الإقدام على شيء فإن قواتي صدرت لها الأوامر بإطلاق النار على من يقدم على النهب أو إحداث القلاقل السياسية وأكدنا للأجانب في القاهرة أننا نضمن أمنهم وسلامتهم. وحتى لا يكون هناك سوء فهم طلبنا إلى القوات الجوية أن تقوم بطلعات إستطلاع فوق القاهرة ابتداءً من صبيحة ذلك اليوم وتمت مراقبة دورية لكل الطرق إلى المدينة من الصحراء والدلتا وحلقت 6 طائرات قاذفة فوق القاهرة كما حلقت الطائرات النفاثة فوق مآذن المدينة. وكان هذا إستعراضًا للقوي كما كانت الحال بالنسبة للدبابات وكانت الطائرات كلها مسلحة وبها قوات مقاتلة. وبهذا إنتهت المرحلة الأولى.

بدأت المرحلة الثانية على الفور وتم نقل قائمة من المطالَب إلى العرش وأهمها تسمية علي ماهر، رد العرش بسرعة غير مسبوقة، على طلب الجيش وسقطت حكومة أحمد نجيب الهلالي على إثر ذلك بعد فترة لم تدم سوى 24 ساعة، وطُلِبَ إلى علي ماهر أن يكون رئيسًا للوزراء. وحينها علمنا للمرة الأولى أن قوى الطغيان إندحرت. وفي وقت متأخر من مساء 23 من يوليو، وفي الساعات الأولى لـ 24 منه قررت اللجنة المركزية وأنا أن نقوم للمرة الأخيرة بتخليص مصر من أوجاعها، وذلك بالقضاء على هذه الأمراض في منبعها وتعاهدنا على الزحف إلى الإسكندرية وخلع فاروق من العرش.

بحلول الساعة السابعة من صباح الجمعة 25 يوليو، كان الضابط المسئول في اللجنة المركزية عن الخطة والعمليات في الإسكندرية يعد العدة لمحاصرة المدينة ولم نكن نعرف حينها في أي قصر يعيش الملك، المنتزة أم رأس

التين وحتى كان هناك احتمال بأنه موجود في الجناح الملكي لمستشفى فؤاد حيث إعتاد المكوث في هذا الجناح للترويح عن نفسه.

كان الملك موجودًا في قصر رأس التين، لكن للتأكد من عدم وقوع أي هفوة وضعنا الخطط لمحاصرة القصرين.

وبمجرد وصولي إلى الإسكندرية بالطائرة بدأت المرحلة الثالثة وتم تنصيب علي ماهر رئيسا للوزراء وكانت القوات تأتي إلى الإسكندرية برًّا وبالقطار وتمت السيطرة على الألوية الموجودة في الإسكندرية، ولم تكن هناك أي أعمال تخريب أو تدخل من أي نوع وكانت ساعة الصفر عصر ذلك اليوم إلا أنه قد تأخرت بعض القوات القادمة من الطريق الصحراوي وبناءً عليه تغيرت ساعة الصفر إلى الساعة 7.30 صباح السبت 26 يوليو. وفي مساء السبت 25 يوليو صاغ إثنان من الضباط في اللجنة المركزية الإنذار الأخير إلى الملك وكان المفروض أن يتسلمه بعد أن تصل قواتي لمحاصرة قصره صباح اليوم التالي.

وفي ساعة الصفر يوم السبت 26 يوليو، تمركزت قواتي في مواقعها أمام قصري المنتزة ورأس التين. كان فاروق في قصر رأس التين كما أعلمنا ضابط العمليات وكانت أوامر المعركة تفيد بأن تواجه الدبابات حوائط القصر بمساعدة من المشاه والمدفعية وكانت هذه هي الخطة التي يتعين تنفيذها إلا أنه كان هناك خطأ صغير وإن كان مدعاة للسعادة.

أساء أحد الضباط تفسير الأوامر التي صدرت إليه، حيث ترأس قوات المشاة التي كانت تسبق الدبابات والأدهى أنه واصل التقدم بقواته إلى نقاط التماس.

يا له من خطأ جميل، فقد وصل تقريبًا إلى الحرملك من القصر وحينها أدركت قوات الحماية المسلحة بالمدفعية تقدم الجنود. من شدة فرحهم أطلقوا بعض الطلقات ربما عن طريق الخطأ على الضابط وجنوده الذين أسرعوا بخفة بالارتماء على الرمال وبعد بضع دقائق بدأوا الغناء كالريح التي تخترق نوافذ القصر وفي نهاية المطاف وقفوا شاهرين أسلحتهم ولم يطلقوا النار وكان هذا منظرًا بديعًا ولم يكن هناك إلا مقاومة بسيطة وكان عدد المصابين ستة منهم واثنين منا أصيبا بجراح طفيفة ولكن الأهم أن هذا الحادث أزال الشكوك المتبقية في عقل الطاغية فاروق عن طبيعة الدعوة التي قدمناها له فجر هذا اليوم.

في صباح اليوم الأخير، كان موقع القيادة الخاص بي في المقر العام الصيفي في ثكنات مصطفى باشا وكنّا على اتصال دائم بالقوات عن طريق اللا سلكي والهاتف، ومنذ ساعة الصفر في السابعة والنصف صباحًا، تم إغلاق السنترال ووقف الاتصال به ولا سيما بالنسبة للسنترال الرئيسي للقصر بحيث لا تكون

هناك مكالمات من القصر دون علمنا وكان المفروض أن يسلم علي ماهر الإنذار الأخير في التاسعة صباحًا وكانت المهلة من ساعة إلى ساعة ونصف الساعة، حسبما حددنا نحن، لأننا رأينا أنه من الأفضل نفسيًّا لفاروق أن نتيح له بعض الوقت حتى يفكر بهدوء.

كانت الطائرات النفاثة ماركة ميتيور ودوهاڤيلاند ڤامبير، تحلق فوق القصر تعلوها طائرات قاذفة ذات محركات أربعة محملة بالقنابل الثقيلة، وكان هناك تحكم في البث الجوي طيلة الوقت لأننا شعرنا أنه قد يهم بالهروب بحرًا أو عن طريق الصحراء إلى ليبيا، وفي حالة أن يحاول الهروب جوًّا فإن طائرة أخرى من طراز هوكرفيورز كانت ستعترضه. لكنه ظل في القصر.

في التاسعة صباحًا، طلبت من رئيس الوزراء الذي كان في مقره الرسمي في بوكلي الإسكندرية أن يسلمه الإنذار الأخير وتوجه علي ماهر إلى قصر رأس التين وسمح له بالدخول على الفور. كان ذلك في التاسعة والربع صباح السبت 26 يوليو. عدت إلى مقر القيادة لإنتظار ما يقوله رئيس الوزراء، الذي اتصل بي في الحادية عشرة وقال: إن الملك فاروق قَبِل الإنذار الموجه من الضباط الأحرار في الجيش المصري، ووقع عليه وهو الإنذار الذي طالبه بما يلي:

1 - بالتوقيع على التخلي عن عرش مصر ابتداءً من الساعة الثانية عشرة ظهرًا من نفس اليوم.

2 - ترك مصر إلى الأبد ابتداءً من السادسة مساء نفس اليوم. أسرعت بالذهاب فورًا إلى مقر رئيس الوزراء للتحقق من التوقيع على الإنذار الأخير، وقبوله وكان التوقيع صحيحًا وسليمًا وانتهى فاروق طاغية مصر.

قبل عودة رئيس الوزراء إلى مقر إقامته بالإنذار الأخير الموقع عليه، جلس علي ماهر مع فاروق في قاعة باب الملك في قصر رأس التين، وخارج القصر حدث في نفس الوقت شيء عجيب حيث كان هناك شاب أمريكي يدعي روبرت سيمبسون مساعد السفير كافري، كان يحاول أن يشق طريقه بالسيارة من خلال القوات المحيطة بالقصر، وكان مصرًا إصرارًا شديدًا فأصدرت أوامري بأن يسمح له بالمرور وعلمت أنه في اتجاه باب الملك مباشرةً. كان واضحًا أن فاروق قد مُنّي بالهزيمة وكنّا نعلم أن فاروق وعلي ماهر كان يجلسان بمفردهما جنبًا إلى جنب حينما أشار فاروق بدخول الشاب الأمريكي، وقال له تفضل تفضل إنني سعيد سعادة غامرة لم تخالجني في حياتي برؤيتك. ليس لدينا وقت طويل ولدي أمران أود أن تنقلهما إلى سفيرك. جلس علي ماهر هناك حيث كان الوقت يمضي ولم يتفوه بكلمة وكان يعلم أن المهلة المحددة بالثانية عشرة ظهرًا مهلة نهائية. أضاف فاروق

للشاب الأمريكي "اطلب منه آن يبذل قصارى جهده لإنقاذ حياتي. ولو وافق فليأت لوداعي". غادر الشاب الأمريكي المكان، وعاد علي ماهر إلى مقره لصياغة وثائق التخلي عن العرش. من الغريب أن يكون الأمريكيون أول من يلجأ إليه العرش والضباط الأحرار في حين أننا نتذكر كيف كان شعورنا حيالكم أيها الأمريكيين، والكثير من مواطنيكم يهمون بتقديم السلاح والمال إلى إسرائيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تحية للعرش

بما أن فاروق كان ملكًا لمصر حتى الثانية عشرة من ظهر ذلك اليوم، قررنا أن نقيم له تشريفة كاملة عند رحيله، ليس لشخصه كفرد، لكن إحترامًا منا للعرش. أرسل فاروق في الساعة الخامسة وخمس وثلاثين دقيقة بعد العصر الملكة ناريمان وبناته الثلاث والملك الطفل أحمد فؤاد إلى يخت المحروسة الذي كان ينتظرهم ومكث فاروق داخل قصر التين ليقضي الدقائق القليلة المعدودة الباقية له في مصر. وكان معه رئيس الوزراء علي ماهر والأميرة فايزة وزوجها على رؤوف، والأميرة فوزية وزوجها إسماعيل شيرين والسفير الأمريكي السيد چيفرسون كافري ممثلًا لكل البعثات الأجنبية في مصر وكذلك مساعده روبرت سيمبسون ولم نحرص نحن الضباط الأحرار على وجود أي ضابط في القصر في تلك اللحظة.

ودع فاروق أخواته وهو لا يزال في القصر، وترجل هو وعلي ماهر والسيد كافري وإسماعيل شيرين وسيمبسون إلى المصعد، وهبطوا إلى الدور الأول، حيث توجهوا إلى المركبة التي ستحمل فاروق إلى المحروسة وعزفت فرقة موسيقي القصر الملكي السلام الوطني حين خطى الملك إلى الرصيف. ارتفع عويل وأصوات المخلصين من خدم القصر على الطريقة المصرية للإعراب عن حزنهم في هذه اللحظة على نحو يصم الآذان. وأطلقت 21 طلقة تحية للملك الراحل.

أدى ضباطي التحية للملك، وهو يخطو على الرصيف، وحين كان بمفرده وقف في نهاية الرصيف، وهو يرتدي الزِّي الأبيض الناصع لقائد بحري مصري، ولم يبد أي مشاعر في وضعه هذا، وكانت عيناه على ساعة يده. وفي تمام السادسة مساءً رفع عينيه وخطا إلى المركبة التي حملته إلى يخت المحروسة.

وفي السادسة وأربع دقائق، وصلت أنا إلى قصر رأس التين، وكان هناك لانش تسيُقلّني إلى اليخت الملكي. وهناك قلت للسيد فاروق: مع السلامة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وداعًا لفاروق. أطلقت سفينة بحرية مصرية 21 طلقة في حين أبحر اليخت الملكي إلى خارج ميناء الإسكندرية للمرة الأخيرة

محمد نجيب: رجل طيب

(مجلة التايم: ٨ سبتمبر ١٩٥٢)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

8 سبتمبر 1952

أتيحت الفرصة للصحفيين في مصر في الأسبوع الماضي للاطلاع على البذخ في قصور الملك السابق فاروق. حيث كانت الدهشة تكسو وجوههم، وهم ينظرون إلى الرخام والذهب والألماظ واللآلئ وبراميل الويسكي وتلال العملات النادرة والتماثيل العارية، وكل هذا إنما يتناقض تناقضًا صارخًا مع ما يسود خارج جنبات القصر. فلقد رأى الصحفيون أكثر المناطق الشعبية الريفية فقرًا وهي دلتا النيل حيث يكدح الفلاحون كما يكدح معظم المصريين ويعيشون في بيوت من الطوب اللبن ويرتدون ملابس مرقعة ويأكلون خبز الفقراء (مصر بها نوعان من الخبز، خبز الأغنياء وهو الخبز الأبيض بأنواعه والمتوفر للأغنياء دون سواهم وخبز الفقراء الأسود). ثلاثة أرباع المصريين لا يملكون أكثر من قيراطٍ واحد من الأرض ويعاني اثنان من كل ثلاثة أفراد من الدودة الشريطية والملاريا وتسعة من كل عشرة يعانون من ضعف النظر بسبب سوء المياه وسوء التغذية. وبالقرب من أبواب القصر يجلس الشحاذون في الشمس الحارقة، ويبدو عليهم التعب والمرض واليأس ويحاولون الاحتماء بالظل.

هذا التناقض الشنيع بين القصر والفقراء، هو الحقيقة الأولى من واقع الحياة السياسية في مصر بل في الشرق الأوسط، وفي خضم هذا التناقض ولدت الثورة حيث إن مصر في الأسبوع الماضي كانت في خضم ثورةٍ عارمة.

في غضون ستة أسابيع قام النظام الجديد بنفي فاروق وإلغاء الأرستقراطية وإعلان حربٍ على الفساد والوعد بتطبيق الإصلاح الزراعي للقضاء على الإقطاع ورفع الضرائب على الأغنياء وتخفيضها على الفقراء وتخفيض أسعار السكر والملابس وإلغاء الرقابة وتخفيف القيود على الاستثمارات الأجنبية. فهذه هي ثورة الطبقة الوسطى، وهندس لها العسكريون وتوسع نطاقها بدعم رجال الأعمال والمهنيين وموظفي المكاتب والطلبة الذين رأوا أنهم عثروا على قائد.

بين عشية وضحاها، حدث أمر في هذا البلد التليد والبائس. أمر بتغيير التحية العسكرية للجنود المصريين وأعقبه خمسون ألف خطاب يمدح الحكومة الجديدة في بلدٍ تسود فيه الأمية، ولا يستطيع الكتابة إلا واحد من كل ستة مصريين. ولأول مرة في الذاكرة الحية يلوح أملٌ في مصر.

الرجل الذي أيقظ هذا الأمل هو عسكري لا يعرف أحدٌ اسمه في القاهرة أو لندن أو واشنطن حتى سبعة أسابيع مضت ألا وهو اللواء محمد نجيب. ويعتبر الناس محمد نجيب المنقذ. ويعتبره الدبلوماسيون الغربيون الشخصية

الواعدة التي ظهرت في الشرق الأوسط منذ رحيل العظيم مصطفى كمال أتاتورك.

كيف حدث هذا؟ نجيب رجل قوى، لكنه لا يبدو عليه ذلك، ولا يتصرف على هذا النحو فهو يعيش في منزل متواضع في ضاحية من ضواحي العاصمة مع زوجته وثلاثة صبيان، ودخله 4000 جنيه في السنة، ويدخن تبغ توسكاني الرخيص الثمن، ويقود سيارة ألمانية صغيرة ماركة أوبل لا تزال عليها ثلاثة أو أربع أقساط من ثمنها. وهو رزين ومتواضع ويسمع أكثر مما يتحدث ويفيض بأدب معهود ويردد آيات القرآن. فكيف لرجل رقيق الطباع كهذا أن يقود ثورة في أرض يتفشى فيها الفساد والمرض والغنى الفاحش والفقر المضجع وبلد معروف وقديم قِدَم الأهرامات؟

أحد أسباب هذا هو؛ أن الناس في البلدان المتخلفة أصبحت تدرك أن الفقر وعدم المساواة ليس بالضرورة قدرًا محتومًا. أما السبب الآخر فهو سحق الجيش المصري في رمال النقب الملتهبة على يد الإسرائيليين في سنة 1948، حيث كانت معدات القوات المصرية في حالة سيئة وتدريبهم سيئًا وقيادتهم سيئة، لكن اعتبرت الهزيمة دليلًا على أن الطبقة الحاكمة قد أودت بحياة هذا البلد. ويؤكد محمد نجيب أن الضباط المصريين شعروا بالخزي..... وكانت في الفم غصة لأن بلدنا قد هيل عليه التراب

وانفجرت فضيحة الأسلحة الفاسدة في 1950، وعلمنا أن الفسدة قد حصلوا على نصف مليون جنيه إسترليني ببيع ذخيرة فاسدة كانت تنفجر قبل استعمالها، وتقتل العشرات من ضباط الخط الأول. واشترك مجموعة ممن حاربوا في فلسطين وهم من قدامى المحاربين والضباط الأحرار في معارضة وطنية قدمت أوراقها إلى الملك فاروق عن طريق أحزاب المعارضة. إلا أن الملك لم يلقِ لها بالًا وأعارها آذانًا صماء، كما قال نجيب. كانت عيونه مجمدة واستهزأ بهذه التحذيرات، وأطلق على مقدمتها كلمة عيال.

قرر الضباط الأحرار القيام بانقلاب ووضعوا خطةً محكمة، وطلبوا إلى نجيب وهو أكثر الضباط شعبية وموثوقية، أن يترأس الحركة وقَبِل نجيب بعد أن فكر في الأمر واستبطن نفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الانقلاب

تم تحديد ساعة الصفر لتكون الواحدة والنصف صباح 23 يوليو، وسيطرت القوات الخاصة على نقاطٍ مهمة في مداخل القاهرة، وانطلقت عربات الجيب المحملة بالجنود في شوارع القاهرة، وطرقت على الأبواب والنوافذ للقبض على أحد عشر لواءًا وعددًا كبيرًا من الضباط برتبة عقيد، وهم نائمون بما في ذلك شقيق اللواء محمد نجيب واسمه على وهو قائد معسكرات القاهرة.

سأل أحد الضباط الصغار محمد نجيب هل أقوم أنا شخصيًا بإخبار زوجة اللواء علي؟ فرد عليه محمد نجيب بالقول: افعل معه كما تفعل مع الأخرين. وتم إيداع أخيه في السجن.

كانت نية نجيب تطهير الجيش والحكومة من الفساد، وهدم صورة فاروق. لكن بعض الأطراف المتشددة من لجنة الضباط، طالبته بالتخلص من الملك تمامًا، وأيدهم في ذلك الإخوان المسلمون، وهي جمعية قوية متطرفة قوامها نصف مليون شخص وحتى بعد إجبار الملك على الذهاب إلى المنفى، كانت مشاعر محمد نجيب الداخلية تميل إلى ترك السياسة لأهلها أي إدارة البلد وإلباس الطابع القانوني على ما يصدره الجيش من قرارات واختار علي ماهر، البالغ من العمر 69 عامًا، والمنتمي إلى طبقة غنية محافظة لها سجل في الإصلاح. وسعى محمد نجيب سعيًا حثيثًا لتجنب إعطاء الانطباع بأنه ينوي تطبيق ديكتاتورية الفرد ورفض رتبة فريق و(مشير) ورفض الانتقال إلى القصر الملكي. وفي الأسبوع الماضي قال بريطاني عاش في القاهرة 20 عامًا: شيء لا يصدق أن يخرج من خضم كل هذا الفساد والكره والهستيريا رجل صالح بكل معاني الكلمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



طفولته

نجيب رجل صالح يتمتع بالفضائل العسكرية. وُلِد في أسرة محاربة، فجده لأمه برتبة مقدم حارب واستشهد مع اللواء تشارلز جورج، البريطاني المشهور في حصار الخرطوم، أما والده فهو الكابتن يوسف نجيب الذي اشترك في حملة لورد كيتشنر، وشاب بريطاني يعمل كمراسل اسمه ونيستون تشرشل وذلك لاستعادة السودان من المهدي. تزوج الكابتن نجيب (الوالد) من سودانية جميلة كحيلة العينين، أنجبت له 9 أطفال أكبرهم محمد نجيب، البالغ من العمر الآن 51 عامًا، وهو من بين ثلاثة أولاد ولدوا في الخرطوم وتربوا في بيت ريفي في وادي مدني حيث كان أبوه قائد المنطقة. لعب الصبي محمد وإخوته على ومحمود في طمي ومياه النيل الأزرق مع أطفال القرية، حفاة القدمين كما لعب في طين حقول القطن الذي يزرعه الفلاحون، وغنى الأغاني الخالدة التي يغنيها من يحملون المياه:

في وهج شمس بلا ظلال

بقينا نحمل المياه لتثمر الأرض

وحينما تنفطر قلوبنا

لن نجد من يحزن علينا

أطلق عليه أقرانه محمد العبيط لأنه كان يسبقهم في قراءة القرآن، وتجويده، لكنه أثبت ذاته في التفوق عليهم في كرة القدم ولكمهم في أنوفهم. كان والد نجيب يرغب في أن يدرس ابنه القانون أو يصبح مدرسًا، لكنه كانت له آراء أخرى. وذات ليلة حين كان زملاؤه يغطون في نوم عميق هرب محمد من المدرسة، وتوجه مشيًا وبالمركبات النيلية إلى القاهرة التي كانت تبعد ألف ميل. كانت وجهته الأكاديمية العسكرية الشبيهة بكلية وست بوينت الأمريكية. حماسته وهمته حازتا إعجاب لجنة القبول ولكن كان طوله يقل 1 بوصة عن الطول المطلوب وحين عاد إلى بيته أخذ يمارس التمارين الرياضية التي تطيل الجسم عقب كل صلاة 5 مرات في اليوم، واستمر سنة كاملة تمكن بعدها من إضافة نصف بوصة إلى طوله وكان هذا لا يكفي بيد أن ما يتمتع به من ذكاء وروح طيبة مكّناه من القبول، وساعدته عزيمته وتصميمه على التفوق على أقرانه ذوي البشرة البيضاء، الذين كانوا يسخرون منه. وفي أقل من تسعة أشهر اجتاز دورة مدتها سنتان ونصف السنة في التكتيكات العسكرية والنظام والقانون العسكري والتاريخ، وحصل على رتبة ملازم ثانٍ في سلاح المشاة في التاسعة عشرة من عمره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

سيرته المهنية العسكرية

لم يقدم له الجيش المصري، محدود العدد والملحق بالثكنات العسكرية الشرق أوسطية لبريطانيا، إلا النزر اليسير في فترات السلام، اللهم إلا الاشتراك في السكن وتقاضي نفس الأجر اليومي. كانت الترقيات تتم على فترات بعيدة لأمثال نجيب، الذين رفضوا الانصياع لأتباع القصر، ولذا عوض نجيب هذا بالانخراط في دورات للقانون والاقتصاد السياسي، كما تعلم الألمانية والفرنسية، إضافةً إلى إجادته للإنجليزية. (وهو الآن بصدد دراسة العبرية).

في الحرب العالمية الثانية، قام العسكريون البريطانيون الذين يطلق عليهم فئران الصحراء، بوضع المصريين جانبًا وقاموا هم بالدفاع عن الجبهة الليبية وتم وضع محمد نجيب على مكتب لأحد اللواءات الإداريين غير المحاربين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



أتاتورك تركيا. لوحده نجح

ولم تكن لمحمد نجيب أي خبرة قتالية حتى عام 1948، وحين شب النزاع الحدودي بين دولة إسرائيل والجامعة العربية، اعترض نجيب على غزو فلسطين، ليس حبًا في الإسرائيليين (الذين كان يسميهم الأعداء على حدودنا الشرقية) إنما لأنه كان يعلم ما ستؤول إليه الحرب: بمعني أن الجيش المصري لم يكن على استعداد للقيام بحملة في الصحراء. لكن الجيش لم تطلب منه مشورة. كما قال هو بمرارة. وحين ترقى إلى رتبة لواء ترأس فرقة المدفعية والمشاة في صحراء سيناء، وكان هو الوحيد من كبار الضباط الذي كان يعرف قواته فردًا فردًا. وحين وقعت قذيفة من قذائف العدو على الكتيبة حاول كل الجنود حمايته ولم تصبه إلا رصاصة واحدة حطمت غليونه. سأله ضابط من القيادة: لماذا تخاطر بحياتك على هذا النحو بلا جدوي قال نجيب ليست بلا جدوى، فما أقوم به يحفز رجالي على القتال.

رغم كل هذا التوفيق، تعرض نجيب لإصابة شديدة، حيث اخترقت رصاصة كتفه واستقرت رصاصة أخرى في رئته، وعدّه الإسرائيليون المنتصرون ميتًا. قام أخوه الأصغر الطبيب محمود نجيب برعايته حتى استعاد صحته.

لم ينسَ نجيب أبدًا فلسطين ولا الرجال الذين حاربوا معه، وذات يوم في الأسبوع الماضي وحينما كان يتفقد المستشفى العسكري اقترب منه جندي سوداني وحاول تقبيل يده، لكن محمد نجيب أخذ بيده وقال بكل فخر هذا أحد أولادي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



كيف يدير الوضع

منذ وقوع الانقلاب، ونجيب يعمل 18 ساعة في اليوم ثم يأوي ليلًا إلى فراش خشن في مكتبه في ثكنات العباسية مقره. ويستيقظ مبكرًا في تمام السادسة لأداء صلاة الصبح وقراءة ورد من القرآن قبل تناول الإفطار (سلطانية زبادي وحبة طماطم وخبز أسمر)، ثم قراءة الصحف الصباحية. وبحلول الثامنة صباحًا يكون في مكتبه الذي خلى من صورة الملك فاروق وحل محلها منشور به الأوامر اليومية المعروفة ويقوم بلقاء قادة الأفرع وإملاء الردود على بريد الصباح (ألف خطاب يوميًا) ويلحق كل رد بصورة لجنوده أو له:

نجحت حركتنا لأنها كانت باسمكم وبناءً على رغبتكم... فهي منكم وبكم ولكم. وبعد العصر ينزل إلى الميدان، ويركب سيارته الرسمية اللينكن في وسط الصحراء، ويذهب إلى مخازن الذخيرة ومعسكرات التدريب. وحين يشتكي الجنود من ضعف المرتب (عشرة سنتات في اليوم) يقوم القائد بوضع يده في جيوبه ويعطيهم كل ما لديه.

وتبدأ أهم مهمة يقوم بها بعد الظلام، حيث يحضر لجنة الضباط الأحرار التي تلتقي كل ليلة، التي هي الحاكم الحقيقي لمصر، وهي مؤلفة من تسعة أعضاء معظمهم رتبة نقيب أو رائد وكلهم دون الخامسة والأربعين ويضعون السياسات التي يعكف محمد نجيب ورئيس الوزراء علي ماهر على تنفيذها.

ويمتلك نجيب تأثيرًا كبيرًا باعتباره الرئيس، لكنه لا يجرؤ على التصرف بمفرده. وإذا واجهته أمور مهمة في السياسة أو الناحية العسكرية أو السياسات كان يقول دومًا: سأحصل على رأي اللجنة في هذا.

يتم الاحتفاظ بسرية أسماء أعضاء اللجنة فهي أصبحت سرًا عسكريًا، والعقيد محمد رشاد مهنا، البالغ من العمر اثنين وأربعين عامًا هو نقطة الاتصال بين اللجنة ووزارة علي ماهر، التي هو وزير للاتصالات فيها، هو الشخصية الوحيدة المعروفة. وهو وطني متدين وداعم للإخوان المسلمين، وهو الصوت الذي يستحث نجيب على العمل بالديكتاتورية ومناهضة البريطانيين والمسيحيين واليهود. ويعارضه في ذلك قائد الجناح أنور السادات، الذي يستحث نجيب على ترك السياسة لمن يفهمها، أو يظن أنه يفهمها، وأن نركز نحن على أمور الجيش.

نجح نجيب حتى الآن في التحكم في الأجواء المضطربة وتوحيد الأطراف المتضادة لأن أي خصومة كبرى في لجنة الضباط يمكن أن توقف مسار

الثورة المصرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



هل بإمكانه الاستمرار؟

العقبات التي تعترض نجيب كبيرة، فالإصلاح في مصر (أو في أي مكان آخر في الشرق الأوسط) لا يكمن ببساطة في إصدار القوانين لمحاربة الرذيلة. فالفساد ليس نتيجة الطمع في صفوف الأغنياء، لكن الفساد هو أسلوب حياة بالنسبة للملايين، ومرده إلى الشعور بانعدام الأمن والأمل وما يجلبه الغد أو يسلبه. ويتعين على نجيب لاستئصال الفساد كما وعد، أن يبدد قوة الباشوات العنيدة الذين يحاربونه في كل مكان في مصر، وكما يتعين عليه أيضًا بناء مجتمعٍ مصري من أسفل إلى أعلى. والمسألة هي إذا كان يتمتع بالمهارة لإنجازٍ هذه المهمة أو إن كان لديه الوقت؟

أينما حل محمد نجيب هتف له الناس وسموا ثورته الحركة المباركة، لكن إن لم يتمكن نجيب من تحقيق منافع ملموسة لرجل الشارع وفي الحقول، فإن هذا الوضع قد يتغير. وطلب نجيب إلى الأحزاب أن تنظف ذاتها. كفانا فسادًا كما قال. لكن حزب الوفد الأكبر في مصر والذي تفتته المحسوبية، الذي اعترض عليه نجيب وفاروق معًا كانوا يضحكون في وجهه ويتآمرون ليل نهار لاستعادة السلطة وكان زعماؤه كمصطفى النحاس (رئيس الوزراء السابق) وسراج الدين يستخدمون الكلمة السحرية التطهير لكي يتخلصوا من منافسيهم ثم يتآمروا للتخلص من نجيب. كانت خطتهم تشويه نجيب والتشكيك في وطنيته نظرًا لإخفاقه في إخراج الإنجليز من السويس والسودان. وكانت خطة نجيب المضادة إصدار قانون صارم للإصلاح الانتخابي يستبعد من عرف عنهم الإفتقار إلى الأمانة. من تقلد المناصب السياسية.

يسعي اليساريون أيضًا بكل ما أوتوا لمناهضة محمد نجيب، فقد تعاونوا مع الآخرين في القيام باعتصامات شديدة الوطأة الهدف منها، زعزعة النظام قبل أن تثبت أركانه. حيث قام ستة آلاف عامل في مصانع القطن بارتكاب أعمال شغب، دمروا فيها معدات المصنع وألقوا الحجارة على الشرطة. وقال محمد نجيب هذه خيانة عظمى عقابها الإعدام. وقامت العربات المصفحة بالرد على المشاغبين، وكان عدد الجرحى 9. وأصدرت محكمة عسكرية حكمها على قادة المشاغبين لارتكابهم الخيانة العظمى.

سعي قادة آخرون في الشرق الأوسط إلى حذو ما فعله محمد نجيب ولم ينجح منهم سوى مصطفى كمال أتاتورك في تركيا وهو مؤسس تركيا الحديثة. وأطلقت الصحافة على محمد نجيب أتاتورك الآخر فهما يتشابهان بشكل أو بآخر. فمحمد نجيب رجل عسكري كأتاتورك، وولد في منطقةٍ مضطربة (ولد مصطفى كمال أتاتورك في سالونيكا، وهي الآن جزء من تركيا؛

أما نجيب فولد في الخرطوم) ويسعى محمد نجيب أسوةً بأتاتورك واعتمادًا على مساندة الجيش له، إلى تحويل مملكة إسلامية قديمة إلى دولة ديمقراطية حديثة. إلا أن محمد نجيب، وهو رجل أكثر بساطة لا يمتلك ناصية علم السياسة ولا نفس الرؤية ولا القدرة على الخطابة وقد يفتقر إلى الإرادة الحديدية للحكم.

بيد أن الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين ورجال الصحافة، الذين شهدوا الشهرين الأولين من حكم نجيب، صاحب الإرادة القوية، يأملون في أن يتمكن من النجاح بأسلوبة الهادئ والرصين. وهذا يتوقف في نهاية المطاف على المعونة التي تقدمها الولايات المتحدة وبريطانيا، وهذا موضوع تساؤل كبير. فلكي يبقى محمد نجيب في السلطة يلزمة الحصول على أسلحة لاستتباب الأمن ومساعدة فنية لإنجاح خطة الإصلاح الزراعي ورأس مال لبناء المصانع ورفع مستويات المعيشة في مصر.

تقدم محمد نجيب الشهر الماضي بطلب للحصول على مساعدة عسكرية من أمريكا وبريطانيا، وطالب رئيس الوزراء علي ماهر، الولايات المتحدة بتقديم أموالًا لتمويل برنامج تنمية واسع النطاق، من شأنه أن يضاعف إنتاج القطن في دلتا مصر، ويساعد على استصلاح 3 ملايين فدان في الصحراء الغربية لترعى بها المواشي، ولزيادة الإنتاج الصناعي. وقال علي ماهر: العمل الطيب الذي يقوم به الخبراء الأمريكيون لا يقدر بثمن.

رد البريطانيون برفع الحظر عن شحنات الأسلحة لمصر، وأعلنوا أنهم سيساعدون في تدريب الضباط المصريين. إلا أنهم سيمضون في هذا الطريق بحذر، حيث إنهم يعلمون أن نجيب سيثير مسألة القوات البريطانية في السويس وسيطرة بريطانيا على السودان. ومن المعروف عن نجيب أنه أقل عداءًا لبريطانيا قياسًا إلى حزب الوفد وأنه يميل إلى مشاركة مصر في نوع من الترتيبات الدفاعية في الشرق الأوسط. إلا أن البريطانيين يخشون أن تؤدي مساعدتهم لنجيب إلى تقويض شعبيته، ذلك لأن المصريين -على شتى مشاربهم- يرون في مصادقة الإنجليز خيانة عظمى. وقال مسئول الخارجية البريطانية: نحن معه، ولكن لن نحرص على الإعلان عن ذلك وزارة الخارجية الأمريكية تتوخى الحذر أكثر في هذه الأمور، فالسياسة الخارجية للولايات المحتدة قد استغنت بالفعل عن العالم العربي كله بتقديم العون إلى إسرائيل، إلا أن وزارة الخارجية، على ما يبدو لا تزال مصرة على عدم الإقدام على شيء يسيء إلى إسرائيل. إلا أن هناك سبب إضافي أخر لموقف الإدارة الأمريكية ألا وهو الصوت الإنتخابي اليهودي. وأوضح دين أكنسن أن ثمن المعونات العسكرية الأمريكية لمصر هو تسوية مصر لخلافاتها مع إسرائيل واشتراكها في الاقتراح البريطاني القاضي بإنشاء منظمة للدفاع عن الشرق

الأوسط. وقد يحبذ نجيب كلا الاقتراحين سرًا ولكن لا يستطيع قبول هذين الاقتراحين في العلن، لأن هذا سيكون بمثابة ذخيرة إعلامية لحزب الوفد يهدد بها نظامه.

أوضح أحد المراقبين الأمريكيين المشهور بحكمته في لندن في الأسبوع الماضي، بأن هذا الحذر لا معنى له رغم أنه يبدو منطقيًا. وهناك ما يسمى بالحيلة حتى فيما يخص سياسات الشرق الأوسط.

فقد تكون هناك مخاطرة في الإسراع بالوقوف إلى جانب محمد نجيب، لأننا بهذا سنسدي خدمة إلى أعدائه. لكن هذه المخاطرة ينبغي أن نتوخى الحكمة في قياسها بالاحتمالات والأخطار الأخرى، لأننا قد نضيع أفضل فرصة سانحة للقيام بالبناء على ما أنجزناه وحققناه في الشرق الأوسط بانحيازنا إليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الكنوز التي تركها فاروق

(مجلة لايف: ٢٤ نوفمبر ١٩٥٢)

معظمها فخم لكن بعضها ليست له قيمة كبيرة

24 نوفمبر 1952

جلس الملك فاروق على عرش مصر القديم 16 عامًا. وقِبل راعاياه الفقراء بذخه المفرط، ومغامراته الملكفة كجزء من العظمة المعهودة التي يعيشها سلاطين الشرق. وحين تم خلعه نهائيًا صودرت ممتلكاته في يوليو الماضي، بادرت الحكومة بتحديد قيمة هذه المتروكات، وهذه الصورة أدناه للأوصياء المقومين، وهم يحصون الممتلكات التي تظهر للمرة الأولى في 8 صفحات، وقد أصابتهم الدهشة من حجم المهمة التي يقومون بها، التي تقدر بأربعة بلايين ونصف بليون دولار.

كان فاروق يمتلك أكثر من 20 ألف فدان على النيل، كانت تدر عليه 1.2 مليون دولار في السنة، كما حصل على نصف مليون فدان من العزب التي اشترك مع الآخرين في ملكيتها. وكان يحيط نفسه بالأثاث الغالي في 4 قصور و10 بيوت واستراحات وهذا يكفي 12 ملك وليس ملكًا واحدًا. وفي أحد هذه العقارات كان لدية 1000 بدلة تفصيل وخمسة آلاف رابطة عنق الكثير منها لم يلبس بعد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جرد القصر. يجلس المقيمون في صالة الاحتفالات لقصر رأس التين لتحديد ممتلكات فاروق. تتكون مجموعة المقيمين من مندوبين لوزارة المالية والجيش وموظفي الدولة الكبار، الذين قيّموا جميع القصور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعض الحجرات امتلأت بالتحف والأثاث الغالي والسجاد الفارسي في كل ركن من الأركان. بعض قطع الأثاث كان محشوًا بأطقم الشوك والملاعق الذهبية وأطباق من الصيني الفاخر، والكاسات الزجاجية من تشيكوسلوفاكيا، وكانت لديه صالة ألعاب (جيمانيزيم) خاصة به، ومسطحات مائية لصيد السمك وحديقة حيوان خاصة ومسرح. كانت دورات المياه الملكية بها أوعية للاستحمام مثبتة في الأرض والحوائط تكسوها الصور العارية. أحاط سريره في قصر المنتزة بـ 6 هواتف. أما حجرات التخزين الملكية فكانت مليئة بالأشياء، وكذلك أحجار ثمينة ومجوهرات وأنتيكات من أيام الفراعنة بقيمة

100 مليون دولار تقريبًا. ولا أحد يعرف يقينًا كم النقد والأوراق القابلة للتداول التي هرَّبها فاروق خارج البلد في السنوات القليلة الماضية، البعض يقدرها بقيمة 25 مليون دولار.

واستنتج المقومون من الحسابات التي تركها أن الكثير من ممتلكاته لم تكن له على الإطلاق، حيث أنه طلب بعض المجوهرات من التجار وحائزي التحف في الخارج ولم يدفع لهم مليمًا واحدًا، ومن ثم كان هناك كم كثير من الفواتير الشخصية غير المدفوعة في بلدة، كما أنه نهب المتاحف وأخذ أنفس ما فيها، والأدهى أنه لم يكن يدفع ضريبة الدخل.

وقد تبين للمقومين أن حجرة النوم بها 39 قطعة أثاث من طراز لويس الخامس عشر. وحوائط الردهات مُغطاة بصورة لنساء عاريات يمتطين الخيول. أما المبعثر من الماكياج والملابس، فهو دلالة على أن الأسرة الملكية هربت على عجل. وكانت الملابس الواقية من الرصاص للملك فاروق ملقاة في الجراجات كما كانت هناك سيارتان لينكون وأجهزة مذياع وهواتف وأسطول صغير من سيارات الرولز رويز الحمراء والكاديلاك التي كانت تقل الأسرة المالكة إلى الاحتفالات الرسمية، محاطًا بجُند الحراسة في سيارات جيب، وقد أمر فاروق بطلاء السيارات الرسمية باللون الأحمر في مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البهو الكبير تعلوه القبة، القسم الخاص بالملكة وحجرات الملك. إطار مكلف وغال به نُسق البارون والديكور من عصر النهضة والعصر البيزنطي والعصر الحديث وبه مسحة فرنسية. مقر الملكة في الحرملك الذي بالدور الثاني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



فؤاد الثاني لم تكن له ممتلكات

حين انتهى المقومون من عملهم لن يكون هناك شيء لابنه فؤاد الثاني، البالغ من العمر 10 سنوات حين يتولى الحكم، وقد ذهب فؤاد الثاني مع والدية في المنفى إلى مدينة كابري في إيطاليا وحين يكبر لن يكون له شيء من الثروة الصغيرة التي ورثها أبوه وتضخمت كثيرًا عن طريق الفساد والتلاعب. وسوف يتوقف دخله على ما يهبه البرلمان.

قد يتحول قصر رأس التين والمنتزه إلى متاحف دائمة للشعب، وقد يُسمح لفؤاد الثاني بالعيش فيها ولن يسمح له بالإقامة في قصر عابدين الذي سيحتفظ بما به من أثاث حتى يتوج الملك الجديد إذا قدر له ذلك بمقتضى القانون المصري.

فينوس المصرية وهو تمثال مستنسخ من الأصلي اليوناني ويقع أمام قصر عابدين، المقر الشتوي

اليخت الملكي الذي يزن 4.561 طن وطوله 420 قدم ويدعى المحروسة، وهو هنا أمام قصر رأس التين بعد أن حمل فاروق إلى مدينة كابري. يبلغ طاقم هذا اليخت ستة من الرجال ويسع لإقامة 24 شخصًا.

قصر القبة وبه 250 حجرة ويحيط به مساحات خضراء وممرات رملية وكان هذا القصر ملك للملك يقضي به الغالبية العظمى من وقته

المقر الصيفي على ساحل البحر الأبيض الذي بُني على طراز النهضة الإيطالية

السرير الملكي في جناح الملكة بقصر عابدين. وتحت هذه الغطاء العلوي المرصع بالذهب قد تنام ناريمان، إذا قُدّر لها. وبما أنها اختارت المنفى يمكن لها أن تعود للعيش مرة أخرى في قصر عابدين إذا قدر لفؤاد الثاني العودة.

مجوهرات وخلافه

عثر الموظفون الحكوميون في قصر فاروق المحبب (قصر القبة) على مجموعة بديعة من الممتلكات الشخصية للملك المخلوع، وكان فاروق شأنه شأن الملوك الآخرين يحتفظ بقطع فرعونية ومئات الكتب الساخرة والمجلات وطائفة كبيرة من الطوابع تقدر بـ 16 مليون دولار، ولوحات درجة ثالثة للعاريات وحجرة مملوءة بالأحجار الكريمة والصور والألعاب السحرية التي جُلبت من ولاية متشجن الأمريكية وغيرها، وهي دلالة على أن فاروق ظل مراهقًا.

صورة نصفية للملك فاروق مع صور لأفلام كان يلصقها على دولابه

هدية الزواج من البرلمان لفاروق وزوجته الأولى فريدة وهي محاطة بفناجين القهوة المصنوعة من الألماس، وبها تمثال من الذهب وهو من الكنوز الحقيقية الموجودة في قبو قصر القبة.

مجموعة من الصور الحديثة العارية غير المعروفة، وسمها فنانون غير معروفين من فرنسا وإيطاليا، وقاموا بنحت بعضها وبعضها رديء.

صورة لهتلر مكتوب عليها بخط يده حيث حاول أن يجتذب مصر إلى صفه

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



رئيس مصر الحقيقي: من أمامه ومن حوله

(مجلة لايف: ٨ مارس ١٩٥٤)

8 مارس 1954

جمال عبد الناصر ابن السادسة والثلاثين الذي ثار على السلطة دومًا، يتقلد السلطة التي استحوذ عليها بقيادته للثوار الآخرين.

كتب جيمس بل: انتهى عرض مسرح العرائس في مصر. فمن كان يجذب الخيوط من وراء الكواليس ظهر على خشبة المسرح. إنه جمال عبد الناصر، الرجل المبتسم ذو الطلعة، الذي يبلغ من العمر 36 عامًا، الذي يذكرك بلاعب كرة أمريكي يجيد الدفاع والهجوم. وهو برتبة صاغ في الجيش المصري لم يلتفت له العالم الخارجي في حين اعتبرته مجموعة صغيرة من ضباط الجيش والطيران القائد الحقيقي الذي قضي عشرة سنوات يعد بصبر ودأب للانقلاب ونفذه تنفيذًا رائعًا.

حكم ناصر مصر منذ الانقلاب من خلال الرجل الذي اختاره هو بنفسه اللواء محمد نجيب، الذي تقلد سلطة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، ولم يمارسها، حيث قام نجيب بمراسم السلطة كإلقاء الخطابات وتقبيل الأطفال ووضع حجر الأساس للمشروعات، في حين قام ناصر بإتخاذ القرارات وإرسال الأوراق الرسمية، وكتب الأوامر لنجيب على الهامش. وهكذا سارت بسلاسة لردح من الزمان. بيد أنه منذ بضعة أشهر خلت اعترى القلق شخص محمد نجيب، وتملل من تلقي الأوامر في اجتماعات مجلس الوزراء، واتضح أنه يريد السلطة شكلًا وموضوعًا وحين رفض ناصر بعض مقترحاته، كان يخرج متأففا من الاجتماعات ويعود إلى بيته مكتئبًا. وطفق يهدد بالاستقالة.

أدركت الطغمة العسكرية المكونة من 12 شخصًا، والمسماة مجلس قيادة الثورة، التي كان يدير بها ناصر البلاد، أنها ليس بمقدورها الاستغناء عن نجيب، حيث إنه كان يحظى بشعبية حقيقية وواسعة في مصر والسودان، مسقط رأسه، الذي طمح المصريون في ضمه إلى مصر.

وبناءً عليه، سلم محمد نجيب مجلس قيادة الثورة إنذار نهائيًا بمنحه سلطة اتخاذ القرار أو الاستقالة.

ناصر ورئيسه الذي عينه يظهران دومًا معًا وعادةً ما تسلط الأضواء على نجيب. بعد 6 أشهر من الثورة ركبا السيارة المكشوفة في ميدان التحرير، وكان جمال عبد الناصر في المقعد الخلفي. وإبان المسيرة في مصر ترك

ناصر بهدوء الفرصة لمحمد نجيب لتلقي التصفيق. قبل بعضهم بعضًا على الطريقة العربية حين وعدت بريطانيا بمنح الحرية للسودان. خلعا الأحذية وجلسا في المسجد.

في الأسبوع الماضي، قامر عبد الناصر وقبل استقالة محمد نجيب، وسادت حالة من اللبس لمدة ثلاثة أيام، وأُعلن أن منصب الرئاسة سيظل شاغرًا في تلك الآونة وأن عبد الناصر قد أصبح رئيسًا للوزراء. وورد أن المظاهرات اجتاحت السودان تأييدًا لمحمد نجيب. وفي القاهرة أعلن بعض ضباط الخيالة أنهم يرون خطًا كبيرًا في الاستغناء عن نجيب. وأرسل عبد الناصر قوات لمنزل محمد نجيب وأوضح المتحدث العسكري أن هذا مجرد أمر احترازي، وأنه ربما كان من الأسهل قتله. كان قتل نجيب سهلًا، لكن ليس من الحكمة وعدل ناصر موقفه بسرعة، نزولًا على رغبة الرأي العام. صدرت الأوامر للدبابات للنزول إلى المناطق الإستراتيجية في القاهرة، وأوضح مجلس قيادة الثورة أن نجيب ليس خارج السلطة ككل، وأنه سيعود رئيسًا للحفاظ على الهدف القومي المتمثل في تسوية الصراع السياسي الداخلي في مصر، ويواصل عبد الناصر رئاسة الوزراء ويحكم من وراء الكواليس كعادته من قبل.

كان قرار جمال عبد الناصر بعدم قتل محمد نجيب دلالة على ما تتسم به شخصيته التي تقوم بالشيء ونقيضه، فهو فيه طابع العنف والطيبة في آن واحد كما يتسم بالاندفاع والوداعة (فلم يعهد عنه أبدًا أن فقد أعصابه). ورغم أن به بسطة في الجسم فإنه صاحب مشية وديعة، مما أكسبه منذ فترة طويلة لقب "الثعلب". له بسمة ناعمة ودافئة، ويشع بسحر شاب سابق لعمره وفطرة الزعامة تضرب بجذورها في أعماقه ويتمتع بالهدوء والبساطة التي تميل إلى السذاجة حينًا والعمق حينًا آخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ناصر يزور مدرسة ليلية

للثورة التي قام بها هدفان رئيسيان:

1 - طرد الملك.

2 - طرد الإنجليز.

حقق الهدف الأول وسعى إلى مفاوضة الإنجليز على الانسحاب من معسكرات قناة السويس، فلم يلق منهم سوى العناد. ونظرًا لأنه الآن رئيس للوزراء، فإن عليه تحمل نتيجة فشل المفاوضات مع الإنجليز، وبما أنه أقنع الشعب بحتمية إنهاء الاحتلال الإنجليز ي فإنه يواجه موقفًا متفجرًا.

تمرد عبد الناصر بالفطرة طيلة حياته على السلطة بأنواعها، ففي السابعة من عمره قام جمال بحفر حفرة كبيرة في مدخل المنزل رغم أن أباهُ نهاهُ عن ذلك، فوقع الأب فيها في جنح الظلام. واشترك في السادسة عشرة من عمره في الاشتباك مع الشرطة، دون أن يعرف السبب مما أدخله السجن. أما في عام 1942، فقد عرف ما كان يحارب من أجله، حيث بلغ من العمر 24 عامًا، وكان برتبة نقيب حين حركت القوات البريطانية المتمركزة في العلمين الدبابات نحو قصر عابدين، وأجبرت الملك على تعيين النحاس باشا رئيسًا للوزراء. شعر النقيب جمال عبد الناصر أن هذا إهانة للوطن ومنذ تلك اللحظة كرس النقيب جمال عبد الناصر نفسه لتحقيق الهدفين اللذين من أجلهما قام بالثورة.

رغم ما لازمه من تمرد وعنف في مستهل حياته، فإنه أبدي قدرة فذة على الكِبر والارتقاء إلى مستوى المسئولية والسلطة. عادي الملك والإنجليز، ليس بدافع الكراهية، إنما لأنه كان يمقت الظلم بأي شكل كان. ولم يشارك بقية العرب في كراهية إسرائيل، إنما اعتبرهم أيضًا ضحايا الإمبريالية البريطانية، حسب فهمه. ثمة فكرة سيطرت على عقل جمال عبد الناصر ألا وهي توحيد الصف للخروج من مستنقع الفقر والجهل والمرض الذي غاصت فيه مصر عبر العصور.

على ما يبدو، لم تفسد السلطة جمال عبد الناصر. فهو إنسان بسيط يعيش في بيت متواضع من خمس غرف داخل المنشأة العسكرية في العباسية، فهو يحيا حياة ضابط في الجيش الأمريكيٍ. ولا توجد أمارة على وضعيته سوى الأضواء الكاشفة التي تنير حديقة بيته ليلًا، والحرس الذي يحرس بيته ليل نهار لحماية أطفاله الأربعة وتمتعهم بالحرية. أما البيت من الداخل فليس به سوى بضع قطع من الأثاث يبدو أنها أخذت من أحد القصور.

اجتماع في السابعة صباحًا

بحكم تربيته العسكرية اعتاد عبد الناصر على الاستيقاظ في السادسة والنصف صباحًا، وفي حدود السابعة يجتمع بمرؤوسيه، وقد يتحدث مع 7 أفراد واحدًا تلو الأخر، وهو يتناول طبق الفول على الإفطار ثم يحتسي الشاي. وبحلول التاسعة تستقله السيارة إلى وسط القاهرة، مرورًا بأطلال ثكنات قصر النيل، التي كانت في يوم من الأيام قلعة ورمز السلطة البريطانية وهي الآن مهدمة ثم يعبر الكوبري إلى الجيزة حيث يقطن أغنياء الأجانب والمصريين في شقق فارهة. وكان فاروق على وشك الانتهاء من بناء نادٍ لليخت من 3 أدوار، وبرج مراقبة وقت الإطاحة به. أكمل ناصر المبنى كمركز للقيادة. يصطف الحرس على طول الطريق حتى يمر رئيس مصر إلى مقر عمله.

كان هذا المقر بسيطًا بساطة منزله، وكان ناصر يجلس على مكتب صغير يطل على النيل يوقِّع على تلال من الأوراق ويواصل العمل. قد يتوجه إلى بيته إن توفر الوقت لتناول الغداء ثم يخلد إلى قيلولة الظهر المعتادة. وإن كان غالبًا ما يقتصر على ساندوتش ويواصل العمل وقد يوصل النهار بالليل في العمل وينتقل من مكتبه إلى طاولة المجلس لمناقشة أمور الدولة مع أعضاء مجلس قيادة الثورة.

أنجز ناصر الكثير منذ إنشاء هذا المجلس. ومن بين ما أنجزه؛ إلغاء الألقاب التي سخر منها المرحوم وندل ويلكي في حفل كوكتيل عام 1942، وكانت هذه الألقاب يمنحها الملك لكبار الإقطاعيين الذين كان البعض منهم يلهب ظهور العاملين لديه بالكرباج، على طريقة القدماء في زمن الإنجيل، وقبل الثورة أقدم أحد الباشوات على قتل مجموعة من العمال رميًا بالرصاص.

تمت بجرأة معالجة مشكلة الملكية الزراعية في مصر، وحُددت الملكية بما لا يزيد على 200 فدان وتم توزيع الأراضي على الفلاحين. وشرع في مشاريع طموحة لإنشاء مؤسسات من المهندسين الزراعيين المدربين، وزيادة إنتاجية المحصول. وكانت يومية العامل أقل من أجرة الجاموسة. وقرر جمال عبد الناصر رفع الحد الأدنى للأجور إلى 54 قرشًا لكل العاملين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الحج إلى مكة

ناصر يشترك مع الحجاج المسلمين في أداء مناسك الحج وهذة بادرة سياسية لأن عبدالناصر ليس رجلًا متدينًا حق التدين

في بلد اشتهر بالفساد يتداول الناس كلمة البقشيش، وكل موظف في الضرائب يمد يده إلى الغير. وتمكن ناصر بصورة عملية من القضاء على الرشوة بفرض عقوبات صارمة (وتمكن من استرجاع 112 مليون دولار على شكل ديون ضريبية على أغنياء مصر الذين كانوا قد أخفوها بالرشوة. وفاجأ ناصر الجميع بطرد المئات من الموظفين المدنيين، وتشديد الرقابة على كشوف المرتبات في بلد تفشت فيه المحسوبية في القطاع العام.

الأوضاع الجديدة في مصر لا تسر كل الناس، ويعترف ناصر أن الكثيرين قالوا له إنك تسببت في غضب كل الناس، وكان رده أن غضب الناس ليس هو العنصر الحاسم في هذه الأوضاع، والمقياس هو؛ هل ما أغضب الناس في صالح البلد أم لا؟ والكثير توقع أن تمطر السماء ذهبًا وفضةً عقب الثورة. وتجلد عبد الناصر بالصبر في إجلاء الموقف للناس. والتغيير يتطلب ردحًا من الزمن. وتخيل الناس أن الوزراء في الحكومة سيركبون الترام والحافلات كما يفعل الفلاحون. فهم تعرضوا لظلم طال أجله وتصوروا أن الفوارق بين الطبقات ستزول على الفور. وقال إنه يحاول أن يجد حلًا وأنه لا يألو جهدًا في القراءة عن كيف تعاملت البلدان الديمقراطية مع هذه المشكلة، وأنه قرأ عن التجربة السويدية، وما تفعله فرنسا وهو الآن بصدد ما يفعله حزب العمال البريطاني. لا بد من التوصل لحل وسط بين طرفي النقيض اليمينين واليساريين.

ميل عبد الناصر الفطري لعدم التطرّف صوب اليمن أو اليسار، هو ما أكسبه القدرة على النضج منذ توليه السلطة. فقد أبدى اعتادلًا حتى في تعامله مع البريطانيين، وقضى على العداء الذي يكنه الإخوان للبريطانيين. ولم يتراجع قيد أنملة عن عزمه على انسحاب الإنجليز من منطقة القناة، إلا أنه لم يتورط في إصدار إنذار نهائي من أي نوع. بل إنه كان يستمع إلى السفير الأمريكي جفرسن كافري، ويتقبل النصيحة منه. في حين أن عداء النظام القديم الشديد للأجانب أعاق الشركات غير المصرية عن العمل في مصر كشركة سكوني فاكيوم التي سعت إلى مساعدة مصر، في التنقيب عن النفط، قام عبد الناصر بتشجيع الشركات الأجنبية على العمل فيها في مصر.

في بعض الأحيان كان عبد الناصر يسمح لرجاله بالحديث عن "الحياد" في الحرب الباردة، كوسيلة للضغط، وكان يرفض فكرة حزب الناتو في الشرق

الأوسط التي اقترحتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا منذ سنتين. إلا أنه يوافق على معاهدة إقليمية للأمن تشترك فيها تركيا مع إيران. وتكون باكستان وأفغانستان بمثابة خط الدفاع الأول لصد أي غزو روسي محتمل لحقول النفط ذات الأهمية الحيوية بالنسبة للغرب. وقال لي في لقائي الأخير معه "أن تحرك من هذا القبيل سوف يكون بالقطع في صالحنا". "ولكننا كعرب في وضع صعب فشعوبنا لا تود أن تتحدث عن مفاوضات للدفاع في الوقت الذي نواجه فيه مشاكل مع بريطانيا. والشعب في مصر لا يزال يعتبرهم العدو الأجنبي الأول. وإذا قلت لهم إن هذا غير صحيح وإن الروس هم فعلًا الأعداء فإنهم لن يصدقونني للحظة واحدة".

سألته: إذا توصلت مصر إلى تسوية متكافئة بالنسبة لنزاع السويس، فهل يشترك مع تركيا والدول الإسلامية غير العربية الأخرى في تحالف دفاعي. أجاب: "كرجل عسكري أعرف يقينًا أن مصر لن تكون أبدًا على الحياد، إذا نشبت حرب عالمية حتى إن كانت هذه رغبتنا".

أبدت مصر في عهد عبد الناصر قدرًا كبيرًا من ضبط النفس والواقعية في التعامل مع المشكلة الإسرائيلية. قام محمد نجيب -بإلحاح من عبد الناصر- بزيارة المعابد اليهودية في مصر، وهنأ اليهود في أعيادهم الرئيسية، وتعمد عبد الناصر إخفاء التقارير عن هجوم الجيش الإسرائيلي على معسكر اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة التابع لمصر، الذي أسفر عن مقتل عشرين شخصًا. وحين أدانت لجنة الهدنة المختلطة إسرائيل أشد الإدانة لم يسمح عبد الناصر للصحافة المصرية بالحديث عن هذه المسألة. فهو يرى أنه لا ينبغي الإقدام على ما يشعل فتيل الهستيريا في القاهرة ضد اليهود. وأنكر أن مصر تفكر في الرد على إسرائيل. وهو يري أن النظام لا ينبغي أن يقدم على شيء يشتت انتباهه عن مهمة إصلاح الأسس الاقتصادية والاجتماعية في مصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



من أصول عربية خالصة

ينحدر جمال عبد الناصر من أسرة من الطبقة المتوسطة، حيث كان يعمل والده موظفًا مدنيًّا، وهو الآن على المعاش وتعود أصوله إلى جذور عربية محضة، وكانت أمه من أسرة مقاول للبناء في الإسكندرية. وكان جمال أكبر الأولاد الأربعة. وبعد أن توفيت أمه بثلاث سنوات تزوج أبوه مرة أخرى، وأصبح أبًا لأحد عشر طفلًا، مما وضع رئيس الوزراء جمال عبد الناصر في وضع حرج لأن له أخ شقيق لم يتجاوز سنه الثالثة. اثنان من إخوته الأشقاء يعملان بالتدريس والثالث يدرس الأدب.

لم يكن جمال تلميذًا ذكيًا في مستهل حياته الدراسية، ويعترف دون خجل بأنه رسب ست مرات في مدرسته العامة في الإسكندرية ومدرسته في القاهرة، حيث أرسله أبوه إلى عمه صارم الطباع.

كان جمال لا يحب المذاكرة، وكان يهوي مشاهدة الأفلام الأمريكية وقال: "لا يهمني ما هي هذه الأفلام كنت أحبها جميعًا".

كان ينادونه في ريعان شبابه بكلمة "سيدي"، وهو شاب صعيدي يتحدث بلسان عربي، ولا يتكلم الإنجليزية أو الفرنسية. وهذا هو لب الثورة التي هى من صنعه، فهو جعل المصريين يفخرون بذاتهم. قال ذات يوم لمحرر جريدة لايف: لدينا الكثير من المشاكل ولذا نطلب العون من الخارج إلا أننا نعتمد على الذات ونعتز بكرامتنا.

حافظ جمال عبد الناصر على كرامته ودماثة خلقه وجاذبيته، رغم الكوارث الكثيرة التي من شأنها أن تدمر من هو أرقى منه. فلقد أطاح بالملكية الفاسدة، لكنه كعسكري شهد الهزيمة تحل بجنوده ثلاث مرات على يد إسرائيل. سعى عبد الناصر كأحد قادة العالم إلى بناء حركة عدم الانحياز لا للشرق ولا للغرب، لكن انتهى به المطاف في أحضان الروس. أما في الداخل فقد سعى إلى إخراج شعبه من الفقر المدقع إلا أن الفقر ساد. رغم كل ذلك فإن كل إخفاق جعله أكبر في قلوب شعبه الذين رأوا أنفسهم فيه، وكانت مكانته العالية في العالم العربي تستعصي على التشكيك. لم يكن هناك غيره القادر على إقناع قائد حرب العصابات والملك باحتضان بعضهم بعضًا عقب عشرة أيام من الحرب الأهلية في الأردن، اشترك عبد الناصر في حرب 48، وجرح فيها وتعرض الجيش ككل إلى فضيحة بسبب الذخيرة المعيبة وسوء الأغذية وعزت الحاشية الفاسدة لفاروق كل هذا إلى الجيش. وحين انتهت الحرب قال عبد الناصر: "إنني لم أتمكن من حبس دموعي في هذه المعركة التي وضع فيها ضابط كبير غير كفء قواته في مصيدة. كنّا نحارب في

فلسطين، وكانت كل أحلامنا في مصر. كانت الرصاصات توجه للعدو، في حين أن قلوبنا كانت تحوم حول حمي الوطن الذي تركناه في أيدي الذئاب.

حين وضعت الحرب أوزارها، عاد عبد الناصر إلى وطنه في 1949، وبدأت مجموعته السرية في توزيع المنشورات والكتيبات التي تدين الملك وقيادة الجيش العليا. وفي 1950، رأي عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أن الوقت يقترب، وأنهم يحتاجون رجلًا يصلح كواجهة. "كنّا نعرف أنه لن يستمع إلينا إلا القليل إذا كنّا بمفردنا" هكذا قال عبد الناصر. وتذكر كلاهما محمد نجيب الذي كان يقود حرس الحدود في الجيش المصري، وتعرض للجراح ثلاث مرات، وتميز كأحد الجنود الناجحين في فلسطين وكان نجيب هادئ الطبع وشجاع ويحب رجاله وله سمعة طيبة بين القوات.

عرف عامر وناصر مشاعر محمد نجيب، ذلك لأن عامر عمل معه كضابط عمليات في المراحل الأخيرة من الحرب في فلسطين. وزاراه في بيته عدة مرات، وتحدثوا عن مستقبل الأمة. وأخيرًا في بداية 1950، أطلعا نجيب على مؤامراتهما، ووافق نجيب على التعاون معهما.

قال لي عبد الناصر: "إنه في 19 يوليو 1952" علمنا أن هناك خطة لإلقاء القبض على نجيب وسيعقب هذا تطهير شامل في صفوف الضباط وكان لدينا إقتناع بأن القصر لديه اسمانا".

في منتصف ليلة 23 يوليو، تحرك المتآمرون، وكانت الخطة مقسمة إلى ثلاث عمليات: 1 -السيطرة على الجيش. 2 - السيطرة على البلد. 3 - طرد الملك "بأي وسيلة".

صارت الأمور على ما يرام. "لم تكن المهمة سهلة" كما قال صديق لي "تخطيط أي شيء في هذا البلد حتى، وإن كان صغيرًا ليس بالأمر السهل، وتخطيط جمال عبد الناصر لهذه الحركة وتنفيذها هو بمثابة عمل عبقري".

وكان عبد الناصر يحتاج كل ما أوتي من ذكاء للتنظيم ومواكبة المهام المقبلة. فهو يقود بلدًا يتضور جوعًا، و63 % من الأطفال يموتون قبل سن الخامسة بسبب سوء التغذية أو المرض.

وكان يعلم أن الديمقراطية لن تزدهر بين عشية وضحاها في بلد اعتاد على الطغيان لمدة 6000 عام، وقال: "بدأنا نلتمس النصيحة"، "التقيت بالكثير ممن وصفتهم الصحافة بالكبار، وطلبت منهم الحلول دون جدوى. بدأت في زيارة الجامعات، وتحدثت إلى الأساتذة ولم يطرح أحد منهم فكرة، وإنما عرضوا تقديم الخدمات.... وكل من التقيت به كان يكن العداء لشخص آخر، وكل فكرة طرحت كانت تهدف إلى قتل فكرة أخرى، ولو اتبعنا ما سمعناه لقتلنا

الجميع ودمرنا كل الأفكار، ولو سألني أحد حينئذ: ما غاية أملك؟ لقلت له "أن ألقى مصريًا يتحدث بشكل طيب عن مصري آخر".

يحسّن الكثير من المصريين الحديث عن جمال عبد الناصر، وربما ما لدية من رغبة هو الأمل الأفضل الذي قد يتحقق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



جمال عبد الناصر: الثائر

(مجلة التايم: ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥)

26 سبتمبر 1955

في اليوم الأخير من شهر أغسطس، وفي منتصف الليل، دق جرس الهاتف في مقر مجلس قيادة الثورة الذي كان مكانًا للترفيه للملك على شط النيل، فقام رجل ضخم الجثة خشن الشعر بالرد.

قال المتصل دخل اليهود خان يونس. أنا جاهز أتحرك. كان هذا هو الفريق عبد الحكيم عامر، رئيس أركان الجيش المصري. كان تراشقًا بالرصاص على الحدود المصرية الإسرائيلية، وكان وقف إطلاق النار الذي فرضته الأمم المتحدة ساريًا. وكانت التعليمات التي أرسلت إلى منطقة غزة أن أي أعمال أخرى تقوم بها إسرائيل ينبغي أن يرد عليها ردًا واسع النطاق. وأفاد الفريق عامر أن قوة إسرائيلية مدرعة عبرت الحدود الفاصلة بين البلدين، وفرضت حصارًا على تحصينات الشرطة البريطانية القديمة داخل الحدود بخمسة أميال. قال الرجل الضخم الذي رد على الهاتف اصمدوا حتى الصبح واتصلوا بي أولًا.

حوَّل الإسرائيليون تحصينات الشرطة الإنجليزية إلى أنقاض، وقتلوا 35 من العرب. طلب عامر الإذن لاقتحام إسرائيل، فرد الرجل الضخم من القاهرة لا تفعل ذلك. كان هذا الرجل الضخم في القاهرة هو جمال عبد الناصر، الذي كرس حياته للعسكرية والبالغ من العمر 37 سنه، الذي بمقدوره إصدار هذا الأمر وتنفيذه. وهو الذي تمكن في الأسبوع الماضي من كبح جماح بعض مساعديه المتحمسين، وغلاة المسلمين الراغبين في دخول حرب شاملة مع إسرائيل، ووافق على وقف إطلاق النار وإقامة منطقة عازلة بين مصر وإسرائيل في قطاع غزة، الذي يرتبط به عبد الناصر برباط حميم، حيث انطلقت شرارة ثورة 1952 هناك، وكان جمال عبد الناصر هو المطلق لهذه الشرارة.

منذ سبع سنوات اجتاحت مصر، وهي قوة كُبرى في العالم الإسلامي شبه جزيرة سيناء، لوأد إسرائيل في مهدها عقب إعلان الأمم المتحدة عن مولدها، ولكن الفساد الذي دام عقودًا في القصر والحكومة، تجلي في نفاد الذخيرة وضعف العتاد وجبن القيادة. تعرضت وحدة الصاغ جمال عبد الناصر للحصار في الفالوجا على بعد أميال قليلة من غزة. رأى جمال القائد، وهو يغطي عينيه ويبكي ويصيح: العساكر بيموتوا، العساكر بيموتوا.

كتب عبد الناصر فيما بعد نحن تحت رحمة النيران الإسرائيلية نعيش في جحور الثعالب محاصرين تحدق بنا الأخطار، وقد قذف بنا الخونة بلا أسلحة في أتون معركة لم نستعد لها. وقال رفيق له: يا جمال الجبهة ليست هنا. إنما في القاهرة. اتجه عبد الناصر بالفعل إلى جبهة القاهرة، وقام بالثورة وأطاح بالملك، وأثبت أنه حاكم قوي وهمام وقائد واعد لمصر، البالغ تعداد سكانها اثنان وعشرين مليونًا ونصف مليون نسمة، التي عانت طويلًا من الفرقة والسليل كبلد مسلم في الشرق الأوسط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



إسهام الأسرة المالكة

انقضى في الأسبوع الماضي ثلاث سنوات وشهران على ثورة ناصر، والجبهة ظلت في القاهرة والجيش على ما يبدو يؤازره بقوة. وازدادت قبضة ناصر على الأمور في مصر أكثر من ذي قبل. حكام مصر في مخيلة رجل الشارع لا ينبغي أن يتأثروا بما يحيط بهم من ظروف، وعبد الناصر اكتسب صفات قائد عظيم تمكن من إقناع الإنجليز بالجلاء عن أرض مصر. وقام بإصلاحات واسعة في إدارة البلاد. فبمقتضى برنامج الإصلاح الزراعي، أعاد توزيع 660 ميلًا مربعًا، أي نحو 5 % من الأرض الصالحة للزراعة في مصر. ومعظم هذه الأراضي أُخذت من الأسرة المالكة، وتم توزيعها على الفلاحين. وأضحى عبد الناصر ضيفًا مرغوبًا فيه في الأوساط الدبلوماسية في العالم قاطبة.

بيد أن موجات الحماس التي واكبت الثورة في مستهلها تبددت، وأصبح نظام عبد الناصر يشعر بعدم الارتياح حيال ما يستند إليه من نقص الخبرة والديكتاتورية العسكرية. ليس هناك تحسن ملموس في مقدرات الشعب المصري، وهو من أفقر شعوب الأرض وأكثرها تعرضًا للمرض والذل. لم يتمكن جمال عبد الناصر من الحصول على قرض من البنك الدولي لتمويل السد الذي سيوفر مياه الري، ويولد الكهرباء في بلد يحتاج تصحيح الخلل الطبيعي في 99 في المائة من أرض مصر (حيث ترتفع معدلات الولادة لتضاعف عدد السكان في الخمسين سنة المقبلة). في حين تمكن عبد الناصر من تحييد بعض الأعداء، إلا أنه خلق المزيد من العداوات في صفوف حزب الوفد البائد والإقطاعيين، وما تبقى من أتباع فاروق والإخوان المسلمين وفلول الشيوعيين (لا تعدو 300 شخص) وبعض الحانقين من ضباط الجيش.

لم تنجح الأضواء الدبلوماسية التي أحاطت به في نيودلهي ورانجون وباندونج من إخفاء الانتكاسات الخارجية التي حدثت في سنة واحدة. فقد خابت آماله في تكوين وحدة دفاعية فيما بين الدول العربية بمباركة من الولايات المتحدة. ووقعت العراق على معاهدة مع تركيا، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي. ولم تشترك أي دولة شرق أوسطية سوى السعودية في خطة عبد الناصر لإقامة تحالف دفاعي عربي خالص. وأحبطت ثورة جنوب السودان وعناد الشمال وغباء مساعديه من الضباط خطته في ضم السودان بعد جلاء الإنجليز.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

أوجه القصور هذه، وتلك الإنتكاسات داخل مصر وخارجها، خيبت أمال من توسم في عبد الناصر أنه أتاتورك الجديد، حين بزغ هذا الشاب المتوثب من العدم، وتقلد السلطة. ومع ذلك ظلت العواصم الغربية تتوسم فيه أفضل أمل لمصر لإقامة حكومة معتدلة في أوساط المتهورين -وهم كثر- الذين يرغبون في محاربة إسرائيل حتى إن تعرضوا للفناء، ورأت فيه رجلًا يتحول يومًا ما إلى قائد في الشرق الأوسط، كما كان يحلم هو. وحتى في إسرائيل يقول المسئولون سرًا إنهم سيشعرون بالأسى لسقوط عبد الناصر. وقال دبلوماسي في الخارجية البريطانية: بدون عبد الناصر ستعم الفوضي غير المقدسة مصر كما عمت سوريا.

أثرت هذه الإحباطات على جمال عبد الناصر المتعجل دومًا. فبدأ يبحث عن الأسباب خارج نظامه وخارج بلده. واشتكى قائلًا إن الغرب قرر أن لا يقيم وزنًا لمصر ونظرًا لأن مصر تخلق المشاكل فقد قرر الغرب تدميرنا وعزلنا. يرفض عبد الناصر -على خلاف نهرو في الهند غير المنحازة- أي سيطرة من جانب القوى الغربية ويقول: نشك في كل القوى الكبرى.

عبد الناصر رجل ليس على رأسه بطحة، وعريض المنكبين شبيه بلاعب كرة أمريكي في منطقة الدفاع. بدأ الشيب يغزو مفرقه وينحسر الشعر عن جبهته التي بها آثار هراوة الشرطة. أنفه كبير ومعقوف وشاربه أسود ومحفوف وأسنانه بيضاء لامعة وبسمته وديعة. عيناه عسلية وثاقبة، ويتحدث بهدوء ونعومة، ولم يعهد عنه علو الصوت أو فقدان الأعصاب. لكن تحت هذا الهدوء تلمح صلابة وصرامة وخشونة، وقد تجلى كل هذا في حديثه في مكتبه في الأسبوع الماضي.

قال: ليس لدينا عداء تجاه أمريكا. سعيت دومًا إلى إقامة علاقات صداقة على أساس أن لا تفضي بنا هذه العلاقات إلى الهيمنة، لكني أدركت تدريجيًّا وجود عائق دائم بيننا، وهذا العائق هو إسرائيل. تساعد أمريكا إسرائيل بالمال لشراء أسلحة تستخدم ضدنا. في حين تتقاعس أمريكا عن إعطائنا ما نطلبه من سلاح.

الإسكندر ونابليون

الكثير من المسلمين يكنُّون عداءً شديدًا لا يوصف تجاه إسرائيل. إلا أن جمال عبد الناصر يعتمل بداخله خليط من القلق والغيرة والخشية تجاهها، ويشعر بجرح في الكرامة في أن هذه الدويلة كان بإمكانها أن تبتلع كل الدول

العربية، وتكون جيشًا أكبر مرتين من جيش مصر. وقال إنهم كان في مقدورهم أن يحصلوا على معدات من أي مكان. وأضاف بدأنا نتعلم منهم. كان هذا هو أسلوب عبد الناصر للإخبار بأن روسيا عرضت إمداد مصر بالسلاح من دون شروط حتى عرضت تمويل السد العالي. لا يزال عبد الناصر يرفض العرض. لكن هل كان سيعيد النظر في العرض؟ كان رده عبارة عن ابتسامة صارمة وهز الأكتاف بخفة.

قدمت الولايات المتحدة السلاح إلى عبد الناصر عقب توليه السلطة، لكنه رفض التوقيع على معاهدة أمنية متبادلة، ولم يسمح بوجود قوة عسكرية كالتي اعتاد مجلس الشيوخ الأمريكي طلبها في هذه الأحوال. ينبثق هذا الرفض من طول فترة السيطرة الاستعمارية على مصر، التي بدأت بالفرس سنة 525 قبل الميلاد، ثم الإغريق فالرومان فالعرب فالأتراك فالمماليك فالفرنسيين فالإنجليز. يعتمل في نفس عبد الناصر ومعظم جيله قدر من المرارة تجاه الإنجليز الذين احتلوا مصر 72 سنة. وقال: لدينا عقدة في هذا البلد من كلمات كالقيادة المشتركة ووالعهد المشترك والدفاع الثنائي والجملة فالخبرة تعلمنا أن العهود الأجنبية تعني السيطرة الأجنبية.

نما عبد الناصر في الفترة التي إشتعل فيها الاستياء من الإنجليز، وكان حزب الوفد يجابه الملك فؤاد والإنجليز الذي لم يألوا جهدًا في التدخل في السياسة الداخلية لمصر. ولد جمال عبد الناصر في الإسكندرية لأب يعمل في البريد، وكان شابًا يافعًا يلعب الهوكي في المدرسة، ويرتاد دور السينما، وكان غالبًا ما يرسب في الإمتحانات. وبدأ دراسة علم السياسة في سن السادسة عشرة من عمره. وقال: في يوم من الأيام كنت أسير في الشارع وصادفت خناقة بين الشرطة وجمع من الناس فإنضممت إلى الجمهور في مواجهة الشرطة. ولم أكن أعرف سبب الخناقة. وتم القبض على وسجنت وفي الحجز تبين لي أنهم من حزب مصر الفتاة. وانضممت إليهم بعد ذلك وإشتغلنا بجد وكانت الحكومة تكن لنا العداء. وظللت معهم طيلة سنة كاملة ولكن لفظتهم بعد فضيحة الإختلاس. وتزعمت اعتصامًا في المدرسة وتم رفتي. اشتركت بعد ذلك في حركات أخرى، وخضتُ معارك في الشوارع، كما أفاد بأن والده الذي كان مسلمًا ملتزمًا، قال له: اللعب بالسياسة سيدمر حياتك وأنت رسبت في المدرسة وهذا هو أخرة الحريه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

حفنة من الأشباه

ثمة شاب آخر، وهو فاروق، الذي خلف أباه في السابعة عشرة من عمره، كانت لديه قدرة مشئومة على تأليب الأحزاب على بعضها بعضًا مقابل قروش معدودة، وإضحاك العامة عليهم. فالسياسة كانت حكرًا على الطبقة العليا، والحركة الوحيدة التي كانت لها جذور شعبية في هذة الفترة هي حركة الإخوان المسلمين، التي كان أتباعها من مريدي حسن البنا وهو مدرس يطالب بالالتزام بالإسلام وتنقيته مما علق به. واعتمدت حركة الإخوان على الإخلاص الديني للمصريين وحماسهم له، وإن كان أفقهم السياسي محدودًا ومقصورًا على كراهية الغير. وكان شعارهم يا عزيز يا عزيز كبة تاخد الإنجليز، الذي صاحت به الملايين. بيد أن الإنجليز أداروا الأمور حسب أهوائهم، وأطلقوا على المصريين الجنس الأدنى (رعاع).

التحق جمال بالأكاديمية الحربية الملكية، وتمتع بالحياة النظامية، وكان طالبًا مجتهدًا. وفي سن العشرين تخرج برتبة ملازم ثاني وسرعان ما اكتشف فساد الحياة السياسية وامتداد هذا الفساد إلى صفوف الضباط الذين يتسمون بالجهل وسوء الخلق ويستقوون بالتزلف إلى قياداتهم العليا.... وقال جمال: هالني أسلوب التعامل مع الضباط. جمع جمال عبد الناصر بعض زملائه وقاموا بالاعتراض على تجبر الكبار. إلا أنهم تفرقوا بسبب الحرب العالمية الثانية، وأمروا بحراسة الكباري على النيل وفروعه.

كانت مصر على الحياد، غير أن الشكوك أحاطت بفاروق وتآمره مع المحور. وفي اللحظة الحرجة التي اقترب فيها روميل من الدلتا، وكان على بعد 40 ميلًا وخشيةً من الخيانة في الصفوف الخلفية، أحاط الإنجليز قصر عابدين بالدبابات، وأصدر السفير البريطاني الصارم إنذارًا أخيرًا إلى الملك، خيره فيه بين تنصيب الوفد الموالي للحلفاء أو النفي إلى خارج مصر. وقع فاروق على الأمر، وقال والبسمة ترتسم على شفتيه: ستندم على هذا في يوم من الأيام يا سيدي.

وصلت الروح المعنوية للمصريين إلى أدني مستوى لها، وألصقت تهمة العمالة إلى الوفد إلى الأبد، ودب الفساد فيه إلى النخاع. وتم اغتيال رئيس الوزراء، الذي كان سيقترح إعلان الحرب على المحور في قاعة المجلس. ارتفع عدد أعضاء الإخوان إلى 2 مليون، مع وجود خلايا أخرى، ووصمت الجماعة بالإرهاب. شعر جمال وزملاؤه بالذل والغضب شعورًا لا يدانيه شعور، وتم تشكيل لجنة في نادي الضباط التي كانت بمثابة الخطوة الأولى لحركة الضباط الأحرار التي ستطرد الملك وحاشيته من مصر بعد 10 سنوت.

في هذه السنة، بدأ جمال عبد الناصر في التنظيم وقال: راقبت الضباط المتخرجين، وجعلت منهم مجموعات يتحدثون، وإخترت أفضلهم. تحدثت مع كل منهم على انفراد. تزوج جمال ابنة تاجر سجاد محترم، وعاش حياة هادئة، ولم يكن تبدو عليه روح المؤامرة. تم تعيينه في كلية الأركان، وقدم المساعدة إلى من كان يود اجتياز الامتحانات والذين شعروا بالامتنان له. بدأ البحث عن شخص يكون مصدر إلهام للمجموعة ووجد ضالته في محمد نجيب، وهو عقيد اشتهر بأمانته، وأعطته جماعة الإخوان الدعم خفية، حينما وعد مفتي القدس بالدفاع عن فلسطين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



آن أوان العمل

حين أنهارت الدفاعات العربية، اضطرت مصر بفعل القوة الإسرائيلية إلى عقد هدنة في عام 1949. كان الغضب يغلي في قلوب المسلمين وانفجر بعد ذلك. وبدأت حرب العصابات ضد الإنجليز الذين انسحبوا حينئذ إلى منطقة القناة. وبعدها انتقلت الجبهة إلى القاهرة، حيث تم حرق البارات ودور السينما (وكلها موبقات في أعين المسلمين) وكذلك الفنادق التي كان روادها من الأجانب. رضخت حكومة فاروق وتم إعلان حالة الطوارئ.

أزف الوقت لكي يتحرك الضباط الأحرار. يقول جمال عبد الناصر: كانت الخطة الأصلية قتل فاروق وأتباعه في القصر. وتم تكليف 15 مجموعة من الضباط الأحرار للقيام بالقتل إلا أن الأمر كان معقدا حسبما رأينا، وتم إرجاء الخطة في اللحظة الأخيرة. فلو عجزنا عن قتل الملك سيكون الجرح كبيرًا وإذا نجحنا فماذا يحدث؟ حتمًا الفوضي. علمنا بعد ذلك بأيام قليلة أنه ستكون هناك حركة تطهير في صفوف الضباط. وعلمنا أنهم أخذوا أسماءنا. فتم وضع الخطة التالية: 1 - إخضاع الجيش للسيطرة. 2 - التحكم في البلاد. 3 - طرد الملك بأي وسيلة كانت.

يقول جمال عبد الناصر؛ في ليلة الثاني والعشرين من شهر يولية 1952: ذهبت من منزل لمنزل لكي أنقل إلى الضباط كلمة السر، وأقنعهم بأن النجاح سيكون حليفنا، وسأل أحد الضباط إن كان من الحكمة إيقاف الخطة فقلت له لقد دارت العجلة وليس بالإمكان إيقافها. ودارت العجلة دورتها الكاملة في 3 أيام. وتم تعيين محمد نجيب، وهو واجهة طيبة ويبلغ من العمر 51 سنة، رئيسًا للأركان وتخلى فاروق عن العرش واستقال رئيس الوزراء.

بدأت حركة الضباط الأحرار حملة تطهير شملت نصف الضباط القدامى ومئات من ضباط الشرطة وبعض القضاة، وتم الزج بالبعض في السجون، كما تمت السيطرة على الصحافة والإذاعة والجامعات وسيطر شباب ناصر من الضباط على مفاصل الحكومة، وتم إنشاء جهاز المخابرات المحلي. تسارع الخطى أذهل محمد نجيب رئيس الوزراء الذي قال أود أن أتأسى بغاندي في حكم البلاد دون تحمل مسئولية رسمية. ولم يتحمل خشونة هذه اللعبة لفترة طويلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

بعد أسبوع

سلك النظام الجديد طريقًا أكيدًا للسيطرة على الأمور، ألا وهو إخراج الإنجليز من مصر. تحلى الإنجليز باستثناء بعض المتمسكين بالإمبراطورية بالحكمة، ورأوا أن النظام الجديد قد يكون الأفضل لمصر، ومن ثم الشرق الأوسط. وهنا تدخلت واشنطن للحفاظ على سير المحادثات. وبعد مساومات طويلة وقع عبد الناصر، الذي كان يحمل لقب وزير الداخلية اتفاقًا لإنهاء الاحتلال الإنجليزي لمنطقة القناة وبمقتضي أحكام الاتفاق شرع الإنجليز في إعادة نصف منطقة القناة للسيطرة المصرية. تدفق الناس على إثر ذلك إلى الشوارع، وأوقدوا شعلة النصر، وهتفوا للنظام الثوري، ومنح هذا زمرة عبد الناصر دفعة قوية لأشهر قادمة. إلا أن هناك قطاعًا متذمرًا ألا وهو الإخوان المسلمون، الذين رأوا في ذلك خيانة بالسماح لمهاجمة تركيا ولوجود رابطة خفية بين عبد الناصر والغرب.

بعد 7 أيام من أهازيج النصر، وقف جمال يخطب في جماهير الإسكندرية، وحينها قام رجل بإطلاق النار عليه، ووجه إليه 8 رصاصات لم تصبه. ظل جمال واقفًا مكانه وصاح: اقبضوا على هذا الرجل، ثم تقدم إلى الميكرفون وقال: أيها الرجال ابقوا في مكانكم. ابقوا أيها الأحرار. ثُرت من أجلكم وعلمتكم الكرامة والاعتزاز بالنفس. أيها الأحرار أيها الرجال أعدت أنا لهذا البلد كرامته وحريته وحاربت من أجل أبنائكم. تلاشى الرعب وانكب المصريون يسمعون لرجل متحمس بذاته محميٍّ لغيرة، وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت. وصاح: ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد. كانت هذه هي لحظة الحقيقة بالنسبة لجمال عبد الناصر، ومنحته الإلهام والفرصة ليخطو من الخلف إلى المقدمة ويتولى القيادة صراحةً.

مكنت هذه الحادثة لأمر ما من قصم ظهر الإخوان المسلمين، ومنعهم من إعاقة أهداف جمال عبد الناصر، فقد تم إعدام ستة من أعضاء الجماعة في بادرة هي الأولى من نوعها لإراقة الدماء في ثورة عبد الناصر، وتم شل حركة قيادة الإخوان المسلمين وتصادف أن كان أحد منشورات الإخوان يحمل بقايا خط محمد نجيب. وطلب إلى اللواء نجيب أن يرحل وأن ينعزل بذاته في ڤيلا بعيدة على ضفاف النيل.

وقال جمال عبد الناصر: كان رجلًا طيبًا وبسيطًا إلا أن واقع الأمر أنه جاهل أفسدته السلطة. منذ ذلك الحين بدأ عبد الناصر تدريجيًا في اجتذاب الآخرين إلى صفه، ودانت السيطرة له على شباب الضباط في مجلس قيادة الثورة، وقال لهم الضباط الأحرار هم بمثابة برلمان لي. في الأيام الأولى كان عدد

أعضاء مجلس قيادة الثورة 14، يلتقون يوميًا لمدة 6 أو 8 ساعات لمناقشة المشاكل. ارتفع عددهم اليوم إلى 19، وجمعيهم يدينون بالولاء لشخص عبد الناصر، وتم طرد اثنين منهم بدعوى أنهم من الشيوعيين وهما يوسف صديق وخالد محيي الدين كما تم عزل عبد المنعم أمين لعدم ولائه. وتم التخلص من صلاح سالم وزير الإرشاد القومي وشئون السودان، الذي عرف عنه أنه الصاغ الراقص في السودان وذلك نظرًا لإخفاقه الشديد في التعامل مع برنامج السودان. وكان الحديث يدور في شتى جنبات القاهرة عن آخرين سوف يتم عزلهم.

في الوقت الذي تتزايد فيه سلطة عبد الناصر الشخصية، فإنه اقترب من ذلك اليوم في يناير الذي وعد فيه بتحويل الحكم العسكري إلى حكومة نيابية وإيجاد برلمان من المصريين. فلا أحد ولا حتى جمال عبد الناصر نفسه واثق بأنه سيتم الوفاء بهذا العهد. واعترف عبد الناصر بأنه في حياته كلها كان لا يؤمن إلا بالعسكريين، وأن الجيش هو القطاع الوحيد الذي يثق فيه، وأنه ما لم يتوفر له مزيد من المعدات، فإن روحه المعنوية ستنهار، ويقع الضباط فريسة لفساد الشيوعيين واليسار أو المتطرفين الإسلاميين.

وقع عبد الناصر في مأزق عملي، فهو يقود ثورة بلا أيديولوجية ولا خارطة طريق وقال:

بدأنا ثورتنا بمجموعة من المبادئ وليس برنامجًا، وأحيانًا ما نجد أنه يتعين علينا تغيير الاتجاهات فقد قرأت كثيرًا عن الاشتراكية والشيوعية والديمقراطية والفاشية ولم ترتبط ثورتنا بأي من هذه الإتجاهات... فنحن لا نقلد أحدًا في أيديولوجيتنا بل نحن بلد قوامه 22.5 مليون نسمة، يبلغ عدد الفلاحين الفقراء فيه 18 مليونًا، وحرمنا من الحرية الشخصية لـ3 آلاف عام... وخضعنا لسيطرة الإقطاع وحين نتحرر من هذا حينها فقط ستكون مصر حرة طليقة.

وكان جادًّا بما يكفي فيما قال - وهو ليس كذلك - فإن مصر كانت ستحرز تقدمًا كبيرًا صوب هذا الهدف. فرئيس الوزراء ذاته يعيش حياة التقشف في منزل مكون من 5 حجرات، ويقع داخل الوحدات العسكرية في منطقة العباسية، ولا يسمح لنفسه بأي من الامتيازات التي يستطيع الوصول إليها. وحين سأله زميل لي لماذا يرفض الدخول إلى فندق سميراميس الفخم قال: لم أذهب إليه من قبل وكان عبد الناصر في أيامه الأولى في الحكم يرتدي بدلة عسكرية بياقة مفتوحة بها بعض الأزرار في صفين، ورتبة العقيد، أما الآن فهو يفضّل البدلة المدنية السادة رمادية اللون.

لم تخرج زوجة رئيس الوزراء إلا على قليل من المصريين، وعدد أقل من الأجانب تمشيًا مع التقاليد المصرية ولا تشارك في الشئون العامة، لكنها كرست نفسها لخدمة الأسرة: 3 أولاد وبنتان.

كان عبد الناصر يدخن ولا يشرب أي شيء إلا الكوكاكولا وكان يؤثر فنجان الشاي، جريًا على ما اعتاد عليه الضباط الإنجليز.

يؤكد دومًا عبد الناصر أن معاييره الأخلاقية تنطبق على أسلوب حكمه ويتفاعل مع الاقتراحات التي هي من قبيل الآمال. وسرعان ما يرد: كله تمام، ويؤكد ويقول إنهم فاسدون وليسوا أمناء وإنهم خبثاء، لكنهم سيخلعون رداء الفساد ويلبسون ثوب الأمانة.

كانت هناك سمة أخرى من أخلاق جمال عبد الناصر، التي أخفتها صراحته الشديدة في الحديث عن نفسه ألا وهي سعة الحيلة. وقال عنه صديقه الفريق عبد الحكيم عامر، ما يلي: لاعب شطرنج جيد جدًا، وإذا حاول أن يكسب فبإمكانه أن يكسب. إنه ثعلب وليس من السهل معرفة نياته. ويقول عنه السفير جيفرسون كافري، السفير السابق للولايات المتحدة في القاهرة، الذي كان هناك حينما سيطرت قوات عبد الناصر على الأمور: إنه بارع طيلة حياته في وضع الخطط ويتقن هذا كل الإتقان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



في عجالة

من السهل أن تتبين التآمر في الحركات الأخيرة التي قام بها عبد الناصر. فاضت إذاعة صوت العرب بسيل من الهجمات على الفرنسيين في المغرب، ومنح عبد الناصر حق اللجوء للثائر عبد الكريم من الريف المغربي، وهي منطقة مضطربة تقع في الشمال الأفريقي كما منح اللجوء أيضًا لمفتي القدس الذي يكن العداء لليهود. وفي قطاع غزة قام بتسليح وتدريب قادة المقاومة وفرق من اللاجئين العرب الفلسطينيين الذين يقومون بإختراق الحدود لمهاجمة إسرائيل. وقام في مؤتمر باندونج في الأسبوع الماضي برفع ذراعيه مع نهرو وشوينلاي، حيث تم الثناء عليه كبطل مقاوم للاستعمار، وقام بمقايضة القطن المصري ببعض المنتجات من الصين الشيوعية. وفي السنة الماضية أرسل بعثات تجارية إلى موسكو ويخطط في السنة المقبلة للذهاب إلى هناك بنفسه.

يري الدبلوماسيون الغربيون -رغم خيبة أملهم وانزعاجهم من مفاتحات عبد الناصر لحركة عدم الانحياز- أن هذه التحركات من جانبه مردها إلي الغموض والضرورة حيث إنها تشتت إنتباه من في الداخل بعيدًا عن المأساة التي يعيشونها. هذا مجرد لعبة لتأخير الأمور ولن تستمر كثيرًا. وجمال عبد الناصر شاب عاقل، وإن لم تكتمل عنده الحكمة، إلا أنه من ما لا شك يشعر بالوطأة ويشعر كل يوم بأن الزمن وعناصر عدة ليست في صفه. فقد اشتكي وقال: كلما طال الوقت لصنع الإنجازات فإن الأمور ستتعثر. فهو ليس متأكدًا من الوجهة التي يتجه إليها هو ومصر إلا أنه في عجالة. وقال رئيس الوزراء عبد الناصر بهدوء: ليس بمقدوري أن أفعل هذا فأنا رجل عاطفي شأن بقية الناس. إلا أنني سأواصل الثورة حتى يتم اغتيالي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



السويس

(مجلة التايم: ٢٧ أغسطس ١٩٥٦)

27 أغسطس 1956

مبادئ 1888

بِسْم الله القادر

"يرغب كل من سمو ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمي وأيرلندا، وإمبراطورة الهند، وصاحب السمو إمبراطور ألمانيا، وصاحب السمو إمبراطور النمسا، وملك بوهيميا وغيرها وملك المجر، وصاحب السمو ملك إسبانيا وباسم رئيس الجمهورية الفرنسية وسمو ملك إيطاليا وسمو ملك هولندا والدوق الكبير للوكسمبورج وغيرها، وصاحب السمو إمبراطور روسيا، وصاحب السمو الإمبراطور العثماني، في إقامة نظام واضح عن طريق مرسوم معهود، بهدف ضمان الاستخدام الحر في كل الأوقات ولكل الدول لقناة السويس البحرية".

كانت تلك السنوات منذ 1888، صعبة على أولئك الذين تعهدوا بمعاهدة القسطنطينية، والخاصة بقناة السويس، إلا أن دبلوماسيي 22 دولة متاجرة التقوا الأسبوع الماضي في لندن، وانكبوا على الحفاظ على "النظام الواضح"، والخاص بالسيطرة الدولية على القناة لمجابهة مصادرة الديكتاتور المصري جمال عبد الناصر لقناة السويس وضمها إلى مصر.

كان الهدف المرجو والمعقول، هو نفس الهدف الذي طرح في المؤتمر الذي عقد منذ 3 أسابيع. وأراد الإنجليز والفرنسيون الذين اعتلاهم الغضب، عقد جلسة سريعة، والإسراع بإصدار إنذار أخير مدعوم باستخدام القوى لسحق الادعاءات التي أصدرها رجل مصر القوي. لكن حينما التقى مائتان من الدبلوماسيين والمساعدين حول مائدة المؤتمر في لانكستر هاوس في الأسبوع الماضي، بدأ البريطانيون بالقول: إن اعتمادهم المطلق على القناة لم يعد في حقيقة الأمر مطلقًا ويمكن لهم أن يقبلوا ما حدث وما نتج عنه من متاعب وكان هناك تقبل لمرور السفن حول رأس الرجاء الصالح. ما كانت تسعي إليه الوفود الآن هو حل وسط يفي بالحق القانوني لجمال عبد الناصر في تأميم شركة قناة السويس شريطة أن يقبل بتدويل السيطرة على القناة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

العودة إلى تشارلز السابع

أعلن جون فوستر دالاس ببراعة في خطابه في المؤتمر ما يلي: "تكافل الدول بالنسبة لقناة السويس يصل إلى أعلى نقطة"، "والحياة الاقتصادية لكثير من الدول تشكلت وارتهنت بالنظام الذي يحكم القناة والذي ينطوي على عقوبات تعاهدية. قلب النظام أو ربما تدميره أو الحصول على منافع بالتهديد بذلك ليس إنتصارًا على الإطلاق، ولا يجلب المجد. وقناة السويس نظرًا لطابعها الدولي قانونًا وواقعًا هي آخر الأماكن التي يسعى المرء فيها لتحقيق انتصارات داخلية" وأشار إشارة عابرة إلى ما اقتبسه كثيرًا جمال عبد الناصر من فلسفة الثورة وما ينطوي عليه ذلك من خطر منع البترول وقال: "البترول هو الإكسير المادي للحضارة الذي تتوقف من دونه الآلات إذا غاب". واقترح دالاس إقامة مجلس دولي لإدارة القناة والوقاية من هذه التهديدات.

قال وزير الخارجية البريطاني سيلوين لويد: إن هذا عرض رائع. وتحدث وزير خارجية السويد المحايدة أوستن أوندن، وأيد بيان دالاس، مما حدا بأحد الحاضرين القدامى إلى القول: أوندن هو أول سويدي يعرف أين يقف وينحاز منذ أيام تشارلز السابع. وتحدث وزير خارجية روسيا ديمتري شيبيلوف حديثًا مليئًا بالأفكار الخارجة عن الموضوع، رغم أنه ينبغي الاستماع إليها، لأنها تدعم عبد الناصر، لكنها تعترف بضرورة التعاون الدولي. والتقي شيبيلوف ودالاس للمرة الأولى، لكنهما عقدا جلسات مثمرة على الهامش. في حين أبدى الإنجليز والفرنسيون تشددًا إلا أن روسيا والولايات المتحدة أكدتا على ضرورة المرونة، ومن دواعي السخرية أن هذين الأخيرين قد جمعا معًا متنافسين كانوا هم أساسًا بمثابة الجسر الذي يربط الجانب الأمريكي بالجانب الروسي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ما نقوله لعبد الناصر

بدأت الاجتماعات الجانبية، وطار كبير المساعدين السياسيين لجمال عبد الناصر، علي صبري، من القاهرة. وأعلن أن الدول المالكة للسفن لها الحق في استخدام القناة، شأنها في ذلك شأن عملاء أي متجر، ثم عقد جلسةً مطولة مع كريشنا مينون من الهند، الذي كان يدافع عن موقف عبد الناصر المناهض للغرب، وإن كان عدل هذا بالقول إن القناة هي الطريق الذي يستخدمه بلده للوصول إلى الأسواق. وأكد وفد آسيوي في نهاية الأسبوع، أن حفنة من الوفود الأسيوية التي التقاها أعربت عن خوفها من أن تكون لمصر السيطرة المطلقة على الممر المائي. وقال الرئيس سوكارنو، الذي عاد إلى بلده إندونيسيا: "ارفعوا أيديكم عن مصر"، في حين أن وفده كان يقول بشكل خاص في لندن: "نحتاج كدول صغيرة إلى أدوات التصنيع التي تأتي إلينا من خلال القناة، وليس بإمكاننا أن نحصل عليها وهي تدور حول رأس الرجاء الصالح وتتكلف الكثير. وهذا ما نقوله لناصر". وأوضح وزير خارجية فرنسا الوزير بينو، هذه النقطة في المؤتمر في محاولة ذكية منه لتشتيت الإنتباه بعيدًا عن كلام عبد الناصر عن الاستعمار.

أسهم سيلوين لويد إسهامًا حاسمًا في البحث عن حل معقول، وذلك في الأسبوع الماضي وكان قد وصف تأميم القناة بأنه خطر أكبر على بريطانيا من الخطر الكوري أو حصار برلين وقال: "السيادة لا تعني الحق في أن تفعل ما تشاء داخل إقليم بلادك. وأضاف المثل المشهور"، استخدم ما لديك شريطة ألا تضر بممتلكات الآخرين "وهذا مثل معترف به في النظام القانوني العالمي". وأضاف لويد: "ليس هناك فحوى حقيقية لفكرة التعدي على سيادة الدول جراء السماح لسلطة دولية للقيام بمهام معينة داخل إقليم الدولة". وأشار إلى أمثلة الهيئات الدولية التي تدير بالفعل الأنهار الدولية كنهر الراين ونهر الدانوب.

كان الغرض الأساسي للمؤتمر التوضيح لعبد الناصر؛ أنه يمكن أن يقبل بسلطة دولية تدير القناة دون الإقلال من سيادة بلده قيد أنملة. كانت الجهود تركز على التصالح وإبعاد التهديدات بما سيحدث إذا رفض عبد الناصر. وركز جون فوستر دالاس على صياغة نظام شبيه بما ورد في معاهدة القسطنطينية الجديدة، بحيث لا تضطر مصر إلى قبول ما رفضته بالفعل. وطالما أنه على إستعداد لقبول ما طالب به وزير خارجية ألمانيا فون برينتانو من ضمانات مؤسسية دولية، فإن عبد الناصر لديه الفرصة لتملك شركة القناة (بعد دفع التعويضات الواجبة) وإذا أتيحت للعالم فرصة حرية الملاحة. سنحت الفرصة لعبد الناصر ويتحمل هو عبء الرفض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

رد اللكمة

ظل الرجل الذي انعقد المؤتمر من أجله في وطنه في القاهرة في الأسبوع الماضي، وأخذ يعد العدة لحرب طويلة الأجل. وكان جمال عبد الناصر تبدو عليه الثقة رغم الضغوط، لكنه لم ينجح في إظهار عدم الاكتراث بالأمر، وتبين لزميلنا المراسل جون ميكلين في لقاء خاص معه؛ أن عبد الناصر كان متوترًا وتكالبت عليه المشاكل على نحو غير معتاد. وكان يجلس في مكتبه الصغير والبسيط الواقع في مبني مجاور للنيل، بناه الملك السابق فاروق، كدار لليخت خاصًا به، وكان الديكتاتور عبد الناصر يخشى التهديد بالعقوبات الاقتصادية أكثر من خشيته من الغزو المسلح. واعتاد عبد الناصر أن يهز ركبته اليمنى طيلة الوقت وهو يتحدث.

سألته: ماذا عن مؤتمر لندن؟ قال: "لا أعرف ما الذي سيحدث. جاءنا رد اليوم من السيد بينو في الحديث الذي ألقاه، حيث قال إنه يوافق على ملكيتنا للقناة إذا ما قبلنا نحن بتدويلها". اضطجع عبد الناصر إلى الوراء ضاحكًا وأشعل سيجارة LM وقال: "صحيح"، "هناك خلط كثير في هذا الموضوع. نحن على استعداد لمناقشة حرية الملاحة، لكن القناة جزء لا يتجزأ من أرضنا".

سألته: ما الذي ترغب في أن تفعله أمريكا الآن؟ قال: "أن تكون منصفة. مجرد الإنصاف. الروس منصفون وأنتم لستم كذلك. في اقتراحاتكم أمس أيدتم الاستعمار الجماعي، أما الروس في طروحاتهم اليوم فدعموا ما لنا من سيادة وكرامة".

سألته: هل سياسة الحياد لا تزال أمرًا واردًا بالنسبة لمصر؟ قال: "ما هي سياسة الحياد؟ الحياد هي كلمة مقصور استخدامها على الحرب. نحن ننتهج سياسة مستقلة، سياسة التعايش السلمي النشط. ثلث تجارتنا مع الكتلة الغربية، وثلث مع الكتلة الشرقية، أما الثلث الباقي فهو مع بقية العالم. فَلَو كانت تجارتنا كلها مع الغرب، لكنا في وضع حرج للغاية اليوم. الحمد لله أننا لدينا هذه السياسة". أشعل سيجارة أخرى وأخذ يلعب بعصبية بالولاعة الدانهيل بإصبعه.

سألته: ماذا لو تعرضت مصر للهجوم؟ قال: "سنحارب". سألته: ماذا لو فرض الغرب عقوبات اقتصادية؟ فقال: "سنبذل كل ما في وسعنا للهروب من هذه العقوبات. تعرف أننا بلد صبور. وما تأثير ذلك على الضمير العالمي؟ إن هذا سوف يكون عملًا ضد سيادة كل البلدان واستقلالها وسيفقد الغرب الكثير في العالم أجمع".

سؤال: هل ستسعي مصر لزيادة التبادل التجاري مع روسيا؟ قال: "بطبيعة الحال سنلتمس كل السبل حينما يكون الاختيار بين الجوع والتعاون مع أي طرف. وفي هذا الإطار نستعد الآن لنلتقي وفدًا صينيًا في نهاية هذا الشهر. وهم على استعداد لتوفير أي شيء لا نستطيع الحصول عليه من الخارج". حتى الأسلحة؟ قال: "لدينا ما يكفي من الأسلحة. نفكر في الغذاء إذا حدث وفرض علينا عقوبات".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



في مكان ما في الأردن

اتسمت ملاحظات الديكتاتور بالتأكيد، وإن كانت طريقته لا توحي بذلك على الإطلاق. وكانت هذه لعبة خطيرة يلعبها رجل واحد في مقابل 22 دولة قوية من دول العالم، وإن كان يُعَول على انحياز البعض له وانحياز آخرين لو لعب اللعبة على أصولها.

استطاع الديكتاتور جمال عبد الناصر أن يظهر في الأسبوع الماضي صورتين: صورة لمصر وقد استتب بها النظام والهدوء، وصورة للعالم العربي وقد حمل السلاح. وقامت اللجنة السياسية في الجامعة العربية بعقد اجتماع في القاهرة دعمًا له، ووافقت بشدة على تأميم عبد الناصر للقناة. وفي اليوم الذي بدأ فيه مؤتمر لندن، توقفت كل مصر عن العمل لمدة 24 ساعة، وعزفت عن الكلام لمدة 5 دقائق اعتراضًا على المؤتمر. ولم يستثن من هذا الاعتصام إلا مرور السفن في قناة السويس، وذلك بناءً على طلب لجنة المراقبة الحكومية التي طالبت بمواصلة العمل كالعادة. وتوقفت أنابيب البترول التي يمتلكها الغرب عن الضخ معظم اليوم في سوريا ولبنان والعراق. وفي ليبيا استخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع لتفريق مظاهرة لصالح مصر. وأعلنت وكالة الأنباء التي يتحكم فيها عبد الناصر، أن هناك تنظيم سريًا يعقد اجتماعًا في مكان ما في الأردن، ويضم مجموعات من المحيط إلى الخليج. "تم التأكيد بصفة خاصة على أهمية تدمير حقول النفط والأنابيب، وشل عمل كل الشركات الإمبريالية التي تمتص دم الشعوب العربية". صاح بهذا رجل يلوح بقبضة يده وفي اليد الأخرى أشعل سيجارة.

يبلغ جمال عبد الناصر من العمر 38 عامًا، كبير الجسم ولم يكن منذ أربعة أعوام سوى ضابط مشاه مجهول في جيش مهزوم لا ثقة فيه. منذ فترة وجيزة أشاد به القادة الغربيون (والقادة الإسرائيليون) ووصفوه بأنه قائد حكيم طال انتظاره في الشرق الأوسط، وشاب ذو بصيرة قوية قد يجلب الهدوء ليحل محل الفوضى. أما اليوم، وبعد أن صادر أهم ممر مائي في العالم، فإنه يتحدى الجميع ويشعل الكراهية لدى العرب ويحثهم على طرد القوى الغربية من الشرق الأوسط. على حد قول خبير غربي. الذي أضاف: "ظننا أننا نتعامل مع قط ولكن واقع الأمر أنه نمر".

هناك أسماء أخرى في وصف عبد الناصر، حيث وصفته مجلة طوري دايلي ميل اللندنية بأنه "هتلر على ضفاف النيل". وتقول صحف بكين: "الأخ المصري" وتصفه الصحف الفرنسية بالديكتاتور المتعالي. وقال سير أنطوني إيدن: "هذا هو أسلوب الحكومات الفاشية". وتقول صحافة القاهرة عنه إنه

"منقذ الشعب" ويقول الإسرائيليون عنه إنه "قاطع طريق" و"ذئب غدار". ويري نهرو: "أنه صغير السن وتنقصه الخبرة" أما وزير خارجية فرنسا كريتسيان بينو فيعتبره "كاذبًا بالفطرة".

اعترف عبد الناصر دومًا بأن الحركة التي كان يتزعمها حركة سلبية في الأساس وقال: "هي ثورة بلا خطة"، وحاول عبد الناصر أن يتحدث بلغة الليبرالية الغربية، لكن واقع الأمر كان نظامه نظامًا رجعيًا من الناحية السياسية. ففي شهر يونية الماضي أكد 5 ملايين مصري على ديكتاتورية عبد الناصر بإنتخابه بنسبة 99 % في عملية انتخابية "حرة"، وكتب منذ عدة سنوات إلى صديق له يقول: أري أن الإمبريالية تلعب معنا لكي تهددنا فقط ولو أنها علمت بوجود مصريين على استعداد للتضحية بدمائهم ومقابلة القوة بالقوة ، لما أقدمت على ذلك".

جمال عبد الناصر اعتاد على رد اللكمة باللكمة، وكسب كثيرًا من الجولات. وأيًا كان الأمر فإنه فعل الكثير ولكن السؤال إلى أي مدى يستطيع أن يذهب في هذا الطريق؟ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ثورة مزدوجة

الثورة المزدوجة تحدد حياة عبد الناصر الخاصة تحديدًا واضحًا

في الشرق الأوسط التي تتجاذب الأفكار الغربية الرجال من ناحية، وتتجاذبهم من ناحية أخرى التقاليد الشرقية القديمة التي تسعي للتخلص من السيطرة السياسية الغربية، وإن كانت تفعل ذلك بوسائل تعلموها من أوروبا وبالإبتعاد عن ماضي هذه البلدان الراكد. وهذا الخليط تراه غالبًا هذه الأيام في الجنود ذوي الأصول المتواضعة، والذين تم تدريبهم على الطريقة الأوروبية ويتسمون بالوطنية المشتعلة.

ولد جمال عبد الناصر في قرية تبعد 200 ميل عن القاهرة، وشأنه شأن معظم المصريين فهو من أصول مصرية وعربية. وقال: "كنّا في هذه القرية كأسرة واحدة". "كان الإقطاعيون يعاملون الناس كالعبيد". كان والده يعمل في البريد، وتم إرسال جمال للتعليم في القاهرة حيث تعلم ثلاثة أشياء رائعة في ذلك الوقت وهي القراءة والكتابة والتمرد. وكان يصيح: "يا عزيز يا عزيز كبة تاخد الإنجليز". وكان ينخرط في الاشتباكات الوطنية التي كانت تقع في الطرقات ثم تم قبوله في الأكاديمية العسكرية وكان يصف هذه الإشتباكات بشيء من المرارة وقال (تعود من الفصول الدراسية بمشاعر عن عالم جديد ينتظرك إلى بيت يخلو من طعامٍ للأكل).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



دور يبحث عن بطل

الدوائر الثلاث لطموح عبد الناصر

أضحت فلسفة الثورة التي نُشرت منذ سنتين كتابًا يتعين قراءته في الدوائر الأوربية. ويطلق عليها رئيس وزراء فرنسا مولي، كفاحي لعبد الناصر أسوة بكتاب هتلر. ومع ذلك كتاب عبد الناصر ككتاب هتلر يعد لوحة معبرة عن شخصية المؤلف الذي يستبد به القلق والخلل وتسيطر عليه الطموحات الجامحة. فيما يلي بعض الاقتباسات:

الأقدار لا تعبث والأحداث ليست مسألة مصادفة والوجود لم يأت من عدم. لا يمكن أن ننظر إلى خريطة العالم وليس لنا مكان فيها... لأمرٍ ما يبدو لي أنه داخل العالم العربي ثمة دور يبحث عن بطل. ولأمرٍ ما يبدو لي أن هذا الدور يلوح لنا في الأفق ويطالبنا بالتحرك لنأخذ ملامحه ونستبين خطوطه ونرتدي ثيابه ونمنحه الحياة. واقع الأمر أننا الوحيدون القادرون على الاضطلاع بهذا الدور ألا وهو إطلاق شرارة قوى الإبداع الكامنة في المنطقة المحيطة لخلق قوة عظمى ترتقي إلى مستوى الكرامة وتضطلع بدور إيجابي في بناء مستقبل البشرية.

الدائرة الأولى

ما من شك في أن الدائرة العربية هي الأهم، التي تربطنا بها أوثق الروابط. فنحن تربطنا روابط التاريخ، فقد عانينا معًا ومررنا بنفس الأزمات، وحين وقعنا في براثن الغزاة كانوا معنا في نفس الخندق.كما أننا تربطنا في هذه الدائرة روابط الدين. أخال أننا أقوياء والمشكلة الوحيدة هي أننا لا ندرك مدى قوتنا. وحين أحاول أن أحلل عناصر القوة لدينا، أرى أنها مستمدة من مصادر ثلاثة. وأولها أننا مجتمع من شعوب متجاورة، والمصدر الثاني لقوتنا هو أرضنا ذاتها وموقعها على خريطة العالم، هذا الموقع الإستراتيجي المهم الذي يضم مسارات عبور العالم الثلاثة، وجهة التبادل التجاري ومسار الجيوش. أما المصدر الثالث فهو النفط وهو عصب الحضارة المادية والذي بدونه ستتوقف عجلات الآلات عن الدوران. كل المصانع التي تنتج أعظم البضائع - وكل وسائل النقل البري والبحري والجوي، وكل أسلحة الحرب من الطائرات فوق السحاب إلى الغواصات في قاع البحار ستتوقف ويعلوها الصدأ وتتآكل أجزاؤها إلى الأبد.

مراكز إنتاج النفط انتقلت من الولايات المتحدة حيث تجف آبار البترول إلى العالم العربي حيث توجد الآبار البكر وترتفع هناك تكلفة الأراضي، وكذلك

أجور العمال في حين أن تكلفة العمالة عندنا منخفضة، ولا يحصل العامل إلا على الحد الأدنى. نصف الاحتياطي العالمي موجود تحت الأراضي العربية. هل أوضحت لك أهمية هذا العنصر الإستراتيجي؟ ولذا فنحن أقوياء ليس في علو الصوت حين نطلب العون أو نصيح، إنما قوتنا في صمتنا، ونفهم القوة الناتجة عن الروابط التي تربطنا معًا.

قلب القارة السمراء

لو انتقلنا إلى الدائرة الثانية، وهي القارة الأفريقية، فإنني أقول دون مبالغة، إنه ليس لنا أن نظل بمنأى عن الصراع الدائر في القارة بين 5 ملايين أبيض و200 مليون أفريقي لسبب واضح ومعروف، فنحن في أفريقيا والشعوب الأفريقية ستتطلع إلينا كحراس للبوابة الشمالية للقارة، كما أننا بمثابة رابطة تربطهم ببقية العالم.

الحقل الإسلامي

تبقى دائرة ثالثة وهي التي تمتد عبر القارات والمحيطات، وفيها إخواننا في العقيدة الذين يتجهون إلى مكة، وينطقون بأفواههم نفس الدعاء. حين أفكر في 50 مليون مسلم في إندونيسيا ومثلهم في الصين وملايين الماليزيين والسيام والبورميين وما يقرب من 100 مليون في الشرق الأوسط و30 مليونًا في الاتحاد السوفيتي والملايين الأخرى في مختلف بقاع العالم حين أفكر في أن كل هؤلاء تجمعهم عقيدة واحدة أخرج بإمكانات كبيرة يمكن تحقيقها من خلال التعاون الذي يجمع كل هؤلاء ونستفيد من ولائهم لبلدانهم فنمكنهم جميعًا من خلق قوة بلا حدود.

أعود الآن إلى الدور الذي يبحث عن بطل. فالدور قائم واستفضت في شرح سماته. ها هو المسرح. وبحكم الظروف الجغرافية فإننا دون سوانا القادرون على الاضطلاع بهذا الدور.

بشيء من المرارة قال: "تعود من الفصول الدراسية بمشاعر عن عالم جديد ينتظرك إلى بيت يخلو من طعام للأكل".

تعلم عبد الناصر في الجيش أن يمقت الفساد الكبير الذي يمارسه الملك فاروق وكبار الضباط. وتعرض للجراح في حرب فلسطين وشعر بالمهانة من الهزيمة والأداء المزري للجيش والأسلحة الفاسدة، فعاد إلى القاهرة ليمضي في التآمر مع رفقائه. ويقول عن حركة الضباط الأحرار: "أنا الأصل" وفي ليلة الثاني والعشرين من يوليو، انطلق الضباط الأحرار. وحين تحقق النصر لعبد الناصر، حكم من خلال محمد نجيب لمدة سنتين، وبعد ذلك من خلال الطغمة العسكرية التي كان يترأسها.

حين اعتلى عبد الناصر السلطة، لم تكن لديه معرفة بكيفية إدارة البلاد على حد قوله. حين تفاوض مع الإنجليز في عام 1953، على إفراغ قاعدة السويس أوقف المحادثات فجأة واتهم الإنجليز بتعقيد الأمور وقال: "البريطانيون أشطر من اللازم" و"سوف أتوقف لبعض الوقت". واستؤنفت المحادثات بعد أسابيع. اليوم لا يزال عبد الناصر يلعب دور الهاوي ويتسم بالصراحة والبداهة في اللقاءات الخاصة، ويطرح طروحاته الذكية بابتسامة صبيانية وهذا أسلوب مؤثر للغاية، وواقع الأمر أن جمال عبد الناصر تغير رأيه في نفسه.

تساورني شكوك جمة

هذا التشكك أمر حتمي مقرون بالنجاح. منذ الوهلة الأولى للثورة، وعبد الناصر يسعى للرئاسة، وكان يتململ من التأخر في اتخاذ القرارات داخل المجموعة العسكرية الأولى. لم يتبق من هذه المجموعة المكونة 14 عضو سوى 4 في مناصب عليا حين أضحى عبد الناصر الرئيس الدستوري للبلاد. حين سأله صديق عن سبب تقاعسه عن تخويل السلطة للآخرين قال: "أرني 10 أشخاص أستطيع الوثوق بهم؟". وقال في الفترة الأخيرة دبلوماسي أعتاد العمل معه "أحيانًا ما أشعر أني لا أعرفه رغم كثرة حديثي معه. وكان رد عبد الناصر على هذا صريحًا "لست الوحيد فأنا مفرط في الشك".

أقرب الناس إليه هو عبد الحكيم عامر، الذي أفصح له في 1942، عمّا يعتمل في قلبه من تطلعات. وهو رئيس أركان الجيش ويبلغ من العمر 36 عامًا، ولا يزال يلعب الشطرنج مع عبد الناصر، ويطلعه على تحركاته الكبرى. ثم هناك على صبري، الذي أرسله إلى مؤتمر لندن الخاص بقناة السويس، ويراه كثيرًا ويلعبان معًا التنس حيث عادةً ما يتفوق على صبري لأن جمال في الفترة الأخيرة زاد وزنه. وهناك مستشارون آخرون على قدر من الذكاء والإخلاص والطاعة.

أدير الأمور بنفسي

وقر في ذهن عبد الناصر بعد لقائه في الربيع الماضي بنهرو وشوين لاي اللذين استغلاه كثيرًا؛ أنه أضحى شخصية عالمية، وأذكى صحافيو القاهرة هذه النعرة لديه، وجعلوا منه بطل القاهرة وانطلى ذلك على قراء الصحف.

التمتع بالسلطة المطلقة

لسنتين كان له أثر على شخصيته. حيث قال لصحفي أمريكي حديثًا: "أنا أعرف كل ما يدور في هذا البلد" و"أدير كل شيء بنفسي". وتصديقًا لهذا الكلام، فإن جدول أعماله مترع بالبنود، حيث يظل يعمل غالبًا حتى الرابعة صباحًا يملي الخطابات والمذكرات المتصلة بالحكومة، ويداوم على قراءة

الصحف ويطلع على الصحف العربية كل يوم حتى نقد الأفلام السينمائية. مما يؤسى له أن عبد الناصر لم يكن ابنًا من أبناء الغرب الحر ولا يعرف كيف تصاغ السياسات الغربية ويميل إلى قراءة الدوافع الخفية وإتجاهات الحكومات التي ترد في تعليقات الصحف الأجنبية والتي لا وجود لها.أمسي عبد الناصر مفرط الحساسية من النقد الشخصي ويمارس رقابة لصيقة على الصحف لديه.

قال أحد الإنجليز: إن عبد الناصر يتسم بسمات رجل من الدرجة الثانية، يؤمن بتبسيط الأمور وردها إلى مسببات بسيطة منفرده. يحتفظ عبد الناصر في خزانته في المكتب بملف أنيق عن كل المشاكل الرئيسية به ملخص موجز عن كل منها. وحين يواجه هذا الديكتاتور مشكلة يكتب مختلف الاعتبارات على ورقة بها 3 أعمدة: عمود به ما يود أن يفعله والعمود الثاني به المعوقات، أما العمود الثالث فبه مسار العمل المحتمل. يقول أحد أصدقائه: إنه قد لا يدرك كل المعوقات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متاعب التحالف

حين زار جون فستر دلاس، القاهرة في 1953، واستمع إلى قائد مصر الشاب النشط، وهو يؤكد أن مشاكل مصر ليس مردها فلسطين وإنما هنا في الداخل حيث يعاني السكان من سوء الحكم والاستغلال، وتزايد عددهم من 10 ملايين إلى 22.5 مليون في خمسين عامًا ويحتاجون أرضًا وطعامًا ثلاث مرات في اليوم، والحد الأدني من الكرامة الإنسانية،

استهلت الولايات المتحدة وجمال عبد الناصر التعامل بينهما على نحو طيب. أسهمت الولايات المتحدة بـ 25.9 مليون دولار مساعدات اقتصادية في برنامج التنمية الذي وضعه عبد الناصر رغبةً منها في الاستناد إلى حيوية مصر في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، كما أعانته على إخراج بريطانيا من قاعدة القناة، وعينت هنري بايرود سفيرًا لها في القاهرة، وهو خريج الكلية الحربية الأمريكية كي يعمل عن كثب وبانفتاح مع ناصر حيث إنهما أبناء مهنة واحدة. وقال جمال عبد الناصر: إن مصر اليوم تقف تمام الوقوف إلى جانب الغرب.

إلا أن عبد الناصر رفض التوقيع على اتفاقية للمساعدات العسكرية، وقال إنها لا تفرق على الإطلاق عن الاستعمار. وكان لا يروق له أيضًا حلف بغداد المناهض للشيوعية. وكانت نقطة التحول؛ الغارة التي شنتها إسرائيل على غزة، وراح ضحيتها 38 من جنوده. وقال: "حتى ذلك الحين كنت أشعر بإمكانية السلام الحقيقي". "وكان ردي الحصول على مزيد من الأسلحة".

كانت الولايات المتحدة مترددة، وتحرص على ألَّا تبدأ سباق تسلح في الشرق الأوسط، في حين أن روسيا رأت في ذلك الفرصة التي كانت تبحث عنها. عبد الناصر الذي وجد ميثاق التعايش الإيجابي، الذي وضعه شوين لاي مقنعًا للغاية كان في أعين الشيوعيين مثلًا طيبًا للحياد الإيجابي، وهو جندي ومتآمر يعتمل قلبه بمشاعر الانتقام من الاستعمار. وتمكن الشيوعيون بعرض السلاح على عبد الناصر من ضرب حلف بغداد، والحصول أخيرًا على موطئ قدم في شرق المتوسط.

اللعب على الجانبين

حصل عبد الناصر من هذه الصفقة على 200 طائرة ميج و30 قاذفة قنابل و200 دبابة ومدمرتين و6 غواصات. صدقت واشنطن في البداية عبد الناصر بأن هذه مجرد صفقة تجارية لا غير للدفاع عن الذات، والحاجة للتخلص من القطن الزائد لدى مصر. سعَّرت أمريكا خدها الآخر، ومنعت شحنات الأسلحة

عن إسرائيل، بل وتطوعت بالمساعدة بدفع 1.3 مليار دولار في بناء السد العالي في أسوان، ومنحته 56 مليون دولار كبداية، ووعده البنك الدولي بقرض 200 مليون دولار.

كان عبد الناصر يعلم علم اليقين أن صفقة الأسلحة الروسية قد أشعلت النيران في أرجاء العالم العربي، وأنه تمكن من تأليب الشرق على الغرب وتفوق عليهم جميعًا. وكسب السلاح من الشرق وبنى السد على حساب الغرب وشرع في إستعراض قوته هنا وهناك. ورد الصاع لبريطانيا حين أرادت ضم الأردن إلى حلف بغداد وإستطاعت إذاعة القاهرة وذهب السعودية وتآمر الشيوعيين طرد جلوب باشا من الأردن. ونشرت إذاعات عبد الناصر الكراهية لأمريكا في قلوب 900 ألف لاجئ فلسطيني وأشعلت العداوة للفرنسيين في الشمال الأفريقي الذي تسيطر عليه فرنسا. ويقول الفرنسيون إنهم عثروا على أكثر من 50 مدرسة مصرية في الجزائر، ويعتقدون في وجود 500 مصري أو أكثر يساندون العصابات المسلحة.

كان البريطانيون والفرنسيون في طليعة الغاضبين على جمال عبد الناصر، ولحقت بهم بعد فترة الولايات المتحدة. لم تكن صفقة الأسلحة التشيكية صفقة واحدة بـ 60 مليون دولار وإنما ٤ صفقات مجملها 240 مليونًا، ووعد هو بدفع المبلغ حتى لن يتبقى شيء لتغطية نفقات السد. وقد تجرأ بابتزاز أمريكا بقبول العرض الروسي ببناء السد، وهو عرض لم يكن له وجود. وفي لحظة غضب من الولايات المتحدة، اعترف عبد الناصر بالصين الشيوعية خارقًا وعده لبايرود بإخباره قبل الإقدام على هذه الخطوة. واعترف أنه اقترف الكذب في الصفقة التشيكية، وأنها كانت صفقة مع الروس طوال الوقت.

يري نهرو أن انسحاب الولايات المتحدة من صفقة السد ليست السبب في غضب جمال عبد الناصر، لكن ما اغضبه هو الأسلوب ذاته. أيًّا كان الأمر، كان رده ممزوجًا بالغضب، حيث صاح "أيها الأمريكان موتوا بغيظكم". وأصدر الأوامر إلى الشرطة بمصادرة شركة قناة السويس التي يبلغ دخلها السنوي 100 مليون دولار. وقال: "لماذا لا نستحوذ عليها بأنفسنا وسنبني السد العالي كما نرغب وسنؤمم الشركة وسيقوم بإدارتها المصريون.. المصريون.. المصريون".

وعكة عالمية

مرة أخرى، الرجل الذي يحاول حساب كل كبيرة وصغيرة لم يلق بالًا للعقبات التي تعترضه، واعتاد على تدوينها على الورق في العمود الثاني من أعمدته الثلاثة، ويقول أحد أصدقاؤه: "لم يفهم أن البريطانيين يقصدون ما يقولون

حين قالوا إن القناة بمثابة شريان حياة الإمبراطورية. وهو ظن أنها كصفقة السلاح التشيكية، جعجعة لأسبوعين ثم سرعان ما يلفها النسيان".

بمقدورها

وكانت الأزمة أيضًا دليلًا على أن عاطفية جمال عبد الناصر المندفعة تخفي في ثناياها عقلية هادئة تحسب لكل شيء حسابه فقد تم الترتيب لتأميم القناة قبل سنتين ونصف السنة. وقضية عبد الناصر من الناحية الفنية معدة إعدادًا طيبًا بناءً على أن القناة مصرية وأن إنشاءها تم وفقًا للقانون المصري. وإن كان الاتفاق الأصلي ينفي فكرة امتلاك مصر للممر المائي الدولي وأنها ليس بمقدورها إدارتها حسبما تريد ولا يمكن أعمال ذلك على أرض الواقع. صاحب فكرة إنشاء القناة الفرنسي العظيم ديليسبس كان مواطنًا عاديًا يؤمن "بالفكر الكوني" (وهو المقابل للعولمة في عصرنا هذا) وأطلق عليها "الشركة الكونية" على أمل أن تربط الكون أجمع وتوحده سياسيًا وصناعيًا ودينيًا.

قناة السويس اليوم أكثر عالمية من ذي قبل إذ عبر منها 14.660 سفينة، نصفها ناقلات بترول. يمر تقريبًا نصف واردات البترول إلى أوربا الغربية من القناة. وتعهد معظم العاملين الأجانب من فرنسا وبريطانيا واليونان وهولندا وإسكنديناڤيا ويوجوسلافيا وغيرهم في شركة القناة، بترك العمل تحت قيادة المصريين إذا طلب منهم مديروهم الأجانب ذلك. وهؤلاء العاملون الأجانب منهم مناصب رئيسية وفنيون ومهندسون على حد قول أحد الخبراء. ومن دونهم لن يتمكن المصريون من إدارة القناة لأكثر من أسبوع. اعترف المصريون في الأسبوع الماضي أن المرور انخفض إلى النصف في الاتجاهين لأن الكثير من المرشدين البالغ عددهم 200 لم يعودوا من إجازاتهم.

حلاوة الاستقلال

أصبح ناصر ورؤساء الإدارة في القناة يتمتعون بميزة الحيازة لها. وكما توقع عبد الناصر، تلاشت على الفور تهديدات الإنجليز والفرنسيين باستعادة القناة بالقوة.

قال أحد المصلحين الجادين: "ما أسهل أن تكسب عواطف الشعب وما أصعب أن تستميل عقولهم" وبهذا سرى النداء العاطفي إلى الصبية لتشكيل وحدات لحماية المنازل. وأسر عبد الناصر إلى البعض: "لم أذق أبدا حلاوة الاستقلال كهذا". حين أتت الدعوة من الدول الثلاث الكبري لحضور مؤتمر لندن، ناقشها عبد الناصر مع مستشاريه، وخلصوا إلى عدم الذهاب، وحين انتهى الاجتماع في الثانية صباحًا، سُرب الخبر إلى الصحافة التي تسيطر عليها الدولة.

ذهب عبد الناصر إلى سريره ولم يذق طعم النوم فخرج منه وواصل قراءة بيان الدول الثلاث الكبرى. وفي الصباح كانت العناوين الرئيسية للصحف أن مصر ترفض ولكن ناصر أعلن إرجاء القرار واتخذه بعد أسبوع، مما مكنه من تجنيد بعض الحلفاء.

اختيار الكلمات

التمس عبد الناصر النصيحة 6 مراتٍ من السفير الروسي قبل أن يفتح فهه في نهاية المطاف. وعقد مؤتمرًا صحفيًا جيد الإعداد في قاعة مجلس النواب التي لم تستخدم منذ 1952. وكانت فكرته الأساسية في البيان؛ أن المؤتمر لا يعدو كونه عملًا استعماريًا جماعيًا. وقال: قد يفهم الأمريكيون أفضل لو وصفت الأمر على هذا النحو. فهم لا تروق لهم كلمات ككلمة جماعي.

تحدث عبد الناصر حديثا طوليًا مع الهندي كرنشنا منن، بعد هذا المؤتمر الصحفي. ثم استقل السيارة للحاق بأسرته في إستراحة حكومية شمال القاهرة، حيث قضى اليوم مع أسرته وشاهدوا ثلاثة أفلام لتوم وجيري على جهاز شغَّله هو بنفسه. وحين تواتيه الفرصة هذه الأيام يصطحب أولاده للسباحة في العجمي. ويسلي نفسه أحيانًا وينفس عن عواطفه المكبوتة برص زجاجات الكوكاكولا في مدى الرمي والضرب عليهم، من مسدسه.لم يفقد جمال عبد الناصر احتقاره للرفاهية، رغم أنه رئيس مصر وبطل العالم العربي. فهو هذه الأيام ينام في حجرة صغيرة في مجلس قيادة الثورة، لأن منزله به إصلاحات وإضافة حجرة إليه.

ماذا يقول أبو الهول؟

أدار الديكتاتور ظهره للهواتف وآلة الطباعة وخرج من القاهرة وإتجه إلى الأهرامات، حيث استحث نابليون جنوده، وقال لهم: "إن 4 آلاف سنة تطل عليكم الآن. ترجل جمال عبد الناصر الطريق في ضوء القمر. ومرت نهاية الأسبوع ولم يحدث شيء، وظل هو ينتظر ولم يحدث له ضيق كهذا، وعزاؤه الوحيد هو؛ أن الأطراف الأخرى ليست أحسن حالًا منه، وقد يجدون مصلحة في حلٍ مناسب لهم وله كأنه هو الذي تطوع به ولم يفرض عليه. وحتى لو تسنى هذا فلا بد من منحه ما يبدو في العالم العربي على أنه انتصار، لأنه سيظل ممسكًا بملكية القناة). فهو قد فقد شيئًا ثمينًا ولا يعوض.

لم يعد الإنجليز والفرنسيون مصرين على تركيعه في العلن، وسوف يرضخون للواقع دون الاعتراف. فناصر سواء علم هذا أو لم يعلم، فبإقدامه على التلاعب وهتك نسيج الاتفاقات الدولية، قد فقد ثقة الغرب التي لا تعوض، الذي بإمكانه المساعدة في بناء مصر القوية والحديثة. قد يتصور البعض أنه سيفلت بصنيعه هذا في هذه الآونة، لأنه لو رضخ فإن الدول الغربية ستتركه

الآن، فهم لا يودون أن يجعلوا منه شهيدًا أو ربما يستبد به اليأس، أو تأخذه الحمية فيرتمي في أحضان الشيوعيين، الذين بفضل سياساته أصبحوا للمرة الأولى قوة يعتد بها في الشرق الأوسط. والغرب يحرص على إنقاذه من هذا المصير أيضًا. لكن يبدو أن إنجلترا وفرنسا أضمرتا أمرًا حين وصفاه بالكذب والفاشية. وقد يستحيل عليهما إخراجه من اللعبة أو قد يكون هذا غير لائق، والقدر المتيقن هو أنهما لن يحركا ساكنًا إن تعثر ولن يحزنا عليه إن وقع.

إن هذه مأساة رجل منح مصر أكفأ وأشرف حكومة بالقطع لسنوات، وأخلص كل الإخلاص في تحسين مقدرات هذا البلد الفقير، وهذا الشعب البائس. فهو يمتلك قدرات عظيمة حتى إن كان يعيبه الطموح الزائد. والمأساة هي؛ أنه لا يدرك أن الغرب لا يخشى من قوة العرب بقدر ما يخشى من ضعفه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



حرب محدودة في ظل التهديد بالعصي الغليظة

(مجلة لايف: ١٩ نوفمبر ١٩٥٦)

19 نوفمبر 1956

الغزو البريطاني الفرنسي لمصر بحرًا وجوًا أتى متأخرًا، لكنه حاسمٌ وأنهى حربًا دامت 11 يومًا، ولم تكن هناك فرصة لصد الهجوم. تلاشت القوات المصرية من منطقة القناة على إثر ضربات القوتين العربيتين من الشمال وإسرائيل من الشرق. قبل ضربات قوات المظلات، تمكن القصف الجوي والبري من تدمير المعدات السوفيتية، وكسرت إرادة الجنود المصريين للرد. اشتبكت قوات المظلات لفترة قصيرة مع القناصة ولكن سرعان ما انهارت مقاومة المصريين وسقطت مدينة بورسعيد وتوقفت الحرب.

التحرك للهجوم. قوات المظلات الفرنسية في سماء بورسعيد وهي تستعد للهجوم في حين تتصاعد سحب الدخان من السفن التي لحقها الدمار في المعركة

توقف الحرب لم يكن مرده فقط إلى دعوة الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار وإنما أيضًا إلى دخول روسيا على الخط والتهديد بالويل والثبور، وهددت صراحةً بريطانيا وفرنسا وإسرائيل التي كانت تخشى أن تفقد موطئ القدم الجديد في الشرق الأوسط، وأن القوات الروسية ستسحق المعتدين.

السفن المتجهة من بورفؤاد إلى بورسعيد عبر القناة وهي تحمل القوات الفرنسية لتنفيذ الهجوم البرمائي في حين نشهد ناقلات البترول تحترق عند بورسعيد جراء ما حدث في الأيام الاخيرة.

سرعان ما اقتصرت أطماع الإنجليز والفرنسيين على بورسعيد، وإن كانت الخطة أصلًا السيطرة على منطقة القناة وأوقفت القوات الإسرائيلية هجومها الناجح عند شرق القناة. وافقت الدول الثلاث على إعادة الأراضي التي احتلتها إلى قوات شرطة الأمم المتحدة التي جري تشكيلها على عجل. لكن هذه الدول الثلاث أبدت تحفظات قد تتسبب في مزيد من المتاعب. وكانت لدى الرئيس المصري تحفظات أيضًا، وهو قد طلب العون من الأمم المتحدة. شرعت الطائرات الأمريكية في عطلة نهاية الأسبوع في نقل وحدات حفظ السلام التي لم تتبين معالم ولايتها. لكن واصل الاتحاد السوفيتي سياسة التهديد، وتحدثوا عن فتح باب التطوع لجنود يتم إنزالهم في الأراضي المصرية. حذر الرئيس أيزنهاور صراحةً حتى قبل فوزه الكاسح في الانتخابات الروس، وطالبهم برفع أيديهم عن هذا الأمر، ودلل على صدق عزيمته بوضع

القوات الأمريكية على أهبة الاستعداد للحرب. رأى الكثير أن الروس كانوا فقط يطلقون التهديدات، وأنهم قد يكونون أخطأوا في الحسابات. وبدأت تلوح في الآفاق نذر حرب عالمية ثالثة عقب الحرب الكورية، وذلك من رحم حرب محلية محدودة.

معركة ساخنة تتحول إلى سلم مشوب بالحذر

الغزو الغربي لمصر كان عملية شديدة الوطأة تم فيها إنزال أكثر من ألف جندي على الشاطئ، أجهزوا على ما يقدر بألفي مصري، ودمروا أجزاء بعينها من مدينة بورسعيد، وحاولوا تجنيب المدينة مزيدًا من التدمير. أرسل دون بيرك مراسل مجلة لايف من مدينة بورسعيد، البرقية التالية: تجنبًا لمزيد من التدمير قصر أمير البحار الإنجليزي القصف المدفعي على طراز من المدافع المدمرة، مما حال بين الفرنسيين وبين استخدام السفينة الحربية، چان هار مما أشعل غضب الفرنسيين.

حين رست القوات الإنجليزية على الشاطئ لم تصدق أنه لم يزرع بالألغام، لكن سرعان ما وجدوا أنفسهم في معركة بالأيدي رجلًا لرجل مع المصريين الذين لم يثبتوا كفاءة في القتال، إنما أبدوا شجاعة في معركة من بيت لبيت مع استخدام كثيف للدبابات. وحين أدرك المصريون أن البريطانيين يتجنبون قتل المدنيين احاطوا دباباتهم بسيارات المدنيين.

لا يزال خطر التجوال ساريًا في بورسعيد ومعظم الشوارع مضاءة، وإن كان بعضها أغرقته المياه بسبب تفجر مواسير الشرب ومواسير الصرف. خيم الصمت على المحلات والمقاهي وعلى وجوه الناس الوجوم والفزع، وحاول بعضهم التقرب والتودد. التقيت مع أحد المصريين في مقبرة جماعية في ملعب لكرة القدم الذي قال لي: الأمور سيئة للغاية، وهو يشير إلى المقبرة. أنا إنجليزي. بورسعيدي إنجليزي. سألت العميد ستوكويل قائد القوات البرية البريطانية عن تقويمه للموقف فقال: نعيش فترة سلم مشوبة بالقلق حسبما يتراءى لي. سيطرت القوات الإسرائيلية حتى قبل 15 كم من قناة السويس. وفي إسرائيل ذاتها كانت هناك بهجة هادئة حلت محلها خيبة أمل جراء تسليم الأرض إلى قوات الأمم المتحدة، غير أنه سيتمخض ذلك عن بقاء السيطرة الإسرائيلية على قطاع غزة. وفقًا للإحصاءات الإسرائيلية تم تدمير الجيش المصري البالغ عدده 40 ألف جندي، وأسر 5000 وتدمير 100 دبابة طراز تي 34 روسية الصنع. أما الخسائر الإسرائيلية فقد بلغت 150 قتيلًا و 700 جريح و20 أسيرًا.

قال المتحدث الإسرائيلي: لا ندعي أننا حققنا انتصارًا حاسمًا، ولكن أزلنا الخطر المصري.

بيد أن هناك أخطارًا كثيرة تحيق بإسرائيل. الغزاة العرب اخترقوا الحدود الأردنية بعمق 45 كم، وتقدمت الوحدات السورية المجهزة بالدبابات وبعض القوات العراقية إلى الأردن، وحلقت طائرات الميج 17 السورية فوق المطارات الحربية.

بهذا النصر يقوم الإسرائيليون بتنظيف الأرض وتوخي الحيطة بعد هذا النصر الخاطف والحاسم، في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة يقوم الجيش الإسرائيلي بمسح دوري للمكان. فقد تم القضاء على الجيوب التي بها فدائيون مصريون، وتم القبض على آلاف المدنيين العرب. كما قامت الحكومة العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة بأداء مهمة غير محببة من نتاج النصر وهي رعاية 250 ألف لاجئ عربي في غزة.

المظاهرات البريطانية. 10 آلاف من حزب العمال يتظاهرون ضد الحرب في ميدان ترافالجار، ويستمعون لني بيفان. قال بيفان إن إيدن إما إنسـان غير أمين أو غبي، ونحن لا نريد أيًّا منهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الجمهورية العربية المتحدة: المغامر

(مجلة التايم: ٢٨ يوليو ١٩٥٨)

28 يوليو 1958

في بداية شهر يوليو، حين يشتد الحر في منطقة الشرق الأوسط، خرج عبد الناصر، الذي جعل الحرارة السياسية في المنطقة مرتفعة، في رحلة اصطحب فيها أسرته، لزيارة صديقه القديم تيتو، في جزيرة المارشال في بريوني، الواقعة في البحر الأدرياتيكي. كان الهدف أن يخرج العقيد جمال عبد الناصر، رئيس مصر، ومؤسس الجمهورية العربية المتحدة، من الجو المحيط به، ومن التوتر الذي حدث في لبنان. وكذلك بهدف مواصلة الحصول على النصائح من تيتو، عن كيفية إدارة ثورة تساعدها موسكو دون أن يسمح للروس بالسيطرة عليه. وبعد الاستراحة على الشاطئ، والاستماع إلى نصائح الأستاذ تيتو، البالغ من العمر ستة وستون عامًا، ركب الرئيس عبد الناصر اليخت الذي كان يمتلكه الملك فاروق، واتجه إلى مصر.

تلى ذلك سلسلة من الأحداث المشتعلة في المنطقة. حيث أطاح الضباط الموالون لجمال عبد الناصر، بالملكية المؤيدة للغرب في العراق. وفي غضون أربعين ساعة، تحركت قوات مشاة البحرية الأمريكية إلى لبنان. تصور العالم طيلة 72 ساعة، أن عبد الناصر لا يزال على متن اليخت. ولم يسمع أحد منه كلمة واحدة. وحينها أذاعت وكالة أنباء الشرق الأوسط، بيانًا مقتضبًا عن التغير المباغت في خطة سير الرحلة:

"أبحر ناصر من ميناء بولا، في يوغوسلافيا في طريق العودة إلى القاهرة. وظل يومين في منطقة البحر الأدرياتيكي، حيث علم بهبوط القوات الأمريكية في لبنان، وزيادة التوتر في المنطقة. لكن عاد ناصر إلى ميناء بولا، حيث التقى الرئيس تيتو لمناقشة الوضع. واتجه الرئيس عبد الناصر وبصحبته وزير الخارجية محمود فوزي إلى بريوني، ثم استقل الاثنان الطائرة إلى موسكو، حيث عقد عبد الناصر اجتماعين مع خرشوف، استمرا ثمان ساعات. وناقشوا الوضع الدولي والخطوات اللازمة للحفاظ على السلم".

شعر اليوغوسلافيون الذين كانوا في حرب باردة مع الكرملين بالخجل، وأنكروا عودة عبد الناصر إلى تيتو والحصول على النصيحة قبل أن يهرع إلى موسكو. وأكدوا أن عبد الناصر قد توقف في ألبانيا، وأقلته الطائرة من هناك إلى موسكو. وأعلن الروس بكل سرور، أن معبود العرب حل ضيفًا عليهم مرة أخرى. وهو في هذه المرة، يطلب العون على المعتدين الأمريكيين. غير

أنه كان هناك بيان مختلف كل الاختلاف صدر عن القاهرة، ويشير إلى أن الهدف الرئيسي من رحلة عبد الناصر الجوية إلى موسكو، كانت بقصد الطلب إلى خرشوف، ألا يتخذ أي إجراءات حربية في الشرق الأوسط. وهذه الرحلة كشفت عصبية عبد الناصر في الحديث، وموقفه الخاص بالحياد الإيجابي، وأنه معتمد كل الاعتماد على روسيا.

عاد عبد الناصر من موسكو، وتوقف في العاصمة الثانية للجمهورية العربية المتحدة دمشق، وخرج إلى الشرفة، ليعلن الانتصار في العراق، وقال: "أيها الإخوة، نحن اليوم أقوى من ذي قبل. وتحررت الوحدة العربية، فعلم الحرية الذي يرفرف على بغداد اليوم، سوف يرفع في عمان وبيروت، كما ارتفع في كل أرجاء الوطن العربي". وحين كانت قوات المشاه الأمريكية، لا تبعد أكثر من خمسين ميلًا عنه أضاف: "حتى إن كنا نرى اليوم لبنان تحتله القوات الأمريكية، والأردن تحتله القوات البريطانية، فإنني أقول لهم، إنهم إذا طالبوا بالسلام فنحن له. لكن إن ناصبونا العداء، فإننا سنقاتل حتى آخر قطرة دم في عروقنا. ولن ترهبنا تهديدات الأساطيل ولا القنابل الذرية. وينبغي أن يدرك قادة الغرب، أن القومية العربية قوية في كل مكان". كان هذا الموقف، موقفًا معتدلًا قياسًا إلى ما اعتاده العرب في خطابهم. إلا أن عبد الناصر لم يخرج من دائرة الخطر.

كان هذا الأسبوع، أسبوع انتصارات ممزوجة بالخطر. فجمال عبد الناصر، الذي يعد الإسكندر الأكبر لشرق البحر الأبيض المتوسط، كان غازيًا يخطو خطاه بما لا يتعدى شرفة البيت الذي هو فيه. وكان جنديًّا صنعت انتصاراته من هزائم عسكرية، وكان منتصرًا لم يكسب حربًا ولا حتى معركة. ووصل جمال عبد الناصر إلى القمة، بتعبئة عواطف الجماهير العربية، والإعراب عن تطلعاتهم المكبوتة، وإثارة نعرات العنف عن طريق الصحافة والإذاعة، والتآمر لقلب نظم الحكم في كل مكان. استطاع هذا الشخص القوى الجذاب، الذي يرتدي الملابس الرياضية الغربية، وإن كان يرتدي ملابس الإحرام ويؤم مكة، أن يدخل من بوابة التاريخ، في نفس الوقت الذي تزايدت فيه الحداثة الغربية لتحل محل القيم الإسلامية في الشرق. فمع دخول الإذاعة والصحافة، التي هي بمثابة هدايا من الغرب، اختلطت بعادة الشرق في التآمر والاغتيال، وأضحى كل العالم العربي يهابه ويحبه بشدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الغرور والعناد والشك

التناقضات في شخصية جمال عبد الناصر البدائية، وإن كانت مركبة، جعلت منه شخصية عصية على الفهم بالنسبة للغرب، وصعبة المراس. رأى فيه الغرب في البداية، الكثير الذي يدعو إلى الإعجاب. فهو عسكري يتمتع بالشباب والأناقة والإخلاص، استطاع أن يخرج الملك فاروق الغارق في الملذات، وأعلن عزمه على محاربة فساد الباشوات وطمعهم. وبدا عبد الناصر كرمز للجيل المقبل من أشراف العرب. وكان لا يرغب في شيء لنفسه على خلاف الحكام الفاسدين ومن حولهم. حيث قال ذات مرة بصدق، إنه أتى إلى الحكم لتحقيق الحرية السياسية، وتحسين الوضع الاقتصادي لملايين المصريين البؤساء، وأنه سيكون بمثابة الديكتاتور الرحيم، حتى تتحقق الديمقراطية. واتضح لمئات الزوار الأجانب الذين التقوا به أنه شخص معقول ومهذب ومبتسم وجاد، كثير الاستماع، سريع التعلم. وكان يجلس بأدب، ويشع منه السحر، ويتحدث بصوت خفيض في مكتبه الصغير بالقاهرة، وتحيط به ثمانية هواتف على مكتبه. وكان عبد الناصر، قائدًا عربيًا يتحدث بهدوء حتى عن إسرائيل، في الوقت الذي كان الصراخ يملأ الإذاعة.

انقلابات ناصر

غير أن هناك شعورًا بقوة دفع خفية تآمرية في هذا الرجل القوي، بما يثير الشكوك. وقد وصفه تقرير صادر عن إحدى جهات المخابرات الغربية بما يلي: "عيوبه الغرور والعناد والشك والتكالب على السلطة. أما نقاط القوة، فهي الثقة التامة بالنفس، والذكاء الخارق، والشجاعة، والقدرة على التحكم والاستعداد للإقدام على المخاطر الكبرى والمهارة التكتيكية، والتمسك الشديد بتحقيق الأهداف. وكان يسعد بالمؤامرات كسعادة الصبيان. وكان يتسم بسمة حقيقية تثير الشفقة، حيث كان يجمع بين الصبر والذكاء، إلا أنه قد يفقد رشده".

حين تزايدت سلطة عبد الناصر، زاد شره، واعتلاه الكبر والصلف، وشغل نفسه بالشئون السياسية الكبرى لما تكاثرت عليه المشاكل الداخلية المستعصية، وقال: "ليس لديَّ في واقع الأمر خطط، وإنما أبدي ردود أفعال ليس إلا".

بعد 6 سنوات من اعتلائه للسلطة، لا يزال يبدو أن الهدف المسيطر عليه، هو تجميع القوة، لا لشيء إلا لزيادة قبضته على السلطة، بدلًا من أن يوجه ذلك للتحول الاقتصادي والاجتماعي في بلده. فهو ليس رجل الشعب، لكنه يفضل أن تكون الجماهير محيطة بشرفته، كي يكون شخصية بعيدة وبراقة. رجل

يظهر في الصور، ويتحدث في الإذاعات، ويتكلم عن بعد. تكالب السوريون على التصويت لانتخابه رئيسًا في الربيع الماضي، حتى دون أن يزور سوريا.

أقدام القط

"من كثرة التآمر، أصبحت لا أثق في كل من حولي" هذا ما قاله ذات مرة. فهو لديه قدرة القط على الهبوط على أقدامه. فمنذ 21 شهرًا فقط، أنقذه التدخل الأمريكي من الإطاحة به على يد القوات الفرنسية البريطانية الإسرائيلية الغازية. تم تدمير جيشه الذي يعتز به، والأسلحة التي أمدته بها روسيا. ولم يتحرك الروس، إلا بعد التأكد من رد الفعل الأمريكي. وأنقذت الولايات المتحدة رقبته، لكنه نسب الفضل لموسكو. وسرعان ما بدأ يتفاخر بالانتصار المصري في بورسعيد، الذي لاقت فيه قواته هزيمة ساحقة على يد البريطانيين. كانت الانتصارات التي اعتاد ناصر على تعظيمها، بمثابة الانتكاسات لشعبه في معظم الأحيان. ورغم أنه أخرج الإنجليز من مصر، فإن بلده ازداد فقرًا. وحُرم من المساعدة الغربية التي هو في أشد الحاجة إليها، وتضرر بسبب المقاطعة، وسيطر عليه اليأس من تزايد عدد السكان، وتفشي اليأس لسنوات وسنوات. ورغم أنه ضم سوريا إلى الجمهورية العربية المتحدة، وقدم وعودًا براقة بالرفاهية، فإن أول مردود على سوريا كان انخفاض قيمة العملة لديها، وتزايد التعريفات الجمركية، وتدمير ما تبقى لديها من حريات سياسية.

الأمـــة

يكمن سر اعتلاء عبد الناصر للسلطة، في استيلائه على الموجة السياسية العارمة في العالم العربي، ألا وهي فكرة الأمة العربية الموحدة. وقد بزغت هذه الفكرة في العصر الحديث للمرة الأولى، في عام 1870 تقريبًا في بيروت، على يد الطلاب اللبنانيين المسيحيين في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث كان التعليم الأمريكي، الذي يتلقاه المسيحيون العرب، هو الذي تسبب في بزوغ فكرة الوحدة العربية التي بدأت تغلي تحت السطح.

وكان فحوى فكرة الوحدة العربية العاطفية والغامضة، قد تأثر بالقومية الأوروبية التي بزغت في القرن التاسع عشر، ويقضي بأن اللغة العربية وحياة العرب، وماضيهم المشترك، لإمبراطورية عظمى في القرون الوسطى، ينبغي أن يوحد سبعين مليون عربي من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي.

وفجر حماس المفكرين شرارة الصحوة السياسية التي يضطلع الإسلام فيها بدور كبير. وأينما حلت فكرة الوحدة العربية، اصطدمت بالهيمنة الإمبريالية

الغربية. إن العدو الحق، هو ذلك الأجنبي الذي رسم حدودًا اعتباطية، قسمت جسد الأراضي العربية، الذي استغل ثروات الأرض العربية وما يكمن تحتها.

وكتب جمال عبد الناصر: "سجلات التاريخ، مليئة بالأبطال الذين اضطلعوا بأدوار بطولية وعظيمة في مناسبات كبرى. ويبدو لي أن العالم العربي له دور يبحث عن بطل". وتطوع جمال عبد الناصر لكي يكون هو هذا البطل.

في مستهل حياته، أكسبه الخجل حب الجماهير. واستحوذ على السلطة لكي يحدد تطلعات العامة، وجذب مزيدًا من الناس لهذه التطلعات، واستحداث شعاراتها وإظهار قوتها، لبث الرعب في نفوس الأعداء. بيد أنه لو هدأ تلك المشاعر الملتهبة، وحول المجتمع إلى مجتمع منظم ومسئول، لانتفى عنه هذا الدور، ولاضطلع به بطل آخر. وكما ورد في قصة ألف ليلة وليلة، فإن عبد الناصر رجل مولود من صلب حصان، وأصبح فارسًا لهذا الحصان، وكان يمكن اقتلاع هذا الفارس.

اضطلع عبد الناصر بهذه اللعبة السياسية في جو مليء بالأخطار، وتحدى الغرب دون شعور بالمسئولية، حتى وقع شيئًا فشيئًا في حبائل الروس، وكان كل مرة يقول للدبلوماسيين الغربيين: "أنتم من أجبرني على هذا". ما من شك أنه يستطيع أن يبرر ارتماءه في أحضان موسكو بنفس المبررات. ولم يتمكن الغرب أبدًا من تصور كيف يتعامل مع عبد الناصر. فقد جرب معه الإقناع والمديح والهداية والتهديدات والمقاطعات والقنابل. وعادةً ما كان الغرب يتساءل عن تطلعاته، التي لا يمكن السماح بها. وأنت تكلفه ما لا يستطيع وما ليس في طبعه، حين تطلب منه ضبط النفس، فهذا يتنافى مع المكونات الأساسية للقوة وتوالي النجاح. ودائمًا وقع الغرب في الخطأ حين وثق في كلمته.

المقامر المتعجل

نسي عبد الناصر بعض الخدع التي كان عليه أن يقوم بها في إطار ما حاكه من مؤامرات، وما نادى به من شعارات، حيث ضم إلى جوقته اللاجئين السياسيين الفاسدين في آسيا وأفريقيا. وقد حول عبد الناصر حتى الآن الإسلام إلى أداة سياسية لخدمة مصالحه الشخصية، واستغل الأزهر، وهي جامعة عمرها ألف عام، في تفسير القرآن الكريم لتبرير سياساته. ازدادت قبضة عبد الناصر على حركة الوحدة العربية من خلال ثلاثة آلاف مدرس مصري، تم ابتعاثهم إلى العالم العربي، وساعدوا في القيام بمظاهرات مؤيدة لعبد الناصر في الأردن، وتأليب شعوب الكويت والسعودية الغنية بالبترول على حكامهم.

كان أهم سلاح في ترسانة عبد الناصر في الشرق الأوسط الذي تسوده الأمية، هو حملات الدعاية في الإذاعة. فحتى لو لم يكن عبد الناصر شبيهًا بهتلر، لكان من حوله يتصرفون كما كان يتصرف جوبل. وكانت الصحف التي يسيطر عليها تؤيد عمليات الاغتيال، كما فعلت ذلك صحيفة الأهرام في الأسبوع الماضي، حيث نشرت: "لن يكون مصير كميل شمعون أفضل من نصيب نوري السعيد، أو أي خائن آخر يخون بلده". وأذاع راديو دمشق التابع له بلا خجل هذه الفرية التي تقول بأن المتمردين اللبنانيين قتلوا في العام الماضي عشرة جنود من مشاة البحرية الأمريكية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



دبلوماسية البوارج الحربية

بالإمكان إقناع الجماهير العربية المحرومة والغاضبة أن تدين باسم الوحدة العربية حكامها الشرعيين، وتنعتهم بالخيانة لا لشيء إلا لأنهم أبرموا اتفاقات مع جهات أجنبية. اقترنت هذه الموجة العارمة بأيادي عبد الناصر المخربة في أماكن عدة، حيث يقول أحد الإحصائيين الإسرائيليين المتابعين: إن كل البلدان العربية قامت بطرد ملحق عسكري مصري أو أكثر منذ أن تقلد السلطة، وطفق يتغلغل في هذه البلاد. ضبط الليبيون الملحق العسكري المصري وهو يوزع البنادق في العام الماضي، فاتخذوا قرارًا بطرد جميع الملحقين العسكريين التابعين لبلدان شمال أفريقيا، تجنبًا للصدام العلني مع المصريين. وضبط القنصل العام المصري في القدس، وهو متورط في مؤامرة للإطاحة بالملك حسين. ولم يكتب التوفيق للعملاء المصريين الذين سعوا سعيًا جادًا للإطاحة بعبد الله خليل، رئيس الوزراء الموالي للغرب في السودان حديث العهد بالاستقلال. وتم القبض منذ سنتين على فرد مراسلة مصري أُدين بمحاولة اغتيال القادة العراقيين، وفي العام الماضي قام العقيد المصري على خشبة بوضع وتمويل خطة لاغتيال الملك سعود. نشرت الحكومة الأمريكية في الأسبوع الماضي وابل من تقارير المخابرات عن أعمال عبد الناصر في لبنان، حيث يتلقي المتمردون المسلمون تعليمات عن طريق الهاتف من دمشق على النحو التالي:

- قام العملاء السوريون في 8 مايو بتدبير وتمويل المظاهرات العنيفة في طرابلس، التي أدت إلى الحرب الأهلية.

- رئيس أركان الجيش السوري السابق هو الذي كان يوجه العمليات العسكرية التي قام بها كمال جنبلاط قائد المتمردين.

- تم ضبط 50 قولًا عسكريًا محملًا بالأسلحة من سوريا، وثلاث مراكب محملة بالأسلحة من غزة في الأيام الأولى للتمرد.

- قامت قوات الكوماندوز المصرية بمهاجمة بعلبك في نهاية مايو.الوحدة العربية موجة غلّابة.

والدعاية الإذاعية المصرية شعلة لا تنطفئ، حتى إن عبد الناصر لم يضطر لدفع أموال طائلة لإحداث هذه القلاقل، فقد ترك الأمر لأهل البلاد التابعين له للقيام بهذه الأعمال القذرة، كما حدث في العراق حسب التوقعات، حيث أمدهم بالسلاح والمال والنصيحة الفنية حين الضرورة. إلا أن جمال عبد الناصر محرِّض بالفطرة، نظم الخطة وأدارها من القاهرة ضد الملك حسين،

الذي كشفها في اللحظة الأخيرة، وقبض على 60 من رجال الجيش. وواشنطن متأكدة من ضلوع عبد الناصر في المؤامرة العراقية أيضًا. لكن الضباط العراقيين قاموا على ما يبدو بالانقلاب قبل الموعد المحدد، خوفًا من تسريب الخبر من جانب الضباط المسجونين في الأردن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



العدوان من الإذاعة

في عام 1957، حين كان الملك حسين يجري جري الوحوش للحفاظ على عرشه، واصل راديو القاهرة إذاعة شعار "الموت للخونة حكام الأردن"، وقال إنه سيلقي مصير جده الذي تم اغتياله. وأُذيع نفس الكلام عن قادة لبنان والعراق. وفيما يلي بعض الهجمات التي شنتها الإذاعة المصرية:

2 مايو: قوموا أيها الإخوة في الشرطة وفي الجيش العراقي، وقفوا جنبًا إلى جنب مع إخوانكم وشعبكم ضد عدوكم. حرية العراق في أيديكم.

20 مايو: أيها الإخوة في لبنان، أمامكم طريق واحد وهو طريق الثورة لتحقيق آمالكم. ليس أمامكم سوى طريق واحد والوقوف والحرب.

25 مايو: لا بد أن يرحل شمعون. اعتصموا ثم اعتصموا أيها الشعب اللبناني الحبيب. غدا سيسقط شمعون وكل شمعون وسيملي الشعب العربي رغباته.

4 يونيه (راديو دمشق) تظهر الآن السياسة الأمريكية طبيعتها الحقيقية كثعبان يغرس سُمه الأجساد الأبرياء، فقد حلت روح هتلر وموسيليني في جسد وزير الخارجية دالاس الذي أصبح نازيًا وفاشيًا.

7 يونيه: لا تمثل الحكومة اللبنانية سوى العصابات المتآمرة التي ترمي المفرقعات وتقتل الأحرار وتفجر المنازل وتحمي الجواسيس والخونة والعملاء.

3 يوليو: أمسى الأردن سجنًا كبيرًا منذ إعلان الملك حسين اعتراضه على الحركة الوطنية. وأصبحت أعتى وسائل التعذيب والاضطهاد أسلحه في يد الحكومة الخائنة.

15 يوليو: هل ترى كيف سقط العرش الهاشمي، وكيف انهارت جدران السجون، وكيف لقي عملاء الإمبريالية أسوأ مصير؟ امتلأت السجون بالأحرار واستخدموا كل أنواع التعذيب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تعرض الغرب للانقسام والخلط لمدة طويلة في تعامله مع عبد الناصر، فقد أدرك وجود العدالة في استياء العرب من الهيمنة الأجنبية. واستحى من بعض حلفائه العرب. سياسة الغرب تجاه إسرائيل تسببت في كراهية العرب له. كما اعترف الغرب بشعبية جمال عبد الناصر، وتردد في مواجهته. فبسقوط العراق فجأه لم يعد هناك توازن سلمي للتوتر في المنطقة، وتحرك ناصر صوب الهيمنة الكاملة. ولو وجدت مقاومة حقيقة للانقلاب في العراق لتمكنت القوات الأمريكية والبريطانية (وإن لم تكن لديها الميل) من التحرك إلى العراق. وفقد الغرب أقوى حصن له في الشرق الأوسط، وشعر بمزيد من الذل. لأول مرة في التاريخ تخرج الولايات المتحدة من الأرض العربية، مما كانت له تبعات واسعة النطاق. كانت الولايات المتحدة ملتزمة بالحفاظ على استقلال لبنان عن جمال عبد الناصر، وعن هذا التيار الجارف.

كان الموقف الأمريكي موقفًا حرجًا، فوجوده المسلح في لبنان كان سيتسبب فيما بادر في السعي لمنعه. وفي كل العالم العربي الواقع شرق السويس لم يعد هناك حاكم موالٍ للغرب إلا بمساندة وجود القوات الغربية. بصرف النظر عن الحدود الحالية لم يعد هناك من يقف أمام تيار الأمة العربية الجارف الذي أصبح ناصر رمزًا له.

مع التتابع، وئيد الخطي للأحداث، لم يكن هناك سبب حقيقي للتعارض بين الوحدة العربية والغرب. فالعالم العربي يحتاج أساليب الغرب للقضاء على الجهل والفقر والمرض، ويحتاج أسواق الغرب ليبيع ما لديه من نفط، لكن الحظ العاثر أن من ينادي بوحدة العرب في عالمنا المعاصر يرى لازمًا عليه أن يرفع شعارات معادية للغرب وكلما كانت هذه الشعارات قائمة على مزايدات كانت الفرصة أكبر للنجاح. وهكذا كان مصير جمال عبد الناصر العربي الذي يرتدي حلة غربية.

بعد الأحداث التي وقعت في الشرق الأوسط في الأسبوع الماضي، لم تعد المسألة إن كان الغرب قد فقد عبد الناصر، إنما إن كانت حركة الوحدة العربية قد فقدت استقلاليتها، لأن الأمة العربية لن ترضى بالعبودية للروس ولا التبعية للغرب.

كان عبد الناصر، وهو مقامر بطبعه، على استعداد لاستدعاء الروس، وقد لعب اللعبة دون خسارة، وكانت الأمور في صالحه في نهاية المطاف. اقترب عبد الناصر من أحضان الروس، حين سعوا إلى مساعدته بالتصويت في الأمم المتحدة والمظاهرات المناهضة للغرب في مسكو. يا له من رجل يذيع الكذب

والكراهية للغرب، غير أن الولايات المتحدة كانت في نهاية المطاف -رغم مقاومتها له- على استعداد لإنقاذه من تبعات شغفه بالمغامرات، بل من الشيوعية ذاتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



قائد مصر الطموح يبرر رفضه الارتباط بأي جهة

(مجلة لايف: ٢٠ يوليو ١٩٥٩)

20 يوليو 1959

أعد الرئيس جمال عبد الناصر هذه المقالة بناءً على طلب محرري صحيفة الحياة، ليعرض فيها آراءه في قضايا شرق أوسطية محددًا لها علاقة بالقومية العربية التي يحمل لواءها، وتعليقاته على الشيوعية والإمبريالية الغربية وإسرائيل والتنمية الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة، نعرضها هنا كما طرحها على محرر مجلة الحياة كيث ويلر.

انقضت الآن سبع سنوات على ثورة 1952، التي حررت مصر من النظام الفاسد للملك فاروق، ومن التأثيرات الأجنبية التي جثمت على صدرها. ولم يكن الحفاظ على هذه الحرية أمرًا سهلًا، ففي كثير من المرات في هذه السنوات السبع حاولوا وضع العقبات أمام مصر وتحدوا حريتها في الإقليمين -المصري والسوري- في الجمهورية العربية المتحدة.

أطلق العالم الخارجي على أسماء كثيرة في هذه السنوات السبع، التي سعيت فيها للحفاظ على هذه الحرية، فقد تعرضت للهجوم في الصحافة الإسرائيلية والصحافة الغربية، وتعرضت لهجوم مشابه ومرير من جانب الصحف الشيوعية، ابتداءًا من صحيفة العامل اليومي في لندن، إلى صحيفة الراية الحمراء في بكين. وأطلق البعض في الغرب على "هتلر النيل" أو "الإمبريالي العربي". وفي العراق -وهي يتجاذبها الآن الشرق والغرب- فقد اتهمني رئيس ما يسمى بمحكمة الشعب بأني أتآمر مع الصهيونية والإمبرياليين الفرنسيين. وأحيانًا يؤكد من ينتقدونني في الغرب أني مسئول عن فتح أبواب الشرق الأوسط للشيوعية، ولزيادة الطين بلة إمتدحني البعض في الغرب بأني المحارب للشيوعية، وحتى السيد خورشوف يوافق على هذا الكلام، لأنه وصمني في الفترة الأخيرة بأني "الشاب الأرعن".

وأنا أجد غرابةً في هذه العاصفة من النقد المتعارض، ولو صح كلام كل منهم فإني سأكون شخصًا يجمع كل المتناقضات، ويغير رأيه وسياسته بين عشية وضحاها. وقد أطلق البعض على أني متعصب للعروبة وإن كانت هذه تهمة فأنا اعترف بها فأنا عربي قومي ولست متعصبًا. وواقع الأمر أني أقدمت على الثورة المصرية كوطني مصري وكقومي عربي وما زلت حتى اليوم. وهذا بالنسبة لي معناه أني أوثر بلدي وأمتي العربية التي أنا جزء منها وكل ما قلته

وقمت به يتفق مع اقتناعي هذا. ومن ثم قبلت هذه الدعوة لتوضيح الأمر، ووضع النقاط على الحروف في مقالي هذا في مجلة لايف.

فالقومية العربية بالنسبة لي تعني أشياء كثيرة، أهمها أنها قوة دفع معنوية وتضامن عن طيب خاطر مع كل الشعوب العربية في كل مكان، وذلك إنطلاقًا من إرثنا المشترك في اللغة والثقافة والدين والتاريخ. وهذه مشاعر تنبع من القلب، ولا تفرض من الخارج فنحن نستمدها من ماضينا العربي وهي يمكن أن تغدق علينا منافع عملية جمة، نحن عرب اليوم. فالأمة العربية يمكن أن يشتد ساعدها بالتضامن العسكري والتعاون الطوعي في الاقتصاد والثقافة والسياسة الخارجية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



التخلص من النفوذ الخارجي

الاستقلال، هو هدف من الأهداف الأساسية للقومية العربية، ومعناه القضاء على الهيكل الاجتماعي الاستعماري الذي ورثناه من سنوات الهيمنة، أولًا على يد الأتراك العثمانيين ثم الفرنسيين والبريطانيين، والاستقلال يعني الحرية في اتخاذ القرار والحرية في النأي عن نفوذ القوى الأخرى.

يجد البعض صعوبة في فهم الحياد الإيجابي، ويحاول البعض الآخر هدمه بالتآمر والمناورات السياسية. فعلي سبيل المثال قلت منذ أسبوعين في مقابلة مع صحيفة أمريكية إنني أري أن الاتحاد السوفيتي يستحق فرصة ثانية لكي يدلل على رغبته في التعاون معنا. وقبل هذا بلحظات وصفت الشيوعيين في العراق بأنهم عملاء للخارج، وبناءً عليه توترت العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتي. وبعد هذه المقابلة كانت هناك تعليقات في الصحافة الأمريكية بأن ناصر يخون الغرب مرة أخرى، ولا يمكن الوثوق فيه، لأنني أولًا قلت إنني ضد الشيوعية ثم بعدها أردفت أنني على استعداد لإعطاء الإتحاد السوفيتي فرصة أخري.

انتقادي للاتحاد السوفيتي في المقام الأول لم يكن يعني أن يصطف بلدي إلى جانب الولايات المتحدة. فأنا ببساطة هاجمت الشيوعية دون أن أتشاور مع الأمريكيين. وإنني لم أقل: "لن أهاجم الشيوعية، وكم ستدفعون لي لو فعلت ذلك؟". ونفس الشيء يسري على الجانب الآخر لو ظن السوفيت أني أنحاز إليهم فهم مخطئون، وكما قلت في موسكو ترحب الجمهورية العربية المتحدة بالتعايش بين البلدان ذات النُظُم الاجتماعية والسياسية المختلفة، وسياستنا تجاه الجميع هي عدم الانحياز والحياد الإيجابي.

وهذا ما يصعب على الأمريكيين بصفة خاصة تصديقه، ولهذا توترت العلاقة بيننا وبين الولايات المتحدة لفترة طويلة، وحين التقيت للمرة الأولى بالوزير الأمريكي چون ڤوستر دالاس.

عبد الناصر يواجه العالم بوجه 3

يبرر جمال عبد الناصر في هذه المقالة سبب تعدد الأوجه التي يظهرها للعالم، وهي على ما يبدو متناقضة، وعرضة للتشكيك فيها. فالشرق والغرب يرون عدم الاتساق والانتهازية في سياساته، حيث إنه انتقل من إدانة الغرب إلى إدانة الشرق في الفترة من 1955 إلى 1959. ويرد أدناه سرد تاريخي للأحداث التي وقعت وشكلت هذه الأوجه الثلاثة له. ورأي الغرب والشرق أن ما أقدم عليه كان في معظمه ردود أفعال للضغوط الخارجية. أما القادة

العرب فيحملونه ذنب التدخل وممارسة الضغوط. ويتعين قراءة مقالته هذه كبيان رسمي لرئيس الدولة، ومانيفستو لرجل يؤمن بالمصير العربي وبمصيره هو كمتنبئ بهذا المصير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الوجهات الثلاث لناصر

وجه نحو الغرب

- في أكتوبر 1954، بعد سنتين من التفاوض مع المبعوث الأمريكي الودود، أبرم عبد الناصر معاهدة مع بريطانيا التي وافقت على التخلي عن منطقة القناة التي احتفظت بها 74 عامًا. كانت العلاقات المصرية الغربية في أيامها الزاهرة.

- في فبراير 1955، شنت إسرائيل أول هجوم موسع لها منذ 1948 - 1949، على الجيش المصري في غزة. وبسبب رفض الولايات المتحدة إعطاءه السلاح لجأ إلى الشرق وأبرم الصفقة التشيكية للأسلحة من الروس.

- في نوفمبر 1955، أشرفت الولايات المتحدة على إلحاق تركيا والعراق وإيران وباكستان لحلف غربي، اعترض ناصر بمرارة على انضمام العراق لأنها دولة عربية.

- في مايو 1956، تحدي جمال عبد الناصر الضغوط الأمريكية، وأثار حفيظتها بسبب اعترافه بالصين الشيوعية.

- في يوليو 1956، بعد موافقة بريطانيا والولايات المتحدة على المساعدة في تمويل السد العالي، سحب وزير الخارجية الأمريكي دالاس العرض على نحو مفاجئ، وشكك في قدرة مصر على توفير التمويل الكافي لبناء السد.

- بعد 7 أيام قال عبد الناصر لأمريكا: موتوا بغيظكم، وأقدم على تأميم القناة، وصرح أن مصر ستبني السد من دخل القناة.

- وفي أكتوبر 1956، بدأت حرب السويس، واحتلت إسرائيل سيناء ولحقت بها القوات البريطانية والفرنسية المتمركزة في قبرص ومالطا.

- وفي نوفمبر 1956، صوتت الولايات المتحدة على قرار الأمم المتحدة بوقف الهجوم على مصر بأغلبية 57 صوتًا إلى صفر.

- وفي نفس الشهر استأنفت الولايات المتحدة المساعدات لمصر، ووافقت على منحها مساعدات فنية بقيمة 8 ملايين دولار.

وجه نحو العرب

- في 1954، كتب عبد الناصر في كتابه "فلسفة الثورة" عن الدور الذي يبحث عن بطل، واعتبر أن مصر ستطلق شرارة القوى الكامنة في المنطقة

المحيطة بها. وظهر للعالم الخارجي أن جمال عبد الناصر كان يقصد أنه من سيضطلع بهذا الدور.

- وفي يناير 1955، دعا عبد الناصر دول الجامعة العربية للاجتماع في القاهرة، لإحياء حلفهم العسكري وقطع الطريق على حلف بغداد. ونعت نوري السعيد بالتبعية للغرب بعد تخلفه عن الحضور.

- وفي يناير 1956، أعلن جمال عبد الناصر لدى ولادة الدستور المصري الجديد، عن أمة عربية من المحيط إلى الخليج، وأكد على قدر مصر كجزء لا يتجزأ من هذا الكيان العربي.

- 1956 - 57، تم إدانة الملحقين العسكريين لتدخلهم في الشئون الداخلية، وطردهم من 6 دول عربية هي العراق ولبنان وليبيا والسودان والمملكة العربية السعودية وتونس.

- في مارس 1957، شجع عبد الناصر الملك حسين على رفض حزب بغداد، والتخلص من النفوذ البريطاني، ووعد بالاشتراك مع سوريا والسعودية بتقديم الدعم المالي للأردن، إلا أن الوعد لم يتحقق.

- في فبراير 1958، اتحدت مصر وسوريا وكونتا الجمهورية العربية المتحدة.

- في يوليو 1958، شجعت الإذاعة والصحافة المصرية على التمرد في العراق، وأطاح الضباط العراقيون الموالون لعبد الناصر بالملك فيصل ونوري السعيد، لكن فشل الانقلاب وتحول عبد الناصر إلى معادٍ للنظام الجديد.

وجه نحو الشرق

- في 1955، عقد ناصر أول صفقة تجارية مع الشرق أعقبتها صفقات أخرى توجت بالتزام روسيا ببناء السد العالي، وتم ربط الاقتصاد المصري ومن بعده اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة بالشرق.

- في نوفمبر 1956، رفض ناصر الانضمام لقرار الأمم المتحدة بإدانة سحق روسيا الوحشي للمطالبين بالحرية في المجر إعترافًا منه بالامتنان للدعم الروسي لمصر في مواجهة الثلاثي.

- في مارس 1958، صادر عبد الناصر ممتلكات الشيوعيين في مصر وسوريا، في إطار حربه عليهم طوال الوقت.

- في مايو 1958، زار ناصر روسيا للمرة الأولى، ووعد خرشوف بتقديم الدعم في توحيد الأمة العربية بقيادة ناصر.

قام جمال عبد الناصر بأول زيارة لموسكو في مايو 1958، والتقى ببرجينف وتجول في المصانع والمزارع وانبهر بما أحرز من تقدم.

- في ديسمبر 1958، تم القبض على قيادات الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة، وتم إغلاق صحيفة شيوعية في سوريا.

- في مارس 1959، انفصل عبد الناصر للمرة الأولى عن الروس متهمًا السوفيت بالتدخل في ثورة العراق، وبذر بذور الانقسام في القوميين العرب.

- وبعدها بـ 8 أيام نعت خرشوف عبد الناصر بالتهور، وتحميل نفسه بما لا يطيق، وعلى إثرها اتهم ناصر خرشوف بالتدخل المرفوض، وأكد أن تهوره سيكون السبب في تغلب الجمهورية العربية المتحدة على عملاء الشيوعية الجدد.

- في أبريل 1959، اعترفت الصحافة الواقعة تحت سيطرة عبد الناصر بما فعلته الشيوعية بالمجر. وصدر كتاب في 1956 يصور الفظائع التي ارتكبتها الشيوعية في المجر، ولقي هذا الكتاب رواجًا كبيرًا. قلت له إني أرى الخطر الأساسي على الشرق الأوسط ينبع من عدم الاستقرار في الداخل، أي الغزو من الداخل، إلا أن السيد دالاس أصر على أن الخطر الأكبر هي العدوان من الخارج، وأن سياسة الغرب أمست تركز على إقناع البلدان العربية بالاشتراك في الأحلاف، ومنظمات الدفاع عن الشرق الأوسط.

"كنت أخشي الاصطفاف إلى جانب أي من القوى الخارجية، لأني على دراية بالتاريخ العربي، والشعوب العربية التي اعتادت لقرون على التخوف من الحكومات، والشك فيها كعملاء للقوى الأجنبية، وتلقي الأوامر من سفرائها. وكنت أدرك أن الاشتراك في حلف أجنبي هو بمثابة نفي للقوى الوطنية، وترك قيادة الشعب للشيوعيين أو الحركات المتطرفة كجماعة الإخوان المسلمين. وإن مست الحاجة للأحلاف فإنها ينبغي أن تكون فيما بين الدول العربية دون سواها، لأن الشعب ينبغي يشعر بالاستقلالية الحقة وأنه يدافع عن أهله وأطفاله وممتلكاته لا يدافع عن مصالح البريطانيين أو الأمريكيين.

هناك سبب آخر مقنع لاعتراضي على انحياز الدول العربية إلى أي من القوى الكبرى، ألا وهو أن هذا الانحياز سوف يفتح الباب لعودة الهيمنة والإمبريالية والاستعمار إلى الأرض العربية.

ورغم ما سُقْته من حجج اعتراضًا على الإنحياز إلى القوى الكبري، فإن رئيس الوزراء العراقي الراحل نوري السعيد، قبل الانضمام لحلف بغداد في عام 1955. ومن هنا نشبت البغضاء بيننا وبينه وبيننا وبين الأمريكيين. الآن وبعد انقضاء 4 سنوات، تم إقصاء النظام البائد في العراق وانزاح حلف بغداد،

وأثبتت الأيام صدق رؤيتي، واتضح أن الخطر على العراق ليس من الخارج، وإنما يكمن فيما يعانيه من ضعف في الداخل من الشيوعيين وغيرهم".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



روسيا موجودة بالفعل

الاتهام الموجه إليَّ أن إستقدمت الشيوعيين إلى الشرق الأوسط، لأن مصر دخلت في علاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتي، وهذا الاتهام باطل. فصفقة الأسلحة المصرية السوفيتية لم تدخل الروس إلى الشرق الأوسط، إنما هم كانوا موجودين بالفعل. لا أحد يستطيع أن يغمض الأعين عن هذا الواقع، ولا عن أن الاتحاد السوفيتي قوة عالمية كبرى، فالناس يتابعون باهتمام ما يقوم به من نشاط كما يتابعوا ما تقوم به أمريكا.

شراؤنا للسلاح من روسيا كان صفقة تجارية خالية من الشروط والمعوقات، وحين تمت هذه الصفقة كان الحزب الشيوعي في مصر ممنوعًا ولا يزال. وفي الوقت ذاته كان الحزب الشيوعي في بلاد أخرى في الشرق الأوسط قويًا للغاية. ففي إسرائيل يحظي الحزب دومًا بالقوة، ويتم الاعتراف به قانونيًا (وبالقطع لا أتحمل أنا المسئولية عن هذا)

وجدير بالذكر وجود حركة شيوعية قوية في العراق منذ 1930. ورغم أن نوري السعيد زج بالكثير من قادة المعارضة في السجون، فإن الحزب الشيوعي عمل في الخفاء، وهرب قادته إلى الخارج، وحين اندلعت الثورة على نوري السعيد في العام الماضي، تم تنظيم الحزب الشيوعي وأصبح جاهزًا للعمل في الوقت الذي تشتت فيه العناصر الوطنية وذهب ريحها.

من الذي كان له الدور الأكبر في مناصرة الشيوعيين في العراق؟ ليس الروس؟ فهم لم يكن لهم حتى سفارة في بغداد، ولا المصريون، فلم تكن العلاقات مع نوري السعيد على ما يرام، ولم تتح لهم الفرصة لمناصرة الشيوعيين العراقيين. أظن أننا لا نعترف أن المسئولية الكبري عن تنامي الشيوعية في الشرق الأوسط، ولا سيما في العراق، تقع على عاتق البلدان الغربية. فهي التي مهدت الأرض لتنامي الشيوعية بمساندتها للقيادات البغيضة من أمثال نوري السعيد التي سعت لمحاربة الحركات الوطنية.

قوة جديدة في القومية العربية. عبد الكريم قاسم قام بمطاردة الشيوعيين في العراق مما أدى إلى عداوة ناصر له

لا أقصد بطبيعة الحال؛ أن الشيوعيين في الشرق الأوسط لم يحظوا بدعم نظرائهم في البلدان الأخرى. قلت بوضوح في خطاباتي: إن الشيوعيين في مصر حظوا بالدعم من الشيوعيين في إيطاليا، حسب ما لدينا من معلومات وبالطبع هناك علاقات تربطهم بعضهم ببعض عمومًا. وفي أبريل ومايو الماضيين هاجمتني الإذاعات والصحف الشيوعية من المجر حتى الصين، وإذا

تناغمت الأصوات الموسيقية، فلا بد من وجود قائد واحد في مكان ما يقود الأوركسترا. (وأفادني السيد خرشوف أن روسيا ليست مسئولة عن هذا الهجوم، وكما قلت في المؤتمر الصحفي، سوف ننظر ونتبين الأمر).

هاجمني الشيوعيون، وهاجمتهم وبطبيعة الحال تعرض الشيوعيون في مصر للهجوم المتواصل طيلة 7 سنوات من اندلاع الثورة، واضطررنا في ديسمبر الماضي إلى تعرية ألعاب الشيوعيبن السوريين الذين كونوا تحالفًا غريبًا مع الإقطاعيين ضد إجراءات قانون الإصلاح الزراعي، لأن هذه الإجراءات حرمتهم من أملاكهم. أما الشيوعيون فكانوا معارضين لها، لأنها كانت تملك مليون سوري معدمًا، ومن ثم تحول بينهم وبين الاهتمام بالشيوعية.

في بياني في 11 مارس الماضي، هاجمت الشيوعيين العراقيين، لأنهم شنوا هجومًا مكثفًا على القومية العربية والجمهورية العربية المتحدة وعبد الناصر، ونعتهم بالعمالة للقوى الخارجية. شعر السيد خرشوف بالإساءة، لأنه رأى في هذا هجومًا على الاتحاد السوفيتي، كما تعرضت للانتقاد من الصحافة الغربية التي رأت أن هجومي هذا يدفع العراق في أحضان الشيوعيين.

إلا أن واقع الأمر -كما قلت- أن سياستنا لا تقوم على معاداة الغرب أو الاتحاد السوفيتي. فهجومنا على الشيوعيين في العراق أو سوريا ليس له إلا هدف واحد، ألا وهو حماية شعبنا في الجمهورية العربية المتحدة من وباء الشيوعية، وتحذيره من التغلغل الشيوعي في الشرق الأوسط. وقد تحقق هذا الهدف، ومن ثم هدأ الهجوم على التأثير الشيوعي في العراق، وإن كنا ما زلنا نراقبهم، لأنهم لن يتوانوا عن معارضتهم للعروبة والجمهورية العربية المتحدة.

عارض الشيوعيون القومية العربية في العراق منذ الوهلة الأولى. غير أن شعارات القومية العربية عمت العراق منذ الثورة.

خوف الشيوعيين من التحاق العراق بالجمهورية العربية المتحدة جعلهم لا يألون جهدًا في إقناع العراقيين بأنها تتآمر على حريتهم الجديدة وإنجازاتهم ومقدراتهم الطبيعية.

وبناءً عليه سارعت بإبلاغ عبد الكريم قاسم، قائد الثورة العراقية، بعدم سعى الجمهورية العربية المتحدة إلى الاتحاد مع العراق، وأن مهمته الأولى هي لم شمل القطر حتى يتمكن من مواجهة التهديدات الخارجية من جانب الإنجليز والأمريكيين، ثم بعدها حماية الأردن ولبنان. وأنا لم أكن مؤمنًا بإمكانية تحقيق ذلك حتى لو سعت العراق إليه حينئذ، لأن هذا من شأنه أن يعرضهم للغزو، لا سيما من جانب الإنجليز. ومن ثم حين زارني وفد عراقي بعد 4 أيام من الثورة قلت لهم إن الاتفاق العسكري والاتفاقات الاقتصادية والثقافية هي الأساس الوحيد للتضامن فيما بين بلداننا.

اليوم، الشيوعيون في سوريا ولبنان والأردن والعراق يتكاتفون معًا، وهدفهم الآني هو خلق المشاكل لفصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. أما الهدف النهائي فهو تكوين أحزاب شيوعية في أرجاء البلاد والاستيلاء على السلطة. وإذا تمكن الشيوعيون من تكوين قاعدة راسخة العراق، فإنهم سينطلقون منها إلى سوريا والأردن لبنان والسعودية والكويت. واتفق القادة الشيوعيون في اجتماعهم عقب الثورة العراقية على إنشاء هلال شيوعي خصيب في الشرق الأوسط.

في خضم هذا الخداع، وهذه المناورات من أجل الامتيازات في الشرق الأوسط يسوغ للمرء أن يسأل عمّا حدث للعدو القديم للقومية العربية، وهو الإمبريالية؟ وأجد لزامًا على أن أجيب بالقول: إنه في الواقع لا يزال معنا وينخرط في الخداع والمناورة. فعلى سبيل المثال بعض المصالح البريطانية ترى لزامًا عليها مناهضة القومية العربية في العراق، لأنها قد تفضي إلى سيطرة عبد الناصر على الشرق الأوسط، وأن شيوع الفوضى في العراق في ظل الشيوعية خير من ذلك.

أتفهم هذا التخوف وأملي أن أحظى بالعذر إذا لم أتعاطف مع هذه الفكرة، فأنا لا أبغي السيطرة على الشرق الأوسط. وأرى أن خشية البريطانيين من شخصي أقل من خشيتهم من كوني رمزًا فلا يزال الأمل يراودهم في ممارسة النفوذ على بعض أجزاء الشرق الأوسط كالكويت حتى العراق. ففكرة الاستقلال التي أذود عنها، هي بمثابة خطر على طموحات البريطانيين. فهم لا يخشون عبد الناصر، وإنما يخشون ما يمثله عبد الناصر.

في خضم المناورات الجارية في الشرق الأوسط تضطلع إسرائيل بدور كبير. وشاع في أوساط العرب القول بأن إسرائيل أداة في يد الإمبريالية الغربية، أو العكس. لا أظن أن هذه الأفكار من دون أساس. واقع الأمر وحتى نرى الأمور على حقيقتها، في الفترة الأخيرة تحالف الإسرائيليون والبريطانيون والفرنسيون علينا، وشنوا هجومًا من أشرس ما رأينا وهو الهجوم المشترك على منطقة قناة السويس. وبصفة عامة أظن أن الفرنسيين يُزوّدون الإسرائيليين بشتى أنواع الأسلحة لتستخدم مستقبلًا في هجوم محتمل علينا، وذلك لأننا نتعاطف مع كفاح الجزائريين من أجل الحرية.

واضح أنه ليس كل البلدان الغربية تؤيد العدوان الإسرائيلي. ففي غزو السويس لم تؤيد الولايات المتحدة العدوان الثلاثي علينا. وأعلم أن إسرائيل تحظى بدعم قوي في الولايات المتحدة، سواءً في الكونجرس أو الأوساط الشعبية، وذلك بفضل الحركة الصهيونية المنظمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الجمال

(مجلة التايم: ٢٩ مارس ١٩٦٣)

29 مارس 1963

في السادسة والنصف من صباح هذا الشهر (مارس 1963) دقَ الهاتف في المكتب الصغير الملحق بحجرة نوم الرئيس جمال عبد الناصر، وكان قد استيقظ من قبل، فرفع السماعة ليتلقى أخبارًا سارة عن وقوع انقلاب عسكري على الحكومة المناهضة له في سوريا. ثم عاود الهاتف الدق، وكان وزير الثقافة والإرشاد القومي يتساءل عن كيفية تعامل إذاعة القاهرة مع الانقلاب فرد عبد الناصر على فور بضرورة دعم المتمردين.

ثم أصدر الرئيس المصري سلسلة من الأوامر ونزل إلى الطابق الأرضي:

تستعد القوات الجوية بقاذفات القنابل والمقاتلات إذا طلب المتمردون السوريون العون. أما البحرية فتحرك لأسطول (6 مدمرات و10 غواصات) فيتحرك شمالًا وينتظر الأوامر. والجيش فيتحرك إذا فكرت إسرائيل في التدخل. ضع الصواريخ على منصات الإطلاق لتكون جاهزة.

عقب هذه السلسلة من الأوامر، ارتدى عبد الناصر ملابسه إلى الطابق الأرضي. دق الهاتف مرة أخرى، وهذه المرة من بغداد حيث تساءل عبد السلام عارف، الذي انقلب على النظام المناهض لعبد الناصر منذ 4 أسابيع عمّا يتعين القيام به حيال سوريا.رد عبد الناصر أنه سيعترف بالحكومة فور تشكيلها، فقال عبد السلام عارف بكل حيطة: "بالطبع نعم وينبغي أن تكون مصر أول من يعترف ووعد بأن تتبعها العراق بعد خمس دقائق".

تقطيع الأوصال

لم يتم اختبار أعصاب عبد الناصر أو الجيش المصري، لأن الانقلاب السوري اتسم بالسرعة وكلل بالنجاح. واكتفت إسرائيل بتنبيه الدفاعات الحدودية ولم تتحرك. واقع الأمر التمرد السوري كان أقل حدة بمراحل وأقل دموية مما يحدث على الصعيد العربي، فقد اهتزت منطقة الشرق الأوسط في السنوات الخمس عشرة الأخيرة اهتزازًا مستمرًا، كأنها طائرة مروحية وتحولت إلى نسق جديد ووقعت حربان كبيرتان وعشرات الانقلابات والانتفاضات، وتعرض رؤساء الحكومات والأمراء لتقطيع الأوصال على يد المتمردين في الشوارع، كما تم قتل الآلاف من الساسة والضباط شنقًا أو بتقطيع الرؤوس أو إطلاق

النار أو بالاغتيال، وحصدت البنادق الآلية والقاذفات جموع الطلاب والعمال والأهالي.

تبين في الأسبوع الماضي أن ما وقع من تقلبات نتج عنه نسق جديدة في صالح جمال عبد الناصر، فالثورة السورية كانت الحدث الثالث في ستة أشهر الذي يتعهد بمناصرة مصر وتقاطر القادة الجدد على القاهرة ليرتموا في أحضان عبد الناصر، واغرورقت أعينهم بالدموع وعقدوا مؤتمرات طوال الليل عن المفهوم الهلامي للوحدة العربية. كان عبد الناصر في أوج عظمته، إن لم يكن قوته، وسيطر ظله لفترة لم تحدث من قبل، وغطى شتى بقاع العالم العربي من المحيط إلى الخليج.

هل هي مسألة تخريب؟

للمرة الأولى منذ 500 عام يتماثل وضع الدول العربية الرئيسية الثلاثة -مصر وسوريا والعراق- ويربطهم الود والتقارب. والجماهير الغفيرة في اليمن تتوق إلى أي تحالف يتم التوصل إليه حيث يقوم 28 ألف جندي مصري بدعم التمرد الموالي لمصر. والنظم الملكية الموالية للغرب والتي تكن العداء للقومية العربية في السعودية والأردن تواجه خطر الثورة عليها من جانب أتباع الرجل المقيم في القاهرة. حينما تحطمت طائرة الملك سعود الخاصة في جبال الألب الإيطالية في الأسبوع الماضي وقتل الثمانية عشر رجلا الذين كانو على متنها، أتهم السعوديون على الفور عملاء عبد الناصر بتدبير هذا العمل التخريبي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



جمال عبد الناصر، وظله (صولجانه) الممتد إلى 3000 ميل

قد يكون وقد لا يكون. ففي هذا الصراع الدائر في الشرق الأوسط ترغب القاهرة، في أن تستعرض عضلاتها إنّ تمكنت. فنجاح الانقلاب في اليمن وسوريا والعراق لم يكن يدعو إلى دهشة عبد الناصر. فهو كان يعلم بكيفية وقوعها أو ربما حتى متى ستقع تحديدًا. غصت القاهرة بالمنفيين من العالم العربي، من عبد الحميد السراج من سوريا وهو العصي الذي خيب آمال عبد الناصر في دمشق إلى المغمورين من تونس واليمن والسعودية والأردن واللاجئين من مشيخات الخليج المدعومين من بريطانيا. يعيش الكثير منهم على ما تجود به مصر من دعم. يخرج عبد الله طارقي وزير البترول الأسبق، من القاهرة ويعود إليها بهدف المساعدة في تكوين جيش من المنشقين السعوديين وتسليحهم عن طريق الجو وعلى طول الحدود الخاوية مع الكويت. وانضم إلى عبد الناصر سفير السعودية في ألمانيا الغربية، الذي استقال منذ أسبوعين اعتراضًا على عدم القيام بإصلاحات في بلده. وعلى الأقل هناك 6 سفراء سعوديين يتعاطفون مع نهج عبد الناصر.

الصوت المسموع

تأثر العالم العربي عن بكرة أبيه بعبقرية عبد الناصر الخطابية. فقد انتشرت هوائيات الإرسال في سماء القاهرة، وبدأت تزاحم قبة قلعة محمد علي، وتنشر رسائل إذاعة القاهرة إلى كل أرجاء الوطن العربي وتنوع صوت القاهرة فكان هناك صوت العرب وصوت إيران الحر وصوت أفريقيا الحرة وغيرها، مما كان يحض سرًا على الثورة. في الفترة الأخيرة أيدت الإذاعة الناطقة باللغة السواهيلي مزاعم الصومال بتبعية الجزء الشمالي الشرقي من كينيا. ويتم بناء هوائي إرسال موجه إلى تونس للقضاء على الحبيب بورقيبة.

التليفزيون المصري، الأكثر حيوية في الشرق الأوسط، يستطيع بث 3 قنوات 20 ساعة في اليوم، ويتم إرسال مواد إعلامية وفنية مليئة بدعاية ناصرية إلى الجزائر والكويت ولبنان. وتمكن عبد الناصر من تجميع أفضل الفنانين العرب، واستغلالهم على النحو الأمثل. حين تغني أم كلثوم ثوار ثوار يردد غناؤها حتى البدو في أعماق الصحراء. وأشهر أغنية على لسان الأطفال العرب هي: كنا هنبني وادي إحنا بنينا السد العالي. كل مذياع ترانزستور في الشرق الأوسط هو بمثابة عامل مساعد لعبد الناصر. حينما ثار اليمنيون على الإمام، أرسل

لهم عبد الناصر السلاح وأجهزة الترانزستور. لم يتمكن الشيوعيون العرب الذين اعتادوا على بث الخطابات المطولة من مضاهاة فناني عبد الناصر.

القناص

انتصارات عبد الناصر ليست فقط نتاج التخريب والدعاية الإعلامية إنما هو مصدر إلهام للكثير، فقد حكم مصر دون منازع طيلة 10 سنوات منذ 1954، حين أحبط تمرد سلاح الخيالة وثبت أركان نظامه واختفت فلول حزب الوفد القديم بل طواهم النسيان، فشخصية عبد الناصر تأفل بجانبها كل الشخصيات الأخرى في مصر والعالم العربي، فهو القناص الأكثر مهارة الذي قضى على الفساد في مصر وأحيا روح الكرامة العربية. تنتشر صورته ذات الابتسامة اللامعة في شتى أرجاء الشرق الأوسط من أسواق العراق إلى أكواخ القبائل اليمنية التي تتمسك بصورته، وإن كانت تحارب قواته.

رغبة العرب الدفينة في أن تكون لهم دولة واحدة وتوسمهم في عبد الناصر، أنه خير من يجسد هذا الأمل، هو ما خدم جمال عبد الناصر في مسعاه. فحلم الوحدة يعود إلى القرن السابع الميلادي حين استلهم المحاربون العرب الوحي الإسلامي الذي نزل على محمد، وانطلقوا من الجزيرة العربية، وغزوا بقاع الأرض كافة، ففي أقل من 150 عامًا وصل العرب إلى آسيا الصغرى وجدار القنسطنطية البيزنطية، وجنوبًا إلى فارس وأفغانستان ووسط الهند وشرقًا إلى وسط آسيا وحدود الصين وغربًا إلى مصر وأفريقيا وإسبانيا وحدود فرنسا مكونًا أكبر إمبراطورية في التاريخ تفوق ما سيطر عليه الإسكندر الأكبر وروما الإمبريالية.

وكانت هذه إمبراطورية انفرط عقدها بأسرع مما يُتصور. وبحلول القرن السادس عشر وقعت الدول العربية واحدة تلو الأخرى تحت سيطرة العثمانيين. وفي الحرب العالمية الأولى تمرد القوميون العرب على سادتهم العثمانيين، وانضموا إلى الجيوش البريطانية في الشرق الأوسط، إيمانًا منهم أنهم سيتحررون ويتحدون، ويعلم رواد السينما اللذين شاهدوا فيلم لورانس العرب، النتيجة البائسة لكل هذا، فقد تم توزيع المنطقة على إنجلترا وفرنسا في ظل نظام الحماية لعصبة الأمم، وأفنى العرب الذين خاب أملهم أنفسهم في الثورة على القوى الاستعمارية. ولم تتمخض الحرب العالمية الثانية إلا عن القليل بالنسبة للقوميين العرب، حيث حصلت حفنة من الدول استقلالها، وإن كانت السيطرة ظلت سرًّا في يد الملكيات الإقطاعية وتحالفات كبار الملاك ورجال الأعمال الذين لم يكونوا سوى أداة طيعة في يد الاستعمار. في عصر يوم من أيام الأحد في القدس، تفتقت أفكار ونستون تشرشل عن دولة الأردن، وكان الأدهى والأمرَّ؛ تقسيم فلسطين لتوفير وطن قومي لليهود. واكتمل الهوان بهزيمة الجيوش العربية مجتمعةً على يد الإسرائيليين.

الدوران حول القمر

حينما نجا جمال عبد الناصر من العدوان الثلاثي لإنجلترا وفرنسا وإسرائيل، اكتسى هيبة كبرى، وتجاهل العرب الهزيمة التي منيت بها مصر في ميدان المعركة، ولولا التدخل الأمريكي والروسي لانهار عبد الناصر. كل ما يهمهم أن جمال عبد الناصر حارب الإمبريالية وإسرائيل ونجيَ. وحين تمكنت مصر إدارة القناة من الناحية الفنية دون اللجوء للمساعدة شعر القوميون العرب بالفخر، ورفعوه إلى عنان السماء، كأنه دار بنفسه حول القمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الشكل الجديد لنيل القاهرة

تمشي مُهندمًا وبحذاء جيد وكتفاك مرفوعتان للخلف

وافتخر الإخوة العرب بالإنجازات الداخلية التي أنجزها عبد الناصر منذ حرب السويس، وغصت القاهرة بالحركة وهي شبيه بمدينة شيكاجو. تراصت ناطحات السحاب الجديدة على جانبي النيل وتلألأت أضواؤها على صفحته ليلًا، وظهرت على حوائطها الزجاجية شراع الفلوكة، وقد شدت الرحال بما تحمله من قمح إلى الصعيد. وهذا الازدهار المعماري ليس مقصورًا على الفنادق التي استقبلت هذا الشتاء نصف مليون سائح، مسجلةً رقم قياسيًا وإنما ظهرت ضواحٍ جديدة في أطراف المدينة. وفي منطقة الأوقاف سكن كبار الموظفين الجدد في منازل صغيرة حديثة. أما في شمال المدينة، فقد تم في العام الماضي بناء 40 ألف وحدة سكنية منخفضة التكاليف. بيد أن معظم القاهرة ظل كما هو مزدحمًا، وبه خليط متنافر من ضوضاء السيارات. ففي إمبابة غرب النيل تسير قوافل الجمال المطلية بالحنة إلى السلخانة، والرجال تلمع عيونهم وهم يتعاملون مع مخلفات الفيضان، والأولاد يمارسون ما كان يمارسه الأجداد من 50 سنة من حيل وألعاب. وسوق إمبابة القديم على حاله تباع فيه المسامير القديمة، وأربطة الأحذية بكل جدية ووقار. تلاشت إلى حد كبير الطرابيش الحمراء من على رؤوس المصريين، ونجح جمال عبد الناصر في إقناع المصريين بالتخلي عن الجلباب وارتداء الملابس الأوربية، واللافت للنظر اختفاء الحفاء بين الرجال والنساء والأطفال حتى الأطفال المهلهلين من أحياء القاهرة الشعبية كانوا يرتدون أحذية. اليوم أهل القاهرة ملابسهم جميلة وأحذيتهم أنيقة ويمشون مرفوعي الرأس.

الإيرادات المنهوبة

عامل الصناعة هو أكثر من استفاد من عهد عبد الناصر يليه الفلاح، حيث كانت حركة عبد الناصر منذ 1952 ترمي إلى رفع مستوى معيشة الفلاح ليتساوى حتى بالجاموسة، وتحقق له ذلك، وقد تجلى هذا في ملابس الفلاح ومأكله، حيث أضحى يأكل اللحم على الأقل مرة واحدة في الأسبوع، بعد أن كان لا يتناولها إلا مرة أو مرتين أو في السنة.

قبل عهد عبد الناصر كانت عبارة "أنا مالي" هي المعبرة عن حال الفلاح، أما اليوم فالعبارة السائدة هي "النهضة" حيث استيقظت مصر في ليلة صيفية حارة من شهر يوليو 1952، حين أطاح عبد الناصر ورفاقه من شباب الضباط بالملك فاروق وأنهوا عهده.

لم تحقق مصر بمفردها النهضة الاقتصادية، فالحملة التنموية المكثفة ابتلعت إيرادات القناة، وربع أكبر محصول للقطن، وصرفت مصر ما لديها من احتياطيات حيث انخفض احتياطي العملات الأجنبية من بليون دولار، بعد الحرب العالمية الثانية إلى 10 ملايين، ونتج عن كل هذا تزايد الاعتماد على المعونة الأجنبية. والتزمت الكتلة الشرقية بتقديم معونة اقتصادية قدرها 700 مليون دولار منذ 1955، وستتكفل روسيا ببناء السد العالي لتتوسع الرقعة الزراعية من 6 إلى 8 ملايين فدان بحلول 1972، وتوليد 10 ملايين كيلو وات من الكهرباء. تقدم الولايات المتحدة منذ عام 1945 ما قيمته 628.6 مليون دولار معظمها في شكل مساعدات غذائية تدفع بالجنيه المصري، وقد يعود 85 % منها في شكل قروض لمصر. وهي تعتمد اليوم في غذائها على الولايات المتحدة، وتتكفل روسيا بتوفير السلاح وبناء السد.

واقع الأمر لا يعتمد عبد الناصر على قوة واحدة أو مجموعة من القوى، وهو متمسك بعدم الانحياز. والأمور أفضل مما تعنيه الكلمة. فمنذ بضع سنوات خلت كان غير منحاز للشرق، أما اليوم فهو يعد غير منحاز للغرب بالمعنى الأدق للكلمة.

فاقت الحد

تحققت الوحدة وإن كان بثمن باهظ. وأصر عبد الناصر بمجرد أن دانت له السيطرة على إلغاء كل الأحزاب بما فيها حزب البعث، وطبق السيطرة الصارمة ونظام الأمن الشرطي المعمول به في مصر، وأغرق ما سمي بالإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة بالرسميين العسكريين وطبق نظمه الاقتصادية السلطوية. تعرض الضباط المعارضون له إلى النقل للمناطق النائية في مصر، وزج بالمدنيين في السجون. في نهاية المطاف تمرد ميشيل عفلق، وأمر الوزراء البعثيين بتقديم استقالة جماعية مما مهد الطريق للانفصال.

واجه حزب البعث في العراق الأزمة فور إقامة الديكتاتورية الدموية على يد عبد الكريم قاسم في 1958. واشترك البعث في التمرد الذي وقع في مركز البترول في الموصل، قضى عليه عبد الكريم قاسم بوحشية، بمساعدة مليشيات الشيوعيين. وحاولت مجموعة من البعثيين قتل عبد الكريم قاسم ولم تنجح وتم القضاء عليها. وأخيرا وفي الشهر الماضي نجح البعثيون والموالون لعبد الناصر في القيام بانقلاب وقتلوا عبد الكريم قاسم، ومئات من حلفائه الشيوعيين. وبعد 4 أسابيع استبعد البعثيون وحلفاء ناصر الحكومة المحافظة في سوريا، وأضحى الطريق ممهدًا للوحدة التي دائمًا طال الحديث عنها.

الدرس الكامل

تكمن الصعوبة بطبيعة الحال في كل فرد يرغب في الوحدة بشروطه هو، حتى الملك حسين الذي يمقته عبد الناصر والبعثيون يقول: إنه يأمل في مصالحة أعدائه، وقبول الأردن في الوحدة العربية، وأضاف أنه لو لزم الأمر فإنه على استعداد للتخلي عن العرش لتحقيق الوحدة العربية، لكن سرعان ما أضاف "شريطة أن تكون وحدة على أسس سليمة". وكان رد ميشيل عفلق: أهلًا بالأردن والسعودية في الحظيرة العربية، لكن من دون النظم القائمة والحكام الحاليين.

وفي القاهرة، أعلن عبد الناصر عن عزمه تجنب الأخطاء التي ارتكبت في الوحدة المشئومة والمتسرعة مع سوريا. وأخبر عبد الناصر مجلة التايم في الأسبوع الماضي، أن السبب الرئيسي للفشل يكمن في قبول الوحدة الكاملة والاندماج بدلًا من الفدرالية والحكم الذاتي في البلدين.

طار وفدان من العراق وسوريا إلى القاهرة منذ أسبوعين للبدء في الحديث عن الوحدة مع عبد الناصر، وفي الأسبوع الماضي سافرت مجموعة من المتنفذين السوريين إلى القاهرة، على رأسها ميشيل عفلق وصلاح البيطار بهدف وضع الأسس المتينة لهيكل الوحدة المنشودة، وسوف تعود هذا الأسبوع وفود عدة من سوريا والعراق، وفي جعبة كل منها مسودة مشروع للوحدة الجديدة.

كبرت أم صغرت

علاقة بريطانيا مع مصر علاقة سليمة على ما بها من برودة، فهي تقر بما يتمتع به ناصر من مكانة بارزة، وما له من قدرات عظيمة، إلا أنها تخشاه وتخشي سياسته. نفهم قلقها على ما تبقى لها من مستعمرات في الشرق الأوسط، وعلى مصالحها النفطية المهمة، فقد نعى أحد الدبلوماسيين البريطانيين على عبد الناصر غموض موقفه من مسألة النفط، وأضاف أنه بطبيعة الحال يود السيطرة على الكويت، لكن الكل يرغب في ذلك.

يتعرف بعض المديرين التنفيذيين الأمريكيين والبريطانيين بالشعور بالقلق، لكن يؤكدون عدم وجود خطر على تدفق النفط (6500000 برميل) وقال أحدهم: تعلمنا التعايش مع حالة عدم الاستقرار.

وهم لا يخشون عدم وصول مخزون النفط، المقدر بـ 194 مليار برميل إلى الغرب إنما خشية من أن أي تجمع عربي قد يسعى إلى تخفيض أرباح المنتجين. وقال أحد المسئولين: الوحدة العربية قد تكون جيدة أو سيئة

لصناعة النفط، وهذا يتوقف على الأهداف المتوخاة من هذه الوحدة، وهذا يصعب تبينه في الوضع الحالي.

الخط الفاصل: تقربت السياسة الأمريكية من جمال عبد الناصر في الفترة الأخيرة، رغم اعتراضها الشديد على تأميم القناه وتوجسها من مغازلته للشيوعيين وما زالت تتذكر تلك الأيام التي روجت فيها الإذاعة المصرية الأكاذيب القبيحة عن الولايات المتحدة، فواشنطن لا تميل إلى أن تكون داعمًا له، فإنها قد تتعاون من رجل يجري أسمه على كل لسان في العالم العربي. من الناحية الرسمية تهدف السياسة الأمريكية إلى مساعدة الحكومة أي كان شكلها التي تعمل بجد وإخلاص على تحقيق التنمية لديها وتدعم مصالح الشعب. فالولاية المتحدة دعمت الحكومة المصرية بصرف النظر عن النظم الاجتماعية، وهي يسارية وفي ذات الوقت دعمت إيران وهي يمينية. واعترفت بالملكية في الأردن والسعودية، كما اعترفت بها في اليمن، وهو موالٍ لناصر. بيد أنها وضعت خطًا فاصلًا وقال مسؤول أمريكي إن أمريكا ستتخذ موقفًا لو هددت الحرب الباردة في الوطن العربي بالخطر المصالح الأمريكية العريضة في السعودية على سبيل المثال. وعلى نفس المنوال الولايات المتحدة تعتبر نفسها طرفًا غير منحاز في الصراع بين العرب وإسرائيل. وموقف واشنطن من الوحدة العربية لا يزال مرتبطًا ما صرح به جون فوستر دلاس، أثناء ولاية إيزنهاور، حيث قال ما تم تأكيده في الأسبوع الماضي من أن واشنطن تنظر بعين العطف إلى أي تحرك نحو الوحدة العربية لا يكون مفروضًا من الخارج.

قبل انقلابين عظيمين

عبد الناصر اليوم ينظر نظرة طيبة إلى الولايات المتحدة، وقال أن مشاعره بالاستياء كان مردها محاولتها إكراه مصر على الدخول في تجمعات إمبريالية كمنطمة الدفاع عن البحر المتوسط وحلف بغداد. ويشيد ناصر بالإدارة الحالية في واشنطن، وقال إن كيندي حاول من البداية تفهم موقفنا وتعامل بواقعية مع العالم العربي أما دالاس فقد سحب دعمه للسد العالي وحجر على أموالنا في المصارف. غير أنا ناصر يعترف إنه لا ينبغي أن ننسى دعم الولايات المتحدة لنا في الأمم المتحدة في أزمة السويس وهذا ما ترك أنطباعًا طيبًا. المراسلات بين ناصر وكيندي قربت بينهما، ويقول ناصر: "إننا نتوخى الصراحة الشديدة فيما بيننا"، "ولا نتبادل العبارات الدبلوماسية إنما نعرب عن الآراء بصراحة وأمانة وبنينا جسور الثقة فيما بيننا". ويمتد هذا للسفير الأمريكي جون بادوه الذي يجيد العربية ودائم الزيارة لعبد الناصر، في حين إن السفير البريطاني لا يراه إلا مرتين سنويًا في المناسبات الكبري. يعتقد الشيوعيون أن الولايات المتحدة تسيطر على الأمور في الشرق الأوسط حتى أن السفير

البولندي في القاهرة أوقف نظيره الأمريكي وهو يدخل حفل غداء، وقال له بغصة: "التهنئة واجبة على ما أنجزتموه في العراق وسوريا فقد أوقعتم انقلابين محبوكين".

اهتزاز الركبِ

امتد مؤتمر الوحدة العربية إلى عطلة نهاية الأسبوع، وامتلأت القاعات بالتدخين وفناجين القهوة وجلس عبد الناصر في هذه المفاوضات وكله ثقة أنها ستتمخض عن شكل الوحدة التي يريدها، وهو بلغ من العمر 45 عامًا، وغزي الشيب جنبات رأسه، وكان قد تخلي عن لعب التنس، واكتفى بالسباحة التي لا تتطلب جهدًا كبيرًا. لياقته البدنية على ما يبدو عالية، كما عهد عنه، وما فتئ يهز ركبتيه بتوتر كعادته، وهو جالس. كما أنه يدخن 5 علب سجائر إل إم في اليوم، ولا يحبذ -كعادة معظم المصريين- السجائر المحلية، ويعمل من 12 إلى 18 ساعة، وهو الوحيد في الحكومة الذي يمكن مهاتفته في منتصف الليل. ويقول مساعد قريب منه إنه لم يسمع بأن أحد وجهه له اللوم على مهاتفة إذا وقعت واقعة. قد لا يروق له أن نقول هذا، لكنه هو الوحيد الذي يدير كل شيء وهم محاط بالكثير من المساعدين الفنيين، لكن حين يتعلق الأمر بالسياسة فإنه لا يثق في مخلوق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



عالم عبد الناصر العنيف والحيوي

(مجلة البوست: ٢٥ مايو ١٩٦٣)

25 مايو 1963

رأيت وفزعت بما يتمتع به من بأس وآلاف العرب يهتفون "ناصر ناصر"

"الشرق الأوسط يصعب فهمه، وهو يجيش بالعاطفة". إلا أنه يسهل تدرك أن هذه العاطفة تتركز على شخص واحد، هو في أعين قومه بمثابة البطل والإنسان الخارق، وهو الذي قال لي هذه الكلمات في بيته في القاهرة. مرة أخرى جمل عبد الناصر هو مركز السياسة في الشرق الأوسط، وهو رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ثوبها الجديد.

في أقل من عام وقف جمال عبد الناصر بمفردة تقريبًا حين تحطمت أحلام العربية في دولة الوحدة التي لم تدم أكثر من ثلاث سنوات ونصف السنة. تلت ذلك سلسة من الثورات الموالية لعبد الناصر في اليمن والعراق وسوريا. وقد شهدت وفزعت من له بأس شديد في العاصمة السورية دمشق، حيث حمل الآلاف الأعلام، وهم يمرون من تحت نافذة غرفتي في الفندق، ويهتفون "ناصر... ناصر". وكانوا مجموعات من 50 فردًا للمجموعة الواحدة، يترأسهم قائد محمول على الأعناق يهتف وهم يرددون هتافه، وكانوا على استعداد لمهاجمة من يعترضهم. وتسارعت الهتافات حتى سمعنا إطلاق النار في نهاية الشارع، ثم تم إطلاق المدفعية التشيكية. فقد كانت القوات السورية تطلق الأعيرة النارية من فوق رؤوس المتظاهرين حتى تمكنت من تفريقهم دون خسائر. لكن لم تمض لحظات حتى تنطلق مظاهرة أخرى إن لم يكن في دمشق ففي مكان آخر في العالم العربي.

من أين ستأتي؟ ومن عليه الدور في السقوط قبل اندلاع الموجة الجديدة من العنف؟ طرحت هذا السؤال على عبد الناصر ورفض أن يتكهن. لا أحد يعرف، وأنا بالقطع لا أريد أن أتكهن. فقد باغتتني الثورات الأخيرة في سوريا والعراق رغم ما قاله الناس. أنا لم أهاجم الأردن، ولكن يكمن أن نحكم من مشاعر الناس في السعودية والأردن أن الثورة قادمة.

كان الأردن يهتز في الوقت الذي تحدثت فيه مع عبد الناصر. والأردن دولة صغيرة نصف سكانها من البدو، والنصف الآخر من اللاجئين الفلسطينين والملكية الأردنية لن تستمر بعد الملك حسين البالغ من 27 عامًا، وهو قد أقصى أباه عن العرش بإدعاء اصابته بالجنون واُغتيل جده أمام عينه، وهو في ريعان شبابه. اجتاح المتظاهرون شوارع عمان منذ بضعة أسابيع وطالبوا

بالثأر. هاجمتهم القوات الملكية بالهراوات وقتلت منهم 60 على الأقل وزج الملك بالوزراء الموالين لناصر في السجن. إلا أن تقارير المخابرات الغربية ترى أن أيام الملك حسين معدودة. وأصدرت دولة إسرائيل المتحفزة تحذيرات من وقوع الملك حسين وامتداد نفوذ عبد الناصر من النيل إلى الخليج، وقالت إنها ستغزو الأردن، إن حدث هذا وإنه إذا وقعت حرب ثالثة بينها وبين العرب فستتحول إلى حرب عالمية ثالثة.

وبعد ذلك استمعنا إلى طلقات المدافع الآلية

كانت الدنيا قد أظلمت حين توقفت سيارة المرسيدس الحكومية لتأخذني من الفندق، وعبرت بِي النيل إلى شوارع شبه مظلمة من شوارع القاهرة التي تغص بالسيارات المزعجة والمشاه الذين يهتفون. وبعد 15 دقيقة دخلت السيارة في مدخل مبنى وكان يقودها شخص بزيه العسكري، وأمام مكتب يشبه الثكنات العسكرية، أخذنا الحارس إلى قاعة صغيرة، وتركنا بمفردنا نحتسي القهوة التركية. ثم خرج علينا الضابط واصطحبنا إلى قاعة ثانية شربنا فيها القهوة أيضًا ثم بعد ذلك جاء من يقول: (الرئيس جمال عبد الناصر جاهز لاستقبالكم).

تركنا هذا المبني الحكومي وعبرنا الشارع ودخلنا في بهو يفضي إلى مكان جمال عبد الناصر وهو مكان متواضع عاش فيه حين كان صاغًا قبل ثورة 1952. كان الصالون الرسمي ذو الطابع الفرنسي به نجفة كبيرة وقازة بها الزهور الحمراء على طاولة بجوار كنبة كبيرة وكانت هناك مجموعة من الصور على هذه الطاولة لجمال عبد الناصر والرؤساء الآخرين كنهرو من الهند، وسوكارنو من إندونيسيا وشوينباي من الصين الشيوعية.

وأخيرًا دخل جمال عبد الناصر بشحمه ولحمه، وهو رجل أنيق ضخم الجثة يرتدي بدلة بصفين من الأزرار، صافحنا بحرارة وابتسامة كشفت عن أسنانه الجميلة التي تتجلى في ملايين الصور المعلقة على الحوائط في العالم العربي. وكان عبد الناصر كبير القد ويشع بالطاقة والحيوية إلا أن الشعر الأبيض بدأ يزحف على جنبات رأسه، فقد انقضت 11 سنة على تقلده للسلطة وشهرته العالمية وهو لا يتجاوز سن الخامسة والأربعين. قال إنه كان نائمًا طوال فترة القيلولة وكان قد أخبر زوجته أنه كان يريد أن يبقى بالفراش حتى صباح اليوم التالي، لكنه لديه مواعيد مع السفير الإثيوبي ومعنا. واقع الأمر أنه كان نائمًا حين وصل السفير الإثيوبي في الساعة السابعة، فقام وارتدي ملابسه على وجه السرعة، والتقي به فالسنوات الطوال التي قضاها ضابطًا في الجيش علمته سرعة ارتداء الملابس.

كان أول انطباعاتي عنه، أنه شخص يجمع بين العزة والكرامة ولين المعشر ولم يصعب أن أتصور أنه كان يمكن أن يكون رئيسًا ناجحًا لبنك أو البورصة، ولم يكن من النوع الهادئ، لكنه كان حريصًا على إسعاد من أمامه حتى إنه كان يبدو متواضعًا للغاية. وفي فترة الساعتين التي قضيناهما معه في هذه المقابلة عبر عن نفسه بلغةٍ إنجليزية تقترب من الكمال وكان نورمان روكويل الذي اصطحبني ليرسم لوحة لعبد الناصر يرغب في رسمه من دون ابتسامة، لكن عبد الناصر يشق عليه إلا أن يبتسم. وأخيرًا أشار إلى عبد الناصر أن أجلس على الكنبة الطويلة، وجلس هو على الكرسي المجاور وتناول علبة السجائر الأمريكية التي يدخنها (تتكلف هذه الكرتونة دولارًا وخمسة سنتات في القاهرة، وقال لي أحد الموجودين إنه لا يطيق السجائر المصنوعة في مصر بما فيها السجائر الكليوباترا على الطراز الأمريكي).

تحدث عبد الناصر عن القيادة العربية التي كانت تبحث عن بطل يقوم بتحقيقها وبما أنه رأى في نفسه من يقوم بهذا الدور فإن ملايين العرب تطلعت إليه وكلها أمل بأن يحقق لها هذا الهدف. فهم لا يرغبون فقط في الصناعات والمدارس والمستشفيات والمنافع المرتبطة بالقرن العشرين وإنما يرغبون أيضًا في شعور بالكبرياء والاستقلال الذي يلهم الرجال بالعمل من أجل المستقبل.

الدور الذي يحاول أن يشغله عبد الناصر دور شاغر منذ قرون، فقد انقضي أكثر من ألف سنة على فرسان الرسول محمد الذين فتحوا مناطق البحر المتوسط ونشروا دينهم ولغتهم من الهند إلى جنوب فرنسا وتفوقوا على المسيحيين الأوربيين في قوة السلاح والكثير من فنون الحضارة الأخرى. إذ حينما ساد الظلام في العصور المظلمة إنجلترا وفرنسا، اخترع العرب علم الجبر ودرسوا أرسطو وقاموا بعمليات جراحية طبية متقدمة. وبنوا قصور فخمة وقلاع محصنة ولكن جار الزمن على الإمبراطورية العربية التي انهارت حين اكتشف كولومبوس الأمريكتين، ووقع العرب تحت حكم الأتراك والبريطانيين والفرنسيين. وحتى حينما اعترف البريطانيون في 1922 بالسيادة لمصر لم يكن يدرك المصريون ولم يقتنعوا بأنهم استقلوا عن بريطانيا التي تمدهم بالعتاد العسكري والبنوك والأدوية والمعدات. فقط بعد 30 عامًا من هذا التاريخ قام جمال عبد الناصر بترتيب انقلاب أطاح بالملك فاروق الفاسد وأعوانه وعصره، وحينها وجد العالم العربي قائدًا جديدًا.

قال لي جمال عبد الناصر: إننا نصنع في مصر كل الأفلام الناطقة بالعربية، صنعنا نحو 100 فيلم، ونصدر المسلسلات التليفزيونية إلى المغرب والكويت والعراق والجزائر ولبنان، ونرسل مدرسينا إلى كل البلدان العربية ونستقدم

الدارسين بالآلاف من مختلف البلدان ليدرسوا في الجامعات المصرية. وأضاف: لدينا 3 قنوات تليفزيونية و4 محطات إذاعية وكلها قوية ومسموعة.

الراديو الترانزستور أحدث ثورة، يحمله الفلاحون في جيوبهم ويطالب العمال بشراء أجهزة تليفزيون، حيث لدينا في مصر 160 ألف جهاز وهناك قوائم إنتظار طويلة. ونحن بصدد زيادة الإنتاج السنوي ليصل إلى 40 ألف جهاز. فنحن نجمع هذه الأجهزة بمقتضي اتفاقية أبرمناها مع R.C.A، ونبني مصنع إلكترونيات كبيرًا بمساعدة التشيكيين لإنتاج مزيد من أجهزة الترانزستور.

فهم عبد الناصر مزايا البث الإذاعي وتأثيره الكبير على ملايين الأميين، فإذاعة صوت العرب الجبارة روجت للوحدة التي يرغبها عبد الناصر في شتى أرجاء العالم العربي وهاجمت الملك سعود والملك حسين، وكليهما عدو له. بيد أن إذاعة القاهرة تبث إرسالها إلى أعماق أفريقيا في السودان والصومال كما تصل إلى كينيا باللغة السهليه. وتؤكد الإذاعة المصرية على حتمية الإطاحة بأعداء عبد الناصر. وحين سألته: هل تتوقع موعد سقوطهم؟

وهل ستقوم الثورة عليهم؟ أجاب: كثير من الناس يتركون بلدانهم ويأتون إلى القاهرة كما فعل على سبيل المثال السفير السعودي في بون الذي قدم استقالته. وحين أعلن الأمير فيصل رئيس وزراء الملك سعود دعمه للملكيين في اليمن انشق 6 من الطيارين السعوديين وهربوا بطائراتهم المحملة بالأسلحة والذخيرة إلى مصر وقرر أيضًا قائد أركان القوات الجوية الأردنية واثنان من طياريه المجيء إلى القاهرة. كل هذه الأمور تجعلنا نرى أن الناس غير راضين عن حكامهم الإقطاعيين.

لم تتضمن قائمة عبد الناصر -على كبرها- كل الهاربين السعوديين. بلغ عدد الهاربين حتى الآن 5 أمراء من الأسرة الحاكمة و80 من ضباط الجيش و700 جندي في اليمن. وأكبر المنشقين في الفترة الأخير، هو المدير العام للنفط السعودي عبد الله طارقي، الذي تلقى تعليمه في تكساس ويعد للثورة من المنطقة التي ينتمي إليها حسبما ورد في صحيفة البوسط في فبراير 1962.

الولايات المتحدة تتعاطف مع عبد الناصر غير أنها تدعم الملك سعود. ينتج المجمع الأمريكي الكبير المدعو أرامكو مليونًا وخمسمائة وعشرين ألف برميل في السنة وأي خلل في هذا الوضع الحالي سيهز العالم الغربي.

قال ناصر: تختلف مصالح الولايات المتحدة عن مصالحنا في هذه المنطقة، وليس لدينا اعتراض على دعمهم للسعودية العربية ولكن أي دعم يقدم للنظم الإقطاعية سيكون موضع انتقاد الجميع.

لكن هل لدى عبد الناصر بديل؟ فتجربته السابقة للجمهورية العربية المتحدة لم تدم سوى 3 سنوات تعرض فيها السوريون للاضطهاد من جانب المصريين.

يقول عبد الناصر: إن السبب الرئيس للفشل هو؛ أن النقلة كانت كبيرة ونحن بلدان مختلفان كل الاختلاف ولم تستغرق عملية الوحدة سوى 15 يومًا. وطبائعنا مختلفة. كانت فكرتي أن ننشئ فدرالية بدايةً، لكن أصر الإخوة في سوريا على التحول إلى بلد واحد وحكومة واحدة. لم أزر سوريا قط. سنصنع وحدة بخطي وئيدة هذه المرة.

واقع الأمر أن ناصر هذه المرة يتحرك بحذر، فلن يتم التصويت على الاتحاد الفدرالي بين مصر وسوريا والعراق وعلى رئاسته حتى شهر سبتمبر المقبل، وتأمل الدول الثلاث أن توحد القوات المسلحة مع وجود قائد لكل منطقة وعلاقات خارجية. لن توحد الوزارات إلا بعد سنتين من الآن. ويقول علي صبري، نائب الرئيس الأول: إن الوحدة الاقتصادية ستستغرق 10 سنوات.

ما هو يا تري الدور الذي ستضطلع به دولة الوحدة في العالم؟ هل ستظل على الحياد؟

يقول عبد الناصر: الحياد كلمة تستخدم في الحرب أما عدم الانحياز فهي التعبير الأفضل ومعناه أن سياستك لا تصنع في واشنطن أو موسكو. في فترة ما كانت الولايات المتحدة تسيء إلينا، وأصبحنا نحن أيضًا نناصبها العداء. كان الاتحاد السوفيتي يعارض الاستعمار في الأمم المتحدة وكانت الولايات المتحدة كذلك ضد الاستعمار في أنجولا وكنا نحن معها.

التقلبــات في العلاقات السياسية بين البلدان أمر حتمي، كما حدث حين اعترفتا بالصين الشيوعية مما أساء كثيرًا إلى السيد دالاس وحتى في عدائنا للشيوعية رغم أن روسيا أمدتنا بالمساعدات الاقتصادية. نرى ضرورة للنأي بالعلاقات الاقتصادية بعيدًا عن السياسة.

الوحدة العربية إذا قدر لها أن تدخل حيز الوجود ستقض مضجع إسرائيل، فالقيادة العربية المشتركة قد تكون من القوة، بحيث تتمكن من أن تقذف إسرائيل في البحر. وقال مسئول: إن وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين وتشغيلهم تسعى لتوفير الغذاء لنصف مليون لاجئ فلسطيني مما يعتصر إسرائيل. وكراهيتها مزروع في نخاع الأطفال اللاجئين، فهم تعلموا أن اليهود سرقوا أرض أجدادهم، ومن ثم لا بد أن يخرجوا منها ولو بعد 100 سنة.

قلت لناصر في حديثي معه: إني سمعت أنه خفف من حدة آرائه في إسرائيل، وهو قد ألقى خطابًا معاديًا لها، وخشيت أن يستشيط غضبًا من كلامي هذا إلا أنه لم يزد على القول: "لم نغير كلامنا عن إسرائيل، فسياستنا

ظلت دومًا تدعم قرارات الأمم المتحدة التي تقر بأن مليون فلسطيني حرموا من ممتلكاتهم، ونرى دومًا ضرورة عودة هؤلاء الناس إلى بلدهم والتمتع بالحرية. وكل هذا لم يتغير.

قلت له: إن بعض منتقديك يقولون إنك تنخرط في سياسة خارجية نشطة بسبب ما تلاقيه من مشاكل في الداخل. وكانت هذه المرة الوحيدة التي يطلب إعادة السؤال، وينصت. ورد باستخفاف: "هراء. لا أستطيع المقامرة. يتعين أن تكون لنا علاقات طيبة مع البلدان الأخرى حتى نستطيع أن نبني هذا البلد ونرفع من مستوى المعيشة فيه".

واقع الأمر أن عبد الناصر فعل الكثير من أجل بلد من أفقر بلاد الأرض. ويقول عبد الناصر: "لقد أوجدنا مليون فرصة عمل جديدة، ولدينا 6 ملايين عامل نصفهم في الصناعة والنصف الآخر في الزراعة وسوف يزداد العاملون في الصناعة كل عام وباتساع رقعة التعليم سينخفض معدل الولادة.

القطن هو محصول التصدير الرئيسي وقد كان سيئًا في الموسم الماضي، لأن الدودة أصبحت تقاوم المواد الكيماوية التي لدينا، لكنه تحسن هذا العام، وقد عرفنا أننا لا بد من تغيير المبيد كل خمس سنوات. ليس لدينا الكثير من النفط كما هو معلوم، ونحن نحسن الإنتاج الذي سيزداد إلى 6 مليون طن هذا العام نستهلك منه 4 ملايين".

تبسم ناصر طيلة الوقت وحماسه دائم (كما أنه يدخن بشراهة فقد أنهى علبة كاملة في ساعتي المقابلة) وواضح أنه فخور كل الفخر بما تحققه بلاده من تقدم على كل الجبهات وكان يذكر إحصائيات من الذاكرة لا تتفق في معظم الأحيان مع ما يرد في الإحصاءات الرسمية. ما من شك في أنه رفع من مستوى معيشة العمال الذي كان من أدنى المستويات على وجه الأرض.

يعتمد ناصر في مسعاه هذا على المساعدة الأجنبية. فنصف ما تستهلكه مصر من قمح يأتي من الأودية الأمريكية الخصبة.

أسهمت الولايات المتحدة منذ 1958 حتى اليوم بما قيمته 800 مليون دولار، في شكل قروض ومنح لمصر، ومعظمها سلع اساسية زائدة عن الحاجة. شيء طيب أن نقدم هذا لناصر؛ فقد حدث أن كانت مصر في العام الماضي ليس لديها إلا ما يكفي لمدة خمسة أيام من القمح. وشيء طيب أن نتخلص من سلع وأن نتمكن من بيعها في الأسواق. أرسلنا في العام الماضي قمحًا بقيمة 175 مليون دولار تبرعت منها هيئة كير، وإدارة الكنائس العالمية وهيئة الإغاثة الكاثوليكية وغيرها بـ 35 مليون دولار. وتم بيع الباقي للحكومة بالجنيه المصري. تلقت السفارة الأمريكية بالقاهرة 15 % من المبلغ لتغطية مصاريف التشغيل وبرامج التبادل التعليمية. وتم إعادة الـ85 % الباقية لدعم

جهود التنمية الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة مما حسن العلاقات بين ناصر والولايات المتحدة منذ الخمسينيات. يلتقي السفير الأمريكي جون بادو طويل القامة ورمادي الشعر والذي قضي ربع قرن في الشرق الأوسط معلمًا، وفي الإرساليات بجمال عبد الناصر كثيرًا، وحظي باحترام العرب أينما حل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ناصر يغرق الأغنياء

يتطلع جمال عبد الناصر إلى إعادة تنظيم الاقتصاد بهدف الاستغناء عن المساعدات الأجنبية. استهل هذا المسعى بقانون الإصلاح الزراعي الذي لا غنى عنه نظرًا لأن أسرة الملك فاروق وبضع مئات كان يستحوذون على البلد. أما اليوم فلا يستطيع أحد أن يملك أكثر من 100 فدان، وتم توزيع الأرض المؤممة على الفلاحين المعدمين بواقع 5 إلى 10 أفدنة للأسرة. ويري ناصر أن الغنى يولد الفساد. ففي عام 1961 أمم 80 % من الأعمال، لكن هل يلمس الشركات الصغيرة التي لا يتجاوز رأسمالها 69 ألف جنيه، لأنها لم تستغل أحدًا، وسوف تصعب إدارتها.

ذكر ناصر مثلًا على ذلك وقال: كنت أعرف رجلًا اشترى قبل الثورة شركة بمبلغ 523 ألف جنيه. وكان الوضع قد تعسر عليه. أقرضناه بعض المال على سبيل العون فبني مصنعًا كبيرًا، وأصبحت ثروته هو وأولاده 13 مليونًا وخمسمائة ألف جنيه. وأضاف ضاحكًا: التأميم حماه من الفساد. المفارقة أن عبد الناصر قد يكون على حق في ظل رأسمالية الشرق النهمة، والعائد المتوقع الذي يصل 15 %. كان من الصعب أن نشرح لناصر أن هذا ليس بالضرورة دأب الرأسمالية في الغرب، وهو الأمر الذي يصعب على الاشتراكيين من أمثال ناصر تصديقه.

قال ناصر: إن العمال تعرضوا للاستغلال ولم يتقاضوا أكثر من 28 سنت في اليوم بما لا يكفي إلا لشراء الخبز لأولادهم. فحققنا لهم العدالة الاجتماعية، وأصبحوا يتقاضون 58 سنتًا في اليوم، وبنينا لهم البيوت التي لا يزيد أيجارها على 150 سنتًا في الشهر، وزودناها في بعض الأماكن بأجهزة التكييف.

لا يكفي تقاسم الثروة لحل مشاكل مصر. السد العالي هو مجد مصر اليوم وأملها في المستقبل، حيث يعكف على بنائه 20 ألف مصري إضافة إلى 1000 مهندس وفني روسي.

وقال ناصر بمهابة مفهومة: في مايو المقبل سنغير مجرى النهر للمرة الأولى في التاريخ، وحين يتم تحويل النهر سيكتمل نصف السد، وحينها سيفوق السد سد بولدر، وسيتم تكوين أكبر بحيرة صناعية في العالم بطول 200 ميل، واتساع يصل إلى 6 أميال. وحين يكتمل بناء السد في 1970 ستصل الرقعة المنزرعة من 6 إلى 8 ملايين فدان، وإنتاج الكهرباء سيصل إلى 20 مليون كيلو وات في الساعة وستصل التكلفة النهائية إلى 31 مليونًا، بما في ذلك إعادة توطين النوبيين الذين ستغمر البحيرة أراضيهم.

سلط عبد الناصر الضوء على أسوان التي تبعد 500 ميل عن القاهرة، ويطلق عليها سحر مصر. وضوح الرؤية يجذب انتباه الزائر، حيث يعمل العمال المصريون في نقل الأحجار على الشاحنات الروسية من المحاجر إلى موقع السد.

تتراص المباني السكنية بالقرب من موقع السد ليعيش فيها المصريون والروس. ورغم أنهما يتفاهمان معًا فإن الروس كانوا يميلون إلى الابتعاد. توقفت ذات مساء في المنتدى الروسي، ووجدت معظمهم يلتف حول التلفاز لمشاهدة فيلم روسي، والبعض يلعب الشطرنج أو تنس الطاولة. وكان بعض الشباب، لا سيما الروس قد أحضروا معهم زوجاتهم وأولادهم ليعيشوا معهم طيلة المهمة التي تطول سنين.

يقول محافظ أسوان الدكتور عزت سلامة من مكتبه المكيف في وسط المدينة: أسوان تعيش أيامها الزاهرة، فإضافة للسد لدينا مصنع السكر ومعامل الفوسفات ومصنع كيما للأسمدة الكيماوية وتعدين الحديد ومن المأمول فيه أن تتحول أسوان إلى بتسبرج الجمهورية العربية المتحدة، وسوف يكون لدينا مكان في المدارس لكل طفل ومعدل الأمية سينخفض إلى 45 %.

وأنا في طريق العودة إلى القاهرة في الطائرة، فكرت في أن الإنجاز الحقيقي لعبد الناصر هو زرع روح العزة والكرامة في نفوس المصريين، الذين عاشوا في ظل الحكم الأجنبي لما يربو على 5000 سنة. هل بإمكان عبد الناصر أن يوحد العرب كما وحد شعبه؟ هل سيتمكن شركاؤه الجدد، مواكبة تطلعاته أفضل مما فعل السوريون في فترة الوحدة القصيرة؟ وسيتعقد الأمر أكثر بإدخال العراقيين بمن فيهم من العناصر الكردية المنشقة. وهل سيقبل السوريون ودخلهم 157 دولار في الشهر، والعراقيون بما حباهم الله من نفط ودخل يبلغ 192 دولارًا شهريًا بالاشتراك مع المصريين بفقرهم النسبي؟ وهل سيقبل التجار السوريون المتنفذون الذين يتمتعون باقتصاد رأسمالي متطور باشتراكية عبد الناصر؟

يتشكك الكثير من الخبراء في ذلك، لكن عبد الناصر مصر على تكرار المحاولة. الولايات المتحدة لا يسعها إلا المراقبة والتعاطف رغم أن هذا المحاولة ستبقي الشرق الأوسط في حالة اشتعال لأنه لو أخفق عبد الناصر في تحقيق الاستقلال والحياد، فقد يظهر شخص آخر أكثر عنفًا لإكمال المهمة التي بدأها ناصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



فريق
متميزون
E-BOOK

اهتزاز أركان الشرق الأوسط: الهجوم الإسرائيلي

(مجلة لايف: ١٦ يونيو ١٩٦٧)

16 يونيو 1967

التوغل الإسرائيلي

قبل يومين من اندلاع القتال بين إسرائيل والعرب أبحرت المدمرات الروسية عبر مضيق البسفور في طريقها إلى البحر الأبيض. السفينة في الصورة أعلاه تحمل مدمرة من طراز كولتن وزنها 3900 طن. أما الصورة على اليسار فهي لمدمرة من طراز كاشن مجهزة بصواريخ سطح جو وأبراج ردار للتوجيه.

الحاملة الأمريكية إنتربيد في طريقها إلى فيتنام يوجهها جندي مصري بمفردة عبر قناة السويس التي تعبرها السفينة في 12 ساعة وذلك قبل اغلاقها من جانب جمال عبد الناصر. أما الصورة السفلية فتظهر البحارة وقد اعتلوا السفينة السوفيتية.

الحاملة أمريكا واحدة من الحاملتين في الأسطول السادس المتمركز في البحر الأبيض وهي تقترب من حاملة النفط للتزود بالوقود.

هجوم متزامن على جبهات أربع

هذا الهجوم لا يمكن وصفه إلا بالمروِّع، فقد أضحى الهجوم الذي اندلع في الشرق الأوسط ودام 60 ساعة حقيقة من حقائق التاريخ. تقلدت إسرائيل -بصغر حجمها- دور المنتصر على الدول المتاخمة لها، التي عقدت العزم على إبادتها. واكتسبت التحالفات في الشرق الأوسط وموازين القوة حتى الحدود السياسية شكلًا جديدًا، كأنما داهمها دمار كالذي ورد في الكتاب المقدس.

يندر في تاريخ الحروب أن يكون النصر بهذا التآزر أو الحسم أو هذه السرعة. أما السؤال الغامض عن من بدأ الحرب أو حول المواجهة إلى حرب، فالاتهامات والغضب ينهال من الجانبين، وقد لا نصل إلى المؤكدة. بيد أن القدر المتيقن أن الهجوم الإسرائيلي كان مباغتًا وحرم الخصوم من النصر حتى تنبه العالم إلى وقوع الحرب.

في الساعات الثلاث الأولى من الصراع تمكنت القاذفات الإسرائيلية من تدمير 25 قاعدة جوية في مصر وسوريا والأردن والعراق، وذلك قبل ساعة من الوقت المتوقع كما اعترفت الإذاعة المصرية بكل أسى. وتم تدمير 350 طائرة معظمها على الأرض.

في ذات الوقت تقدمت الألوية المدرعة الإسرائيلية والمشاه إلى شبه جزيرة سيناء (الخريطة على اليمين) في عملية عسكرية تدرس. إذ اكتسحت القوات الإسرائيلية عالية التدريب وبأسلحة متقدمة وقيادة مستنيرة واستخبارات دقيقة عن أماكن العدو شبه جزيرة سيناء الخالية تقريبًا من جيش ناصر. هذا الزحف الذي دام 3 أيام أرسل الإسرائيليين إلى ضفة القناة، ودمر قلاع شرم الشيخ التي كانت تحرس مضيق تيران الذي استخدمه ناصر في حجب السفن الإسرائيلية عن المرور في خليج العقبة. وفي الوقت ذاته استولت القوات الإسرائيلية على القدس الشرقية، ووسعت حدودها الشرقية إلى شواطئ نهر الأردن، وذلك بعد أن أطلق جيش الملك حسين النار من القطاع الأردني من مدينة القدس المقسمة.

مسار الحرب التي دامت يومًا واحدا كان بمثابة نكسة كارثية للاتحاد السوفيتي، الذي أمد مصر وسوريا بأسلحة تفوق المليون دولار، وشجعهما على اتخاذ مواقف متصلبة حيال إسرائيل والعرب. وأصبح لزامًا عليه أن يدرك أنه أعان الخاسرين. رغم أن البوارج الحربية الروسية كانت تجوب البحر الأبيض بالقرب من وحدات الأسطول السادس الأمريكي، فإنها لن تتدخل بشكل مباشر. وحين عرض النزاع على مجلس الأمن ارتضى الروس بإدانة العدوان الإسرائيلي، ووافقوا على الدعوة لوقف إطلاق النار ومطالبة إسرائيل بالانسحاب. تعالت الأصوات من القاهرة وعمان ودمشق بأن الطائرات الأمريكية والإسرائيلية اشتركت في العمليات العسكرية الإسرائيلية، وهذا ما أنكرته واشنطن ولندن واعتبرته العواصم العربية حقيقةً مسلمة استندوا إليها في قطع العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا. اللافت للنظر أن الاتحاد السوفيتي لم يردد هذا الاتهام، وهذا ما غاب عن العرب.

تتابع الأحداث كان نكسة أشد وطأة على جمال عبد الناصر الذي كان قد قطع على نفسه في لحظة ما وعدًا برمي إسرائيل في البحر وسرعان ما وافق على وقف إطلاق النار كما وافقت الأردن وبعدها سوريا. استقال عبد الناصر الذي قال في حديثه في الإذاعة والتليفزيون؛ إنه قرر التخلي تمامًا وإلى الأبد عن كل مهامه الرسمية، والعودة إلى صفوف الجماهير. لكن مجلس الأمة المصري رفض الاستقالة وطالبه بالبقاء في منصبه.

الاستيلاء على المدينة القديمة

استغرق الأمر 60 ساعة حتى تمكن الإسرائيليون من إعادة غزو مدينة القدس القديمة التي سيطر عليها الأردنيون منذ 1948. اكتسحت قوات المدفعية الإسرائيلية المواقع الأردنية في جبل الزيتون صباح يوم الإثنين، ودمرت النفاثات الإسرائيلية عشرات الدبابات المتأهبة للهجوم المضاد. وصبيحة يوم

الثلاثاء أطلقت المدفعية الإسرائيلية النار على المدينة القديمة ذاتها وتم رفع نجمة داود على متحف الآثار الفلسطيني، وغصت الشوارع بالدبابات الإسرائيلية.

بدأ الهجوم الأخير فجر الأربعاء حين قام الإسرائيليون بضرب المواقع الأردنية المطلة على القدس من جبل الزيتون، وجبل سكوبي، وأفاد جورج دو كارڤالو، مراسل جريدة لايف أن: "رتلًا مكونًا من 12 دبابة اقتحم طريق جبل الزيتون، ولم تعد هناك مقاومة وسرعان ما رفرفت نجمة داود على التل".

تدفقت الحافلات المملوءة بالجنود الإسرائيليين إلى جبل إسكوبس حيث لا يزال الأردنيون يحاربون في غابات الأرز المحيطة ببرج مستشفى أوجستا فكتوريا. ألقت 4 طائرات نفاثة إسرائيلية عبوات النابالم، واقتحمت 3 دبابات ورتل من المشاة المكان. أطلقت مركبتان أردنيتان نيرانًا متقطعة من حافة الغابة، لكنهما اختفيتا بعد الانفجار الذي تولد عن وابل نيران المدفعية الإسرائيلية التي نالت قسطًا طيبًا من التدريب.

اندفعت سرية مشاه إسرائيلية أخرى من وادي چوشوافات وحدث تراشق بالنيران ووقع بعض الجرحى جراء ثلاث طلقات من مدفعية الهاون الأردنية، وواصلت السرية الاندفاع نحو الغابة. خفتت طلقات البنادق الآلية الأردنية تباعًا ثم توقفت.

انتهت المعركة وبعدها بلحظات بسيطة عمت الإسرائيليين نشوة لا تدانيها نشوة إلا ما شعر به اليهود في أقدس أعيادهم في أيام المعبد الثاني الذي بناه سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد.

بعد حرب الـ60 ساعة أصدرت إسرائيل هذه الصور التي التقطتها الطائرات الإسرائيلية المغيرة التي أوضحت للعالم كيف تم حسم المعركة في المرحلة الأولى. تم تحطيم القاذفات الميج 21 سوفيتية الصنع (أعلى يمين) والمنشآت الأرضية في مطارات حربية مصرية قبل أن يتمكن العرب من التحليق بها. حققت إسرائيل الطلعة التي دامت ساعة بشنها الغارات قبل ساعة، مما توقعه المصريون، وتمكنوا بعد ذلك من خداع نظم الإنذار للعدو وذلك بالمرور من البحر الأبيض فوق الثغرات التي يعجز نظام الرادار عن تغطيتها، التي توصلت إليها المخابرات الإسرائيلية. العمليات الجوية بما فيها الضربات الإسرائيلية للمطارات الحربية السورية والأردنية والعراقية، كانت بمثابة الضمان للسيطرة الإسرائيلية على السماوات ومن ثم تحقيق الانتصار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

مولد أمة وجذور الكراهية

في الرابع عشر من مايو 1948 أعلن رئيس وزراء إسرائيل ديفيد بن جوريون في حضرة الحكومة عن إنشاء دولة إسرائيل وقال: «أرض إسرائيل هي مكان ميلاد الشعب اليهودي». الصورة التي تعلو بن جوريون لتيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية.

حد البريطانيون في فترة الانتداب من الهجرة اليهودية، لكن السفن هربت سرًا مزيدًا من اللاجئين اليهود من أوربا. وهنا يظهر جندي بريطاني يحرس المهاجرين في حيفا في أكتوبر 1947.

جذور الحرب التي جلبت النصر لإسرائيل وزعزعت أركان الشرق الأوسط تتمثل في النزاع على ملكية قطعة أرض لا تزيد على مساحة ماساتشوستس. يرى السواد الأعظم من اليهود أن دولة إسرائيل هي أرض كنعان المذكورة في الكتاب المقدس، التي وُعْدَ بها إبراهيم لتكون له إلى أبد الآبدين. يرى العرب أن إسرائيل وهم لا سند له فرضة الغرب كواقع على الأرض العربية-ثقافة دخيلة تمثل خطرًا دائمًا يتهدد الأخوة العربية المتصورة للدول العربية المتاخمة لإسرائيل.

حين اندلعت الحرب العالمية الأولى لم يكن في فلسطين سوى 90 ألف يهودي يعيشون بين العرب تحت الحكم التركي. طرد الإنجليز الأتراك في 1917، وبضغط من الصهاينة أعلنوا وطنًا لليهود في فلسطين، لكن لم يتحقق ذلك طيلة 26 عامًا مدة الانتداب البريطاني على فلسطين الذي منحته عصبة الأمم. فقد كانت بريطانيا مشغولة بتهدئة حرب العصابات بين العرب واليهود. بحلول عام 1947، تضخم عدد السكان اليهود إلى 600 ألف. ونهاية المطاف في فبراير 1947 وضعت بريطانيا القضية كلها في عهدة الأمم المتحدة التي قررت بعون من جانب الولايات المتحدة تقسيم فلسطين بين العرب والإسرائيليين. رفض العرب التقسيم، وحين أعلن ديفيد بن جوريون إسرائيل دولة يهودية مستقلة في مايو 1947 قامت 5 دول عربية بغزو الدولة الوليدة. استمرت الحرب حتى 7 يناير 1949 وانتهت بانتصار إسرائيل وطرد أكثر من 700 ألف عربي من ديارهم. كان الرائد جمال عبد الناصر من بين من جرح في الحرب وعاد كله مرارة على إسرائيل وعلى بلده التي كان يحكمها الملك فاروق الذي أرسل الجيش المصري إلى المعركة من وجهة نظر ناصر دون إعداد أو سلاح. قال ناصر: "لم أتماسك من البكاء فقد جلبنا الهزيمة على أنفسنا". في 1952 أطاح ناصر بالملك فاروق واستولي على السلطة في انقلاب عسكري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

السنوات العشر الأولى

ما إن انتهي الانتداب البريطاني في الرابع عشر من مايو 1948، حتى نشبت الحرب بين العرب وإسرائيل. في الصورة أعلاه انفجار يهز مبني إسرائيليًا في المدينة القديمة. تدفق فيلق عرب الضفة الغربية من جبل الزيتون وسيطر على المدينة وطرد مئات اليهود.

أما ما خلفته العداوة بين العرب وإسرائيل فهو أعداد اللاجئين العرب الذين يعيشون الآن في معسكرات كمعسكر الخليل والذي تسيطر علية إسرائيل الآن. يبلغ عددهم أكثر من 1.3 مليون لاجئ نصفهم تقريبًا يعيش في مخيمات في الأردن ليس بعيدًا عن الحدود الإسرائيلية

حربان ومليون لاجئ

حين تم تبادل القصف بين العرب وإسرائيل عام 1948، قام وسيط الأمن كونت فولكه برانادت، بترتيب وقف مؤقت لإطلاق النار. في الصورة على اليسار يظهر هو ومساعده رولف بنش، وهما يناقشان مواقع مراقبي الأمم المتحدة. وبعد أسبوعين اغتاله الإرهابيون في سيارته وخلفه رولف بنش.

في أبريل 1956 أقنع داج همر شولد، كلًا من مصر وإسرائيل بالموافقة على وقف الأعمال شبه العدائية على الحدود. في الصورة أعلاه التقى اللواء برنز رئيس فريق الأمم المتحدة، بناصر في القاهرة

خاض العرب والإسرائيليون الحرب مرة أخرى في أكتوبر 1956. هاجمت إسرائيل سيناء بعد شعورها بالقلق من البناء العسكري المصري، وإغلاق خليج العقبة. وقبل ثلاثة أشهر صادر ناصر القناة بعد تراجع أمريكا وبريطانيا عن تمويل السد. اشتركت القوات الفرنسية والبريطانية مع إسرائيل في الهجوم على مصر. عطل ناصر بعض السفن لإغلاق القناة (الصورة على اليسار وبها الحرائق في بورسعيد في الخلفية). توقف الهجوم نتيجة للضغط الأمريكي الروسي، غير أن الإسرائيليين انسحبوا بعد الحصول على تأكيدات بالحصول على مدخل لخليج العقبة

تدخلت الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وأرسلت قوات مشاه البحرية إلى بيروت (الصورة على اليسار) في يوليو 1958، بناءً على طلب الرئيس اللبناني، الذي كان يواجه تمردًا مدنيًا لاقتلاعه من الحكم. وكان الملك فيصل الثاني، الموالي للغرب، قد أطيح به من جانب ضباط الجيش بمساعدة ناصر. شعرت الولايات المتحدة بالقلق من أن يقتلع الملك حسين من الحكم.

وصلت قوات الأمم المتحدة إلى بورسعيد وإلى مدن مصرية أخرى للحفاظ على السلام عقب قبول فرنسا وبريطانيا وقف إطلاق النار الذي توصلت إليه الأمم المتحدة في السويس.

العداوات القديمة تفسد الوحدة العربية

كانت نبرة عبد الناصر عالية في الدفاع عن الوحدة العربية، إلا أن تطلعاته لرئاستها فككت العالم العربي، ففي مارس 1956، التقى الوفد السعودي لمناقشة تنفيذ التحالف العسكري. أما اليوم فهو والسعوديون على طرفي نقيض في اليمن.

تحول جمال عبد الناصر بشكل متزايد إلى روسيا للحصول على مساعدات منهم ترضيه. ونظرًا لحرصهم على الحصول على موطئ قدم، لبوا طلبه. حيث ساعدوه في بناء السد العالي، وأمدوه بالمعدات الحربية. وفي مايو 1964 خرج خرشوف وناصر في شوارع القاهرة، وسط هتافات الجماهير، وألقت فتاة نفسها على السيارة المكشوفة التي كانت تقلهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تحية للبطل المهزوم

(مجلة النيوزويك: ١١ سبتمبر ١٩٦٧)

11 سبتمبر 1967

لم يمض 90 يومًا على أسوأ كارثة حلت بالعالم العربي، ففي المواجهة المميتة بينه وبين إسرائيل، وتحديه لها فقد أكثر من 15 ألف عربي حياتهم، وتم تدمير معدات حربية بقيمة 2 بليون دولار، ووقع بعضها في أيدي الإسرائيليين، كما وقع أكثر من 26 ألف ميل مربع في أيدي العدو. ومع ذلك سار عبد الناصر في موكب يليق بأقوى المنتصرين في الخرطوم، تستقله سيارة رولزرايس حمراء، وطفقت الجموع تنادي على البطل المهزوم وتحييه. هتفت الجماهير بحياة عبد الناصر، وبعد دقائق حين مر الملك فيصل أندلعت الجماهير مرة أخرى تنادي بحياة عبد الناصر، وتحمل صوره في وجه الملك المرعوب.

أتى للخرطوم ناصر وحسين ملك الأردن وفيصل ملك السعودية

واضح جلي أن الهزيمة لم تنل من الحماس الذي يلهبه عبد الناصر في نفوس الجماهير العربية، كما أن خيبة الامل لم تطفئ البريق في عينه ولم تسلبه فصاحة اللسان التي تستفز الجماهير لمعارك خاسرة. غير أن عبد الناصر في الأسبوع الماضي في الخرطوم، في القمة التي حضرتها 13 دولة عربية كان له رأي آخر فهو لم يفكر في الجماهير أو المحافل العامة وإنما في المحادثات مع الرؤساء وكانت رسالته رسالة معتدلة تقوم على المصالحة العربية والواقعية مع إسرائيل.

بالنسبة للنقطة الأولى، أثبت عبد الناصر وبسرعة جديته. تورطت مصر والسعودية طيلة 5 سنوات في الحرب الأهلية اليمنية الضروس. وباتت الآن هذه الحرب في الظروف الصعبة التي تمر بها مصر عبئا كبيرًا عليها غير أن انعدام الثقة بين عبد الناصر وفيصل حال دون التوصل إلى هدنة بين الطرفين.

أخيرًا وبعد أسابيع من الدبلوماسية الصعبة، تمكن رئيس وزراء السودان الهمام من جمع الطرفين معًا في بيته في الخرطوم ذات مساء في الأسبوع الماضي، في إجتماع دام ساعتين خرج الجانبان على إثره ليعلنا توقف تقديم المساعدات إلى الطوائف المتصارعة في اليمن.

غير أن التسوية اليمنية، وهي الإنجاز الفريد للسودان لم تكن سوى حدث جانبي، وكان الأمر الرئيسي ما جرى خلف الأبواب المغلقة للفندق الحديث في الخرطوم، حيث تداول الرؤساء العرب في ما سيفعلونه مع إسرائيل. وكان ما أثار دهشة البعض أن ذلك النداء الحار المطالب بالاعتدال أتي على لسان جمال عبد الناصر نفسه.

خطة تيتو: أعلن عبد الناصر أنه لا مجال للاستسلام واستحالة استمرار الحرب. ما لم يكن كل العرب على استعداد للالتزام بتوفير المال الوفير والرجال فإنه قد آن الأوان للدخول في تسوية سياسية للصراع. ما نوع التسوية السياسية؟ رأى بعض المستمعين أنه بدأ يميل نحو الخطة التي روج لها المارشال تيتو في العواصم العربية في الشهر الماضي، التي تنص على انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل الخامس من يونيه قبل الحرب، بضمان الأمم المتحدة والقوى العظمى، في مقابل أن ينهي العرب حالة العداء مع إسرائيل (غير أنهم لا يعترفون بها دبلوماسيًا) والسماح لإسرائيل بالمرور من مضيق تيران وفتح قناة السويس أمام السفن التي تحمل البضائع الإسرائيلية، شريطة ألّا تحمل علمها.

رغم بيان ناصر المؤثر عن القضية العادلة الذي أيده فيها غريمه القديم الملك حسين، فإن غالبية المشاركين في قمة الخرطوم لم يبدوا استعدادا للتعهد بالموارد لمواصلة الحرب أو دعم الجهود لتحقيق السلام. وتجلى حينها كالعادة الانقسام العربى، المزمن والشك. رفض الوفد السوري حضور جلسات القمة وأفصح الرئيس الجزائري عن عدم رضاه ولم يحضر وأرسل محله وزير الخارجية عبد العزيز بو تفليقة. وفي نهاية المطاف توصل المؤتمرون إلى قرار متشدد على النحو التالي: إستئناف شحن البترول إلى العرب لبناء الاقتصادات العربية وتعويض ناصر عن إغلاق القناة؛ طرد كل القواعد الأجنبية، أمريكية وبريطانية وفرنسية، من الأرض العربية، ورفض أي تنازل لإسرائيل.

ضربة استباقية

غير أن الأكثر دهشة من المعارضة التي واجهها ناصر في الخرطوم، كانت المعارضة التي لقيها في مصر، حيث لم يتأثر كثيرًا الدعم الشعبي للنظام بسبب الهزيمة إلا أن سيطرته على ضباط الجيش قلت كثيرًا. تم تخفيض رتب أكثر من 700 ضابط ونقلهم أو فصلهم كما تم إلقاء جزء كبير من اللوم على قائد الجيش. والواقع أن ناصر وجد لزامًا عليه القيام بضربة استباقية للمنشقين قبل الذهاب إلى الخرطوم حتى لا يستغلون غيابه ويقلبون عليه. وذات ليلة دعا ناصر صديقه القديم والرئيس الأسبق للأركان المشير عبد الحكيم عامر إلى العشاء في منزله بالقاهرة، وقامت العربات المصفحة

والجنود بمداهمة منزل عامر، وإلقاء القبض على أنصاره الذين أواهم في منزله، وتم القبض على 150 ضابطًا بمن فيهم عامر ذاته وحددت إقامتهم.

ليس بجديد أو غريب أن تقع مناوشات من هذا القبيل بين العرب حتى لو كانوا 2 أو 3 سواء في الخرطوم أو القاهرة أو أي مكان آخر ذلك لأنهم أناس لهم ماضٍ تليد وأحلام عريضة في المستقبل، ولا يملكون في حاضرهم سوى الإحباط بمختلف ضروبه. يشعرون برغبة في الاتحاد ويرون أنهم غير متحدين، وهم مصرون على تحديث اقتصادهم ويدركون أنهم لم ينجحوا في ذلك. قالت لهم القوى العظمى، إن الشرق الأوسط مكان مؤثر في العالم إلا أن هذه القوى تهجرهم الآن. الأدهى من ذلك أنهم ينقمون على زرع دولة يهودية في وسطهم ويحسدونها على ما تحرزه من تقدم اقتصادي ويخشون تمددها في المستقبل، لأنهم يشعرون بالعجز عن منع هذا.

أعذار: بما أنه يشق على المرء أن يبتلع الكثير من الحبوب المرة دفعة واحدة، لا سيما أمام الناس، فإن العرب لجأوا إلى أساليب كثيرة للتستر على حزنهم. ومن ثم وجدوا الأعذار لهزائمهم المتكررة أمام إسرائيل ففي 1956 كان الغزو إنجليزيًا فرنسيًا وفي 1967 كان هناك غطاء جوي إنجليزي أمريكي. وحتى لو أنهم يكثرون من نقد الذات في الجلسات الخاصة فإنهم في العلن مغرمون بالحديث بلغة رنانة، وصور بليغة أبعد ما تكون عن الواقع. والمساومة متأصلة في طباعهم، فهم يبالغون في طلباتهم ويقللون مما يعرضونه على أمل الفوز بصفقة طيبة.

تجلت روح المساومة هذه في قمة الخرطوم العقيمة حسبما تبين ذلك لمعظم المراقبين الأجانب. فناصر بما قاله عن التسوية السياسية وخطة تيتو كان يدرك حتمًا استحالة قبول إسرائيل لهذه الخطة في وضعها الراهن. وحقيقة الأمر أن ناصر -في رأي الدبلوماسيين الغربيين- كان يهمه العلاقات العامة والميزة التي يتحصل عليها من إجبار إسرائيل على الرفض.

حساب التكلفة: ربما يكون تصرف ناصر في الخرطوم بمثابة البداية لمواجهة الحقيقة التي ستجبر العرب وإسرائيل على التزحزح عن المواقف المتطرفة التي اتخذوها. ففقدان دخل القناة وتوقف السياحة يكلفان مصر مليون دولار في اليوم ويتعين على ناصر اللجوء لأصدقائه الروس لصب أموال في شرايين الاقتصاد حتى لا ينهار، وليس واضحًا على الإطلاق إن كانت موسكو لديها الاستعداد لذلك.

قد يتعين على إسرائيل في نهاية المطاف أن تدفع بعض الفواتير الاجتماعية والمالية. فقد تؤدي تكاليف تنمية الأراضي المحتلة وإستيعاب أعداد كبيرة من العرب إلى زحزحة إسرائيل عن التمسك بالحدود الجديدة.

الواضح أنه لو قدر التوصل لتسوية، فإن الدافع سيأتي من داخل الشرق الأوسط وليس من القوى العظمى، كما كان الحال في 1956. فلا تحرص الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفيتي على ممارسة الضغط على أصدقائهما في الشرق الأوسط وليست لديهما القدرة على ذلك. ثمة درسان مهمان لحرب يونيه: فقد تعلم العرب أنهم لا يمكنهم أن يعتمدوا على أصدقائهم الروس وتعلم الإسرائيليون أنه لا حاجة للتعويل على أصدقائهم الأمريكيين. ومن ثم فإن كلا الطرفين لا يعبأ بآراء العالم الخارجي ولا يلقي لهم بالًا.

ليست ساحة للصراع

ما من شك في أن العالم اليوم لم يعد يعبأ كثيرًا بالشرق الأوسط، كما كان من قبل، فاحتياطيات النفط في المنطقة هي الأكبر في العالم، إلا أن هناك موارد بديلة وهناك الطاقة النووية. لا تزال قناة السويس ممرًا مائيًا مهمًا لكنه ليس بالضرورة حيويًا. والشرق الأوسط لم يعد من الناحية السياسية ساحة صراع بين السوفيت والأمريكان، كما كانت الحال في أوج الحرب الباردة. يصر الروس بوضوح على توسيع نطاق نفوذهم هناك، لكن ليس على حساب مواجهة مع الولايات المتحدة. وواشنطن لا ترى ذلك كارثة رغم عدم رضاها عن تزايد الوجود السوفيتي في المنطقة.

ما من شك في أن أجواء المساومة ستتسع بعد أن تركت شعوب الشرق الأوسط لحالها وستتخذ المواقف وتعلو الأصوات وتنطلق التهديدات من الجانبين. وقد يتم التوصل إلى تسويات جزئية من صفقات محدودة، كإعادة فتح القناة أو اتفاق منفصل عن مشكلة الضفة الغربية بين إسرائيل والأردن.

أي مساومات قصيرة الأجل -بصرف النظر عن عددها- لن تكون ضمانة للسلام في الشرق الأوسط. ولن يحل السلام إلا إذا تبددت مخاوف العرب وإسرائيل من أن الطرف الآخر لن يسعى إلى أن يطرده من أرضه. يقتنع كلا الطرفين بأن الوقت في صالحه، وتدفع إسرائيل أن كل تهديد يطلق يقرب العرب أكثر من إدراك الواقع وقبول ديمومة إسرائيل، ويثق العرب في أنه رغم النكسات التي يتعرضون لها فإن النصر حليفهم في نهاية المطاف، فأعدادهم تتضخم وقوتهم الصناعية تتزايد.

وأفضل الآمال أو ربما الأمل الوحيد في الشرق الأوسط هو أن يصدق حدس الطرفين وأنه بمرور الوقت سيدرك العرب أن كلامهم أجوف وأنهم حتى لو إمتلكوا القوة لسحق جارتهم الصغيرة فإنهم لن يقدموا على هذه الفعلة، لأنهم تغلبوا على مخاوفهم واحباطاتهم.

نظرة جديدة في القدس

في الأيام الستة الأولى من يونيه صبت الآلة الحربية الإسرائيلية جام غضبها على العالم العربي، وفي اليوم السابع حين وضعت إسرائيل سيفها في غمده، بدأت تدرك ما حققته من انتصار وشعر معظم الإسرائيليين بالغبطة بما شهدوه. للمرة الثالثة في أقل من عقدين تحول حلم العرب بتدمير إسرائيل إلى ضرب من الوهم، فالقوة البرية والجوية لمصر والأردن قد محيت، وتم استعادة القدس جوهرة التاج الإسرائيلي واحتلال الضفة الغربية الأردنية والجولان السوري وسيناء المصرية معناه أن جولة الحرب القادمة ستكون في الفناء الأمامي لأرض العرب. وبتعديل الحدود المتعرجة والملتوية يقل طول الحدود إلى أكثر من النصف ويتباهى رئيس الأركان إسحاق رابين، أن الجيش يحتاج إلى عدد أقل من حرس الحدود للمحافظة عليها.

اليوم، وبعد 3 أشهر يبدو الوضع مرضيًّا للغاية، فقد سرت مشاعر الأمن في البلد من الجليل إلى النجف وانتقلت إلى الوضع السياسي والدبلوماسي. ورغم ذلك يأمل الإسرائيليون في تحويل هذا النصر إلى سلام يتم التفاوض عليه مباشرة مع الدول العربية وحتى لو لم يتحقق ذلك فإنهم راضون عن بقاء الوضع على ما هو عليه. ويقول أحد الإسرائيليين: لقد حاربنا بمفردنا لتحقيق السلام والأمن وستحل علينا اللعنة لو سمحنا لأي أحد بتقويض ما حققناه.

السمة المميزة لهذه الدولة هي الخلافات الداخلية، وكان من أهم ثمار النصر تحقيق قدر من الوحدة الوطنية. فالتجمع الموسع الذي عقده رئيس الوزراء ليفي إشكول على عجل عشية الحرب لا يزال متماسكًا وفي استطلاع أخير تبين أن 90 % من الإسرائيليين يوافقون على السياسات التي اعتمدها أخيرًا مجلس الوزراء، وهذا الوئام الجديد مهد الطريق إلى أهم التطورات في التاريخ السياسي الإسرائيلي ألا وهو دمج حزب ليفي إشكول (ماباي) والحزب الاشتراكي الصغير المسمي أخدوت هافودا وحزب رافاي الصغير، الذي انفصل عن حزب ماباي على يد مؤسس الدولة بن جوريون منذ سنتين في نوبة غضب. في الأسبوع الماضي وافقت اللجنة المركزية لحزب ماباي على هذا الدمج، ومن المتوقع أن يحذو الحزبان الصغيران نفس الحذو وسيتمخض هذا على الفور عن حزب العمل الكبير الذي يسيطر على 59 مقعدًا من أصل 120 في الكنيست. على المدى البعيد ينطوي هذا الدمج على إمكانية التخلص من الائتلافات الحكومية التي جعلت الحلول الوسط عنصرًا من الحياة السياسية الإسرائيلية.

مولود في إسرائيل

هذا الدمج سوف يدفع إلى مقدمة الموكب اثنين لهما أفضل فرصة لخلافة ليفي إشكول، رئيس الوزراء البالغ من العمر 72 عامًا، حين يقرر التنحي وهما

وزير الدفاع موشي ديان وزير الدفاع البالغ من العمر 52 عامًا وهو من أعمدة حزب رافي، ووزير العمل إيجال ألون البالغ من العمر 49 عامًا ورئيس أشدودهافودا. ولد كلاهما في إسرائيل وتربى في مستوطنات الرواد التي تشكل بدايات تاريخ إسرائيل. كما أنهما أبطال حرب - فديان مهندس حملة سيناء في 1956، وألون -ذو الشعر الأصفر الخشن- من القادة العظام لحرب الاستقلال في 1948، الذي كنس القوات العربية من الجليل والنجف.

رغم أن ألون هو الأوفر حظًا فإنه لن يكون هناك اختلاف إذا وقع الاختيار على هذا أو ذاك، لأنهما يمثلان نفس الظاهرة في حياة إسرائيل، وبصعودهما سيحل جيل ولد وتربى في إسرائيل محل الصهاينة القادمين من أوربا الشرقية، الذين شكلوا مصير إسرائيل. وتأثير هذا الجيل -ولا سيما ألون وديان- وراء متانة الموقف الدبلوماسي الذي تتخذه إسرائيل الآن.

الغزوات

يتجلى هذا في أبهى صوره في موقفها من الغزوات الإسرائيلية الأخيرة. فكلاهما لا يفضل الضم الفوري للأراضي المحتلة ربما لأن نسبة المواليد العربية تتفوق بالضعف على المواليد الإسرائيلية ومن ثم ستزيد نسبة العرب على اليهود في إسرائيل في غضون 20 سنة.

إلا انهما يفضلان السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضي العربية في الضفة الغربية لنهر الأردن ويحبذ ديان الاحتفاظ بالضفة تحت الاحتلال العسكري إلى الأبد. أما ألون فيؤثر خطة أكثر تعقيدًا يبقي على الضفة بين فكين أمنيين العرب وإسرائيل على أن تبقى المنطقة الخصبة التي يقطنها 50 % من العرب منطقة عربية مرتبطة بالأردن او إسرائيل على أن يحيط بها على الجانبين شريط أمني ضيق من المستوطنين الإسرائيليين. وحين سئل لماذا يقبل الأردن والملك حسين ذلك؟ تجلت صلابته في القول بأن هذا ما يستطيعون الحصول عليه.

علاوة على ذلك، فهما ليس الوحيدين في هذا التشدد فليفي إشكول قد يكون فقط أقل حديثًا ولكنه أوضح أنه على العرب إذا قبلوا محادثات مباشرة مع إسرائيل أن يقدموا تنازلات في الأراضي. وأضاف في حديث لميشيل إلكنز، من صحيفة نيوزويك، أنه من الغباء التفكير في أننا سنضع ما قمنا باحتلاله من أرضي على طبق من فضه، ونقول تفضلوا باستعادته.

وعليه ليس من المحتمل أن يخضع الإسرائيليون للضغوط الخارجية للقوى العظمي (كما حدث في 1956) وينسحبوا، مقابل ضمانات غامضة غير قابلة للتنفيذ. وليس هناك من الرسميين الإسرائيليين من لا يلومك على التعجيل بطلب الحل السياسي في الشرق الأوسط. وقال لي أحدهم: لماذا العجلة

ولم يمض على الحرب سوى 3 شهور، وسوف تبدأ الجموع العربية في استيعاب الموقف. وحين يحدث ذلك سوف يهتز العالم العربي بمجموعة من الانقلابات العسكرية وتنبأ أحد الإسرائيليين أن تحدث أعمال شغب أو انقلاب بليل لا تسيل فيه الدماء، لكن المسئولين عن الهزيمة سيحاسبون. والنظرية تقول سيظهر قادة أقل جاذبية من أمثال ناصر الذين لا يزالون لهم صولجان في العالم العربي. والقادة الجدد سيكونون أكثر اهتمامًا بأوطانهم ومضطرين للتركيز على حل المشاكل المتفاقمة بعيدًا عن قضية فلسطين.

الثمن كاملًا

أن تدمع عيون إسرائيل أيًا كان المصير الذي يواجهه العرب، فهم مقتنعون أن السلام الحقيقي سيتحقق فقط حين يتم إكراه العرب على دفع الثمن كاملًا، لرغبتهم القديمة في الانتقام من إسرائيل. ومع ذلك وبالعكس تمامًا إسرائيل اليوم أكثر إدراكًا لماهية العالم العربي مما ذي قبل فجيل القادة المولود في إسرائيل أمثال ديان وألون الذين تمتد جذروها إلى الشرق الأوسط أكثر من امتدادها إلى أوربا، هم أكثر تعاطفًا مع العرب ولديهما رغبة أكبر بكثير في التوصل إلى وئام من الإسرائيليين القادمين من أوربا الشرقية أمثال بن جورين وإشكول.

وعلاوة على كل ذلك، يدرك الجيل المولود في إسرائيل أن عدم التوصل الى وئام دائم مع العرب سوف يؤدي على المدى الطويل إلى أن تكون نتيجة حرب الأيام الستة مجرد العودة إلى ذلك الوضع الذي دام 20 سنة بسلام مصطنع، حافظت عليه إسرائيل بقوة الردع التي زادت بلا شك عشر مرات، جراء الحرب والغزوات. وإن لزم الامر فلا شك في الدولة اليهودية التي عاشت في ظروف أكثر صعوبة بكثير تستطيع أن تتواءم مع الوضع الراهن. إذا ثبت ذلك فوضع إسرائيل لن يكون أسوأ من ذلك الوضع الذي اشتكي منه جريميه في القدس منذ 2500 سنة مضت. "السلام... السلام... حين ينعدم السلام".

لم تمض سويعات قليلة على الحرب بين اليهود والعرب حتى حدد وزير الدفاع موشي ديان الهدف منها، وذلك في تعليق لمحطة إسرائيلة وللعالم: "ليس لدينا أهداف لغزو الأراضي". وبعد 6 أيام من هذا الكلام، وجدت الحكومة الإسرائيلية نفسها مسيطرة على 26 ألف ميل من أراضي الدول الأعداء (وهو ما يساوي ثلثي مساحة إسرائيل) وبها 1.5 مليون عربي. يتحدث المسئولون الإسرائيليون عن احتلال طويل أو ربما دائم في غيبة السلام. قام كبير محرري مجلة نيوزويك أرنولد دو بورشجريس بزيارة موسعة "للأراضي المحررة" بهدف تقويم البرنامج الإسرائيلي للتصدي لهذه المشكلات الجديدة وكتب التقرير التالي: بدت القرى مهجورة تمامًا في مرتفعات الجولان وكانت

العشش الطينة التي اعتصرتها الشمس بها أقواس النصر التي كانت بمثابة البوابات لمعسكرات الجيش السوري وعلقت الملابس المغسولة منذ 3 أشهر على الحبال في الفناء الخلفي. تسلق الأطفال الإسرائيليون على المخلفات المحروقة للأسلحة السورية في حين التقط الآباء صورًا لأنفسهم مع دبابة روسية مدمرة. قبل 5 يونيه عاش هنا 90 ألف عربي في هذا الجزء السوري الذي سقط في أيدي إسرائيل. والأن لم يتبقي منهم سوى 10 آلاف.

استقبلني سليمان كانج أحد القادة الدروز البالغ من العمر 46 عامًا لقرية مجدل شمس التي بنيت على طراز المسرح الروماني في أسفل جبل الشيخ الذي تكسوه الثلوج. في البداية أحجم السيد سليمان كانج عن توجيه النقد للإدارة الإسرائيلية، لكن أقر بأن لديه شكوى من أن الإسرائيليين لا يشترون ما يكفي منهم من الفاكهة، وأن ثمار التفاح والكمثري والخوخ فسدت على الأشجار وهذا ما إعترض عليه الحاكم العسكري الإسرائيلي الذي يعمل في الأصل محاسبًا في الحياة المدنية وأكد أن كانج يكذب ويستفيد من الوضع الجديد لمصلحته الشخصية. وهذه القصة لا تتغير في الأراضي المحتلة. وعلى الجانب الآخر يبذل الإسرائيليون جهدا صادقًا وإن كان محدودًا ليثبتوا للعرب أن الشعبين يمكن أن يعيشا معًا كأصدقاء. أما العرب فيضمرون استياءًا عميقًا من الاحتلال وإن كان مخفيًا إلى حد كبير.

سيطرة غير مباشرة

بإمكانك أن تقطع رحلتك بين إسرائيل والضفة الغربية لأميال دون أن تري جنديًا إسرائيليًا واحدًا. استطاعت إسرائيل أن تقصر إدارتها للأراضي المحتلة على أنشطة الحكم غير المباشر فهي تدفع المرتبات للموظفين العرب وتقرض الهيئات البلدية وتنظم ما يرسله العاملون في الخارج وتتغاضى الشاحنات التي تحمل المنتجات الزراعية المتجه ليلًا إلى عمان عبر نهر الأردن.

رغم كل هذا التقدم البادي فإن واحدًا من كل خمسة من الضفة لا يجد عملًا، والتضخم لا ينذر بالخير والسخط عام فكل من تحدثت معه من أهل نابلس التي أضحت عاصمة الضفة بعد ضم القدس لديه ما يحكيه عن وحشية الإسرائيليين. وفي مدينة أريحا وهي واحة في الصحراء اصطحبني أحد الفلسطينيين إلى متجر في شارع خلفي، وجلس يحكي لي بإنجليزية فصيحة عن الكراهية المعتادة للصهيونية، وفي هذه الأثناء هجمت علينا دورية إسرائيلية، وألقت القبض عليه بتهمة الانضمام إلى منظمة فتح الإرهابية.

وبعد ميلين من أريحا، لمحت لاجئين أردنيين عائدين إلى الضفة مرورًا بجسر اللمبي. أكثرهم يرتدي ملابس قديمة مهلهلة، وبعضهم يلبس بدلًا رثة. وقام

فلاح من بينهم بإعطاء زجاجة بلاستيكية صفراء لأولاده السبعة ليشربوا منها.

لاقت زوجته حتفها في القصف الذي تعرضت له الخليل وقال إنه يبحث عن زوجة، جديدة والمهر الآن 250 دولارًا، فأنيَّ له أن يكسب هذا المبلغ؟

والقصة ذاتها إلى حد كبير في الجبهة الجنوبية: سيناء وقطاع غزة. ويقول العقيد مردخاي جور البالغ من العمر 37 عامًا والمنتفخ بالثقة ومحرر القدس وحاكم غزة وسيناء الآن يقول: إن فرص العمل متاحة لمن أراد أن يعمل. وكان الجيش المصري قد فرض حظر تجوال من المغرب للفجر على سكان القطاع البالغ عددهم ربع مليون نسمة طيلة 19 عامًا. أما إسرائيل فقد فرضت حظرًا من التاسعة مساءً حتى الرابعة فجرًا، سيتم رفعه في القريب العاجل.

المقاومة الخفية

ترفض الغالبية العظمى من سكان غزة التعاون مع إسرائيل خشية أن تلصق بهم تهمة التواطؤ. وما إن فتحت مدينة العريش شواطئها للسياحة الإسرائيلية، حتى أغلق السكان المحلات التجارية ووضعوا متاريس عليها العلم المصري ونثروا المسامير في الشوارع. قام الإسرائيليون بمواجهة هذه المقاومة بشدة أينما ظهرت، وهدموا 4 منازل في القدس، لأنها كانت تأوي القناصة. وسرعان ما أدركوا أن الاحتلال الخارجي لا يحظي بالشعبية حتى وإن تحلي بالرأفة وأن مشاكل الاحتلال لا تختلف في العالم اجمع.

واقع الأمر، أن القلق موجود لدى الكثير من الأوساط من أن تصبح الأراضي المحتلة، لا سيما الضفة الغربية جيب مقاومة على الطريقة الجزائرية، حيث يقوم قادة العصابات العسكرية الجزائرية بتدريب الإرهابيين العرب في مدرستين في سوريا، وهؤلاء مختبئون الآن ليتغلغلوا من الضفة الغربية عبر نهر الأردن. وهناك 1000 من القوات العربية لا يعرف لهم مكان مختبئون بأسلحتهم بين المدنيين العرب أو في كهوف الخليل الجبلية وهذا خطر لا يستهان به في القدس. وكما قال لي أحد الإسرائيليين مواجهة هذه المشاكل في الضفة أو غزة أفضل من مواجهة الكيبوتسات الحدودية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الفترة المضنية لرئاسة ناصر لمصر

(مجلة التايم: ١٦ مايو ١٩٦٩)

16 مايو 1969

بدأ لهيب الصيف يثقل على القاهرة وبقية مصر التي يحكمها جمال عبد الناصر، بدأت شرطة المدينة تخلع الملابس الشتوية السوداء وترتدي الزي الأبيض، وأينعت زهور الجاكارندا بلونها القرمزي اليانع في ضاحية مصر الجديدة أو ما تبقى من جمالها وروعتها ولاحت في الأفق قمم أهرامات الجيزة الثلاثة وتهادت الفلوكة على سطح النيل الناعم كعادتها من قرون ولفت الصقور في السماء هادئة مطمئنة وتهادى المصريون الذين يرتدون الجلباب ووئدت خطاهم.

رغم أن إيقاع القاهرة العتيق لم يتغير، ولن يتغير فإن المدينة في واقع الأمر عاصمة في حرب تدور رحاها على بعد 100 كم في قناة السويس.

وتتجلى الحرب في أجواء الإهمال والفقر والإنهاك المخيمة على سماء المدينة، وفي الاستعدادات لمواجهة الهجمات حيث أقيمت حوائط الصد من الطوب الأحمر على مداخل العمارات كما تم وضع أكياس الرمل بكثافة على مداخل المباني العامة ودهنت فوانيس السيارات وزجاج النوافذ باللون الأزرق للتمويه، وهو اللون الذي كان يستخدم لدرء الحسد والعين الشريرة.

وتم تعتيم بعض الشوارع. ووقف الجنود في ظل كباري النيل، كما وقفوا لحراسة مطار القاهرة ومحطة السكة الحديد وميادين القاهرة المترامية الأطراف. وباغت صوت الطائرت المدينة وهز نوافذها بسبب التدريب على المهام الاعتراضية، وجاءت أصوات المدافع وارتسمت عوادم المدفعية المضادة للطائرات بأشكال مختلفة في السماء.

لم تمض إلا 3 أسابيع على ذكرى يوم، تُفضِّل القاهرة وبقية العالم العربي نسيانه، ألا وهو 5 يونيه، والذكرة الثانية لحرب الأيام الستة التي أذاقتهم فيها إسرائيل مرار الهزيمة وباتت مصر منقوصة، ومرارة الهزيمة في فم شعبها، وأمست سيناء وغزة في يد الإسرائيليين الغزاة الذين توطدت أقدامهم على الشاطئ الشرقي لقناة السويس.

مفتاح العالم العربي

نزل الاحتلال نارًا تحرق الروح العربية وأورثت العرب الكراهية والريبة والإحباط. وبات وجود الإسرائيليين على قناة السويس يذكر دومًا بتفوق

عدوهم وهذا ما لا يستطيعون سماعه كما يذكرهم بالدونية المتواصلة والعجز رغم كثرتهم وطائراتهم ودباباتهم وأسلحتهم ومواردهم. وأفضى كل هذا إلى اقتناع في مصر متزايد لا مناص منه، أن الوضع الراهن المتكلس في الشرق الأوسط لا تنهيه إلا حرب أخرى، حتى لو كان معظم المصريين لا يرغبون فيها وحتى لو كانت الحرب الأخرى هذه ستنتهي في أغلب الاحوال بهزيمة ثانية.

جمال عبد الناصر هو الرجل الذي يقع على عاتقه استعادة الكبرياء المهدور، والاعتداد بالنفس بإستعادة الأرض المفقودة. قد يصدق فيما أكد عليه من أن السوريين هم الذين دفعوه دفعًا للمواجهة مع إسرائيل في 1967، لكن هو الذي قلد نفسه قائدًا لكل العرب، ودفع بمصر والأردن والعراق في أتون الحرب، وتكبد بلده أكبر خسارة في الرجال والسلاح والأرض والعرض. ناصر اليوم هو من تتطلع إليه الغالبية العظمى من العرب، لاستعادة الأرض التي تحتلها إسرائيل كما أنه الوحيد من بين الحكام العرب الذي بمقدوره صنع السلام مع الإحتفاظ بوضعه السياسي، إذا حظي بشروط مقبولة.

لم يعد العرب يعتبرون جمال عبد الناصر صلاح الدين الجديد، إلا أنه أشهر قائد وأكثر احترامًا، ويسمع له كل القادة الآخرين. بعبارة أخرى هو المفتاح للعالم العربي اليوم، ومن ثم المفتاح للسلام. فهو لا يزال تجسيدا للحلم العربي القديم لأمة عربية أو لوحدة كل الدول العربية، وهو البطل الذي خلصها من السيطرة الأجنبية. وهو علاوة على كل هذا من يتعين على إسرائيل والغرب التعامل معه للبحث عن تسوية في الشرق الأوسط.

البحث عن حل

البحث عن هذه التسوية يتم في هذه الآونة بعيدًا عن خطوط إطلاق النار في الصحراء. إذ يجتمع في الأمم المتحدة في نيويورك سفراء الولايات المتحدة وروسيا وإنجلترا وفرنسا في محادثات دبلوماسية تركز على الشرق الأوسط ليومهم السادس. وفي هذه الأثناء يجتمع الأمريكيون والروس في واشنطن، لإجراء محادثات عاليه المستوى للتداول في شكل تسوية محتملة للوضع. فالولايات المتحدة باعتبارها الدولة الحامية لإسرائيل بل والممثلة لها في المحادثات تسعى لكي تحصل لها على أفضل ضمانات السلام التي تتطلبها الدولة الفتية في مقابل التخلي عن الأرض التي اقتنصتها في الحرب. أما السوفيت فإنهم في أفضل الأحوال يرغبون في استعادة ما فقده العرب عسكريًا بالوسائل الدبلوماسية.

رغم أن كليهما يتعرض لضغط شديد من طرفي الصراع بعدم التخلي عن شبر واحدٍ، فإنهما يدركان أن إسرائيل والعرب سيضطران إلى تقديم تنازلات. لكن أخشى ما نخشاه أن العشرين شهرًا التي انتظرتها الولايات المتحدة

وإسرائيل، لكي يسعى العرب إلى السلام قد أفضت إلى انحسار فرص السلام وتزايد الكراهية والثأر.

انهمار طلقات المدفعية من الجانبين كل يوم يفضي في أي جزء من العالم إلى تسيير الجيوش وإعلان الحرب. فقد تم تبادل الطلقات المدفعية عبر القناة في 33 يومًا من الـ 36 يوميًّا الماضية، وطيلة الأسبوع الماضي. وللمرة الأولى وجهت إسرائيل نيران مدفعيتها إلى مدينة بورسعيد التي هُجِّر أهلها. وقتل المصريون 7 جنود إسرائيليين ومدنيين من سائقي البلدوزر. وفي الجبهة الشرقية لإسرائيل تجد مدافع السويس صدي يوميًا لها من المدفعية والدبابات والبنادق عبر نهر الأردن.

وجوًّا تقوم الطائرات النفاثة الإسرائيلية بإلقاء الصواريخ والقنابل والنابالم على المدن العربية والمعسكرات الأردنية التي يشتبه في أنها تأوي الفدائيين. وهؤلاء الفدائيون لا يخشون العبور المتكرر إلى إسرائيل لنصب كمين لدورية إسرائيلة، أو زرع لغم أو وضع متفجرات بلاستيكية في السوق. وعلى الجانب الآخر تعبر قوات الكوماندوز الإسرائيلية لشن غارات انتقامية على قواعد الفدائيين وتمركزهم.

بعد حرب الأيام الستة، قام الروس بتدريب وتسليح جيش ناصر. فالطائرات ميج 17 وميج 19 التي دمرها سلاح الجو الإسرائيلي وهي على الأرض تم استبدالها أو تدعيمها بطائرات ميج 21، الأسرع من الصوت ومعظمها الآن مشمول بحماية من الخرسانة المسلحة. وتشير التقديرات إلى أن مصر بحوزتها 400 طائرة حربية، في حين تمتلك إسرائيل 350. ولدى مصر 800 دبابة في مقابل 1100 لدى إسرائيل. في الأشهر الـ 16 الأخيرة، يقوم الخبراء الروس بتدريب المصريين على استخدام المعدات الجديدة وأخلص الروس في المهمة حتى إنهم يوفرون كتيبات التدريب باللغة الإنجليزية على استعمال الأسلحة الروسية.

قال أحد الضباط المصريين، الذي يتسم بالواقعية في الأسبوع الماضي: إن قناة السويس رغم الزيادة العددية للجيش المصري تبدو كالمحيط الأطلسي ويرى الخبراء أن ناصر لا يستطيع أن يعبر القناة بأكثر من سرية واحدة وستتم إبادتها عن بكرة أبيها. والسبب في ذلك أن حرص الروس على تجنب جولة رابعة من الحرب جعلهم لا يمدون ناصر بأسلحة هجومية كالناقلات البرمائية وحاملات الجنود المدرعة والشاحنات رباعية الدفع اللازمة للدخول إلى سيناء. وأكد الروس على الشعور بالقلق من أن تخرج معارك المدفعية عن نطاق السيطرة وأرسلوا في الأسبوع الماضي مذكرة إلى القاهرة بضرورة الإلتزام الصارم بوقف إطلاق النار.

رغم الحذر الروسي الذي له ما يبرره، ورغم ما اعترف به ناصر سرًّا من أن أي هجوم عبر القناة سيكون بمثابة عمل انتحارى فإنه واصل زيادة مستوى العنف إلى درجة قد تجعل التراجع صعب المنال. فبعد ما لاقاه من قبل الجنود من برود بل سخف غير مسبوق في زيارته للجبهة في فبراير على جبهة السويس، ورغبتهم في معرفة متى سيحاربون سمح لهم ناصر بتكثيف إطلاق المدفعية على الإسرائيليين بما يرفع من الروح المعنوية للجنود، وهذا ما حدث. لكن تزايد الطلب على القتال، ومن ثم أرسل ناصر قوات الكوماندوز المصرية لشن هجمات عبر القناة.

نتج عن هذا التصعيد حديث أهل القاهرة عن حتمية الحرب الشاملة الوشيكة. وأكدوا أنه لن تكون هناك مباغتة في الحرب القادمة، لأن إسرائيل وصلت إلى أقصي حدودها على الجبهات، وهذا ما تخطط مصر للاستفادة منه في حملتها الدعائية داخل مصر، على حد قول ناصر. حرب الاستنزاف مفهوم دفاعي تاريخي روسي لم يفكر فيه عبد الناصر، كما أوضح محمد حسنين هيكل، وقال لو أنهم أقدموا على احتلال القاهرة أو دمشق أو عمان، وأدعو الله أن يفعلوا ذلك، ويحتلوهم جمييعًا، فإنهم سيستوعبون. فهم الآن مشدودون على آخرهم. والجولة الرابعة ستكون ست سنوات ليس ستة أيام، ولن يكون فيها منتصر ولن يتحقق لهم نصر بين لأنه من سابع المستحيلات.

لا مفر أمام ناصر من أن يواصل الحديث عن الحرب وينخرط فيها ضد إسرائيل كي يحافظ على ثقة المتحمسين العرب، والأهم على ثقة جيشه. وقد لا يبقى في مكانه لو خاض جولة رابعة وخسرها. وهو لم يعُد عبد الحكيم عامر يشاركه في السلطة، بعد أن مات منتحرًا - كما ادعت الحكومة بعد حرب 1967، ولن يجد ناصر من يحمله المسئولية عن هزيمة الجيش. فهو شخصيًا مسئول عن الجيش المصري ويعتلي السلطة فيه وليس هناك كبش فداء يحمل عنه المسئولية.

مقابلة صحفية مع ناصر

قام رئيس تحرير مجلة التايم، هيدليدونوڤان، والمحرر الإداري لنفس المجلة هنري أناتوليجرانولد، بمقابلة صحفية مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر وذلك في بيته المتواضع في منشأة البكري. كانت العصافير تزقزق في الحديقة، حين هل علينا في الغرفة جمال عبد الناصر بوجهه البرونزي ورشاقته وهو يرتدي قميصًا رياضيًا أبيض وبنطالًا بنيًّا. تحدث إلينا بصوت خفيض وكان يضحك كالطفل ويضرب فخده بكفه حين يملؤه الانبساط. وكالعادة يبدو أكثر تحفظًا مع الأجانب عن أسلوبه في إثارة الجماهير العربية. عرض ناصر أفكارًا جديدة عن نزع السلاح من شبه جزيرة سيناء، ومعاهدة

لعدم الاعتداء مع إسرائيل والاعتراف بها، وكذلك مقتطفات عن موضوعات قديمة. فيما يلي بعض الأسئلة الموجهة إليه وردوده عليها:

- ما آفاق تسوية في الشرق الأوسط؟

انقضى عامان تقريبًا على احتلال سيناء، ولا يزال الاحتلال قائمًا. وافقنا على حل سلمي تنفيذًا لقرار مجلس الأمن في 1967، وحتى الآن لما تقبل إسرائيل هذا القرار وتقول إنها لن تترك الأرض المحتلة حتى نجلس معها ونتحدث عن السلام ولكننا نرفض الجلوس معها، لأن القرار لا ينص على ذلك. فلو جلسنا الآن سنجلس كشعب مهزوم يستسلم. وهذا ما لن نفعله.

- هل أنت راضٍ عن أدائك العسكري على طول خط القناة؟

نعم يطالبنا الإسرائيليون باحترام قرار وقف إطلاق النار ولكنهم لا يحترمون القرار الخاص بالإنسحاب. لو أن جزءًا كبيرًا من أرضك محتل فليس بالإمكان انتظار من يحن عليك بالانسحاب، وإن كان الشعب يطالبنا بتحرير سيناء. ضرباتنا المدفعية هي إيذان بالتحرير لأن من حقنا بل من واجبنا تحرير الأرض المحتلة.

- لو تم إقناع إسرائيل بالانسحاب من الأراضي المحتلة، فما تصورك للخطوة التالية؟

ستحسم المشكلة لو وافقت إسرائيل على نقطتين مهمتين، وهما الانسحاب من كل الأراضي المحتلة وإتاحة الخيار للشعب الفلسطيني للعودة إلى ديارهم.

- هل بالإمكان وجود نوع من الاحتلال الدولي مثلًا من قوات الأمم المتحدة ريثما تستكمل المفاوضات؟

لا. لن نقبل احتلال دولي لسيناء.

- ولو حتى خطوة مرحلية نحو الحل؟

إسرائيل تود أن تنزع السلاح من سيناء. قد نوافق على هذا الوضع تحت إشراف مجلس الأمن والدكتور جوناريرانج أو شيء من هذا القبيل لفترة مؤقتة. لكن لن نقبل نزع دائم للسلاح.

- هل تصورتم التفاوض على تعديلات في الأراضي في سيناء؟

الأمر غير مطروح للنقاش. هذه الحدود قائمة منذ مئات السنين.

- ماذا عن الأردن؟

هذا ما يقرره الأردنيون.

- وسوريا؟

لم ترد في القرار إشارة إلى تعديل الحدود، ولو أقدمنا على هذا فسنخرج عنه، وهذا ليس بمقدورنا.

- لو أنجز حل على نحو ما، هل توقع على اتفاق بعدم الاعتداء مع إسرائيل؟

سنفكر في هذا الأمر حين يتم إيجاد حل لكل المشكلات.

- هل هناك مشكلة في حرية الملاحة في قناة السويس لو سويت كل الأمور؟

لن تكون القناة مشكلة.

- لو تم الانسحاب ووجدت تسوية دائمة، فهل أنت على استعداد لقبول وجود إسرائيل؟

سأقبل حقيقة إسرائيل وسيقبلها شعبي إذا تم التوصل إلى تسوية إنسانية. سمها إسرائيل. سمها ما تشاء. وساعترف بها.

- هل توافق على تدويل القدس؟

القدس مدينة مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود. لا ينبغي أن يحرم أحدٌ من حقوقه الدينية. التدويل سيمكن اليهود، وهم أكثر تنظيمًا وغنًى في العالم من استغلالنا. نؤثر الانسحاب الكامل من القدس العربية. لأنه من دون ذلك لن يكون سلام. لم نخطط للحرب في 1967، لكن علينا الآن أن نخطط لها إن تعثرت الأمور.

- تتزايد الآراء في الولايات المتحدة بأننا منخرطون أكثر من اللازم في أصقاع كثيرة في العالم، ما شعورك لو أن الولايات المتحدة أضحت أقل اهتمامًا بهذه المنطقة؟

عقب الحرب العالمية الثانية إعتبرت الولايات المتحدة قوة عظمى عادلة لا تأخذ صف أحد وكنت فخورًا بها، لكن خاب أملي كثيرًا منذ ذلك الحين لأنها كانت عضد الرجعيين في الشرق الأوسط وضد العناصر التقدمية. أفضل حل للولايات المتحدة ليس الانسحاب بل أن تكون أكثر إنصافًا. ونؤكد لها أننا لن نكون شيوعيين ولن نتأثر بأحد. ويستحيل عليها أن لا تكون حريصة على الشرق الأوسط، فلديكم مصالح هنا لن تتمكنوا من الفكاك منها. الشرق الأوسط يهم كثيرًا الولايات المتحدة وروسيا.

- أيهما أفضل الولايات المتحدة أم الاتحاد السوفيتي؟

لا أفضل هذا ولا ذاك، لكن القرار ليس قراري. الاتحاد السوفيتي تربطنا به صداقة كبيرة من سنوات.

- وماذا عن الصين؟

الصين ليست منخرطة في المنطقة انخراطًا مباشرًا، ولدينا معا تفاهم، وهم يقولون إنني أرتمي في أحضان السوفيت.

- ما الحالة المعنوية على الصعيدين المدني والعسكري؟

نحن ضد تزايد الروح المعنوية لأنها تجعل الشعب يضغط من أجل الحرب، وقد لا يكون هذا من الحكمة ونغمة الحل السلمي من جانبي لا تحظى بشعبية في هذا البلد وهذه وعكة بالنسبة لنا. قلت للناس نحن في غني عن المغامرات، ولا ينبغي أن نتحرك ضد إرادتنا ولا بداعي الإحباط من حرب 1967.

وهذا لا يكسبني شعبية، فأحد أبنائي سيغادر المنزل ويلتحق بالقوات المسلحة عقب الحرب.

- قيل بعد حرب 1967؛ أن المؤسسة العسكرية تضللك إعلاميًا. فهل أنت على ثقة أنك تحصل على المعلومات الصحيحة عمّا لديك من قدرات الآن؟

قبل حرب 1967، لم أكن أدير الأمور العسكرية أمًا الآن فأنا أتعامل معها بشكل مباشر وأنا على ثقة أنني لا أُضلل.

- إذا نشبت حرب أخرى وانتصرت فيها، ما الشروط التي ستفرضها على إسرائيل؟

إن هذا أشبه ببيع فروة الدب قبل قتله. وهذا ما يصعب الحديث فيه. إن خطرت لي أفكار فسأنقلها إليك خطيًا.

قيادة العرب من المهام الأكثر سيولة في هذا العالم. ويقول ناصر: إن الرئاسة منصب موجع في الظروف الحالية. فحتي زوجتي تعارض استمراري في المنصب، فحياتنا ليست طبيعية إذ نعيش في قلق دائم طيلة 17 سنة. فقد تلقى ناصر في أسبوع الملك حسين ليطلعه على نتائج زيارته لواشنطن، ورحب بوزير دفاع دولة الكويت الشيخ سعد عبد الله سالم، لمناقشة التعاون العسكري على الجبهة الشرقية والتقى الرئيس السوري نور الدين الأتاسي ووزير الدفاع حافظ الأسد، ووجه نداء شخصيًّا إلى قائد الفدائيين ياسر عرفات للتدخل في النزاع القائم بين قواته والحكومة في لبنان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

النجاة والصمود

لم يعد يبدو على عبد الناصر، وهو في سن 51 ملامح أسود أيامه، عقب حرب يونيه، إذ تعافى وبرئ من مشاكل الدورة الدموية حسب قول الأطباء الروس الذين منعوه من التدخين. وعاود لعب التنس وتنس الطاولة وبدأ يقرأ العهد القديم للتعرف على العقلية الإسرائيلية، كما قال لأصدقائه. وامتلأت حجرة معيشته في منزله في منشية البكري بصور قادة العالم الذين خرج معظمهم من المنصب من سوكارنو إلى ليندن جونسون.

يشبه جمال عبد الناصر نفسه بونستون تشرشيل، في الحرب العالمية الثانية وهو يدرك تمام الإدراك مكانته هو في التاريخ. وأعلن أنه، على الأقل حتى الآن، لن يكتب عنه التاريخ أنه القائد العربي الذي صنع السلام مع إسرائيل. ولم يبد طيلة سنتين سوى الصمود بصرف النظر عن العقبات. وارتبط هذا في ذهنه وكلامه بالردع والتحرير - تحرير الأرض وقال: "نحن الآن في مرحلة التصدي.

حين تقلد ناصر السلطة في 1952، كان يصر على أن أي حرب جديدة مع إسرائيل سوف تخرجنا عن المسار الأهم ألا وهو رفع مستوى معيشة الشعب. ونعي أن قيمة الجاموسة في مصر أعلى من قيمة الفرد، بمعنى أنك تستأجر الجاموسة بمبلغ يزيد على أجر الفلاح اليومي حتى وإن كان هذا الأجر قد شهد زيادة في الفترة الأخيرة (58 سنتًا الفرد و69 سنتًا للجاموسة). في ظل الاشتراكية الناصرية لم يعد الفلاح تحت رحمة الباشا وإنما وقع ضحية فساد الإدارة التي عينتها ثورة ناصر، التي بدأت بآمال عريضة ثم ما لبثت أن تلاشت كما حال كل شيء في مصر، الذي تعبر عنه كلمة (معلهش) التي على كل لسان.

خطر إسرائيل بعيد كل البعد عن تفكير الفلاحين، الذين يمثلون أكثر من نصف الشعب المصري، الذي لا أمل أيضًا في تحسين أسلوب حياتهم العتيق أو التخلص من سخرة العمل في الأرض من طلوع الشمس إلى غروبها. أهل القاهرة يرون الحرب كل يوم في مدينتهم التي فقدت رونقها وفي خواء صالات المطار وخلو الموسكي حيث يزيد عدد الحمير على عدد السياح، وفي الندرة المستمرة البضائع. لقد تحمل المواطنون منذ 4 سنوات منع بيع اللحوم ثلاثة أيام متتالية في الأسبوع، وعدم وجود سلع الرفاهية للحفاظ على العملة الصعبة للأساسيات. لا يمكن الحصول على الويسكي إلا في الفنادق السياحية كما يصعب شراء مستحضرات التجميل. السواح قد يحصلون على ثمن كبير

لملابسهم إذا رغبوا في بيعها، لأنها ليست مصنوعة في مصر، لأن المستورد يضفي مكانة على الشخص الحائز عليه.

قال أحد باعة الموسكي: إن نشبت الحرب فليكن، فليس في مقدوري سوى أن أحمي نفسي وأسرتي ومصدر رزقي من القصف وهذا على ما يبدو دأب كل القاهريين الذين يحيون بما لديهم ويطوعون أنفسهم على ذلك. السير في مرور القاهرة أصعب من عبور غابة كثيفة والشوارع تغص بالعابسين الذين يرتدون بدلًا مكرمشة. انعدام الأمن والمرارة وشيوع الإحباط والغضب قد تكون في بلد آخر أسبابًا للثورة. قوات شرطة ناصر ترقب الشعب مراقبة لصيقة وهم لا يعبأون بالسياسة ولا بالحرب وبطبيعة الحال لا تهم رمال سيناء الخاوية.

سوء الإدارة البيروقراطية

ربما أضر البيروقراطيون في مصر اقتصادها أكثر مما أضرته إسرائيل. تتلقى مصر بسبب إغلاق قناة السويس تعويضًا يبلغ 266 مليون دولار في السنة، من الدول الغنية بالنفط؛ السعودية والكويت وليبيا، وذلك بزيادة 46 مليونًا عن آخر إيراد حققته القناة قبل الحرب. هذا إضافة إلى استفادة أخرى جراء انخفاض سعر الوارد من القمح وارتفاع أسعار صادراتها من القطن بصفة أساسية والأرز والسكر والبصل والبطاطس.

آمال مصر المقبلة تعتمد إلى حد كبير على النفط وأسوان. تستحوذ إسرائيل على حقول النفط في سيناء إلا أن شركة بان أمريكان المتفرعة عن شركة إستاندردأويل شغلت حقلًا قبالة شاطئ خليج السويس: تقدر احتياطاته ببليون برميل وتضخ فيليب بتروليوم 40 ألف برميل يوميا في العلمين. ويتوقع أن يزيد إنتاج مصر من النفط إلى 450 ألف برميل في اليوم بحلول العام المقبل.

يري المصريون أن سد أسوان العالي، بمساعدة الروس هو أهم إنجاز أنجزه عبد الناصر والذي اكتمل الآن بنسبة 95 %، سيوفر السد الكهرباء للقاهرة بتكلفة أقل من نيويورك، لكن ليست هناك خطط حتى الآن لاستغلال الموارد المعدنية والنفطية لبناء مجمع صناعي. وتعد أسوان أكبر المستفيدين مباشرةً، حيث سيتسع شريطها الخصب بطول النيل ليصل 1.5 مليون فدان والسماح بالزراعة مرتين سنويًا لمساحة تبلغ 400 ألف فدان. هذه الزيادة في المساحة سيلتهمها التزايد المريع في السكان. ففي هذه الفترة تزايد عدد السكان من 21 إلى 33 مليون نسمة ومن المتوقع أن يرتفع بهذا المعدل إلى 50 مليون بحلول 1980.

يعتبر الفدائيون الفلسطينيون البديل الذي يشغل عواطف الجماهير العربية. حتى لم ينجح هذا البديل في إثارة سكان الضفة الغربية المحتلة، ومن الناحية العسكرية لا يمثلون الآن لإسرائيل سوى صداع خفيف. وهناك إقبال شديد على الالتحاق بركابهم، حتى أنهم يزعمون أن لديهم معايير تجنيد تفوق معايير الجيوش العربية.

تزايد أعدادهم هذا سيكون خطرًا أكبر على الحكومات العربية من على إسرائيل وهذا ما يدركه كل حاكم عربي تمام الإدراك. تقوم سوريا بتدريب قوات الصاعقة داخل أراضيها وترسلهم إلى الأردن لمهاجمة إسرائيل من هناك أو من لبنان. تحيط العراق معسكرات الصاعقة بوحدات من الجيش للحماية. أما الجزائر فتقدم دعمًا بلا حدود لهم، لأنها في مأمن من إسرائيل التي تبعد عنها 1350 ميلًا.

لا يسمح للفدائيين بملاذ كهذا المشار إليه أعلاه في الأردن، حيث يقع مقرهم وينطلقون منه لشن معظم الغارات. والضفة الشرقية لنهر الأردن تقع في المنطقة الفاصلة، حيث تم تدمير معظم البيوت الريفية فيها بسبب غارات الطائرات الإسرائيلية. يشهر الفدائيون أسلحتهم الكلاشينكوف في شوارع عمان وهي جاهزة للضرب وذلك يعد تحديًا للاتفاق بين قادة الفدائيين والملك حسين، الذي يقضي بالخضوع للقانون المدني. وفي نهاية المطاف يتعين على الملك حسين أن يواجه الخيار القاسي، بين تدمير إسرائيل لمملكته إذا لم يلجم الفدائيين أو الحرب الأهلية مع الفلسطينيين إن أقدم على ذلك.

الفدائيون المشتبه فيهم، تحت حراسة الجنود حافزهم الأول هو الكراهية.

حيرة الملك حسين هذه هي درس حي لأي بلد يفكر في ترك الفدائيين يعملون من داخل حدوده، ومع ذلك فإن لبنان أكثر البلاد العربية سلمًا ينحدر إلى نفس المصير. إذ تقدمت حكومتها منذ ثلاثة أسابيع بالاستقالة عقب المظاهرات التي قام بها الفلسطينيون والطلبة الذين طالبوا بحرية العمل للفدائيين.

في الأسبوع الماضي كان لبنان من دون حكومة، حيث سعى الدبلوماسيون للتوصل إلى حل وسط يسمح للبنان بدعم هذا الكفاح العادل داخل أراضيه، لكن دون جدوي، وبعبارة أخرى دون إثارة غضب إسرائيل. قامت قوات الصاعقة في الأسبوع الماضي بمهاجمة موقع للشرطة ومفترق رئيسي في جنوب لبنان، ودارت معركة قصيرة أودت بحياة جنديين لبنانيين وسبعة من قوات الصاعقة. توجه قائد حركة فتح إلى بيروت للتفاوض على وقف إطلاق النار. وبصرف النظر عما يسفر عنه هذا المسعي، فإن لبنان سوف يكون قطعًا الخاسر.

يستمد الفدائيون قوتهم بصفة أساسية من اللاجئين الفلسطينيين البالغ عددهم 1.3 مليون نسمة ولديهم القوة السياسية لتهديد اتفاق السلام الذي لا يتضمن أي عرض منصف يعرض على اللاجئين.

الفلسطينيون من أكثر الشعوب مرارة في العالم، وهذا له ما يبرره ففي أعقاب حرب 48 تم تشتيتهم في أرجاء العالم العربي. يشغل المتعلمون والأذكياء منهم مناصب في مختلف الحكومات والجامعات العربية، لكن غالبية الفلسطينيين يعيشون في معسكرات قذرة وترعاهم الأمم المتحدة وتقدم لهم غذاء 7 سنتات في اليوم، كما يستغلهم أيضًا السياسيون العرب كأتباع، لا سيما جمال عبد الناصر، لتبرير الكفاح المستمر ضد إسرائيل. ظل الدبلوماسيون يناقشون طيلة 20 سنة وضع مختلف الخطط لإعادة التوطين وتم إشراب الأطفال الفلسطينيين الكراهية لإسرائيل وزرع بداخلهم العزم على استعادة الأرض بالقوة كما أخذت بالقوة. وحين بلغ هؤلاء الأطفال سن الشباب عانوا الإهمال والتحقوا بالفدائيين.

نداء الثأر على لسان الفدائيين، وتشدد الجيش المصري لهما صدي في إسرائيل التي أنهت حرب الأيام الستة بحدود آمنة ومميزات جغرافية إستراتيجية لم تكن لديها من قبل. الجيش الإسرائيلي أقوى مما كان في 67 ولا يزال أعداء إسرائيل العرب منقسمين. علاوة على ذلك أحدثت الحرب ازدهارًا اقتصاديًا أفضي إلى ارتفاع الدخل القومي بنسبة 25 % بنهاية هذا العام، وأدى إلى وحدة سياسية في إسرائيل ازدادت لحمةً على يد رئيسة الوزراء جولدا مائير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



درس حي في وسط هذه الحيرة

إسرائيل المحصنة

لقي 274 جنديًّا إسرائيليًّا حتفهم في السنتين الماضيتين، وتوفي 47 مدنيًا كما جرح 1343 على يد العرب، وتتعرض البلد كل يوم تقريبًا إلى هجمات لم تستطع الضربات الانتقامية الإسرائيلية إيقافها. يتحدث الإسرائيليون في المقاهي والمستعمرات عن جولة رابعة ويقللون من بروباجاندا الحرب العربية الرامية فقط إلى تخويف دبلوماسي القوى الكبرى. ينظر الإسرائيلون في دولتهم المحصنة بعين الشك والريبة إلى كل المحاولات الخارجية الرامية إلى التخلي عن تلك الأراضي المحتلة التي توفر أهم قدر من الأمن إن لم يكن السلام. الثمن الذي تطلبه إسرائيل للانسحاب من الأراضي المحتلة غير واقعي، شأنه شأن ما يطلبه العرب من تخلي إسرائيل عن الأرض بلا مقابل. أعلنت جولدا مائير في الأسبوع الماضي تبريرًا لموقف بلدها من المفاوضات وجهًا لوجه أنه حينما يتغلب الممثلون العرب عن تلكؤهم ويصلون إلى مرحلة المفاوضات المباشرة، فإن التغير سيكون عميقًا إلى درجة لا يتصورها هم ولا شعوبهم بالنسبة لمزايا السلام لهم ولإسرائيل.

يختلف الموقف التفاوضي الإسرائيلي 180 درجة عن الموقف العربي، في حين حاولت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حلحلة الوضع والتقريب بينهما. وتباين الآراء يفضي إلى تعقيدات في قضايا أربع:

- الأراضي المحتلة

وافقت روسيا من الأصل العرب على أنه يتعين على إسرائيل الانسحاب إلى الأوضاع السابقة للحرب قبل بداية المفاوضات، وإن كانت تبدي أنه يكفي إعلان إسرائيل عن نية الانسحاب في البداية. وإسرائيل -إدراكًا منها بأن إعادة سيناء سوف يرفع من قدر عبد الناصر، ستتخلى عن الأرض في مقابل المحادثات المباشرة مع العرب.

- المعاهدات

صوت رئيسة الوزراء مائير أعلى من صوت سلفها ليقي إشكول، بالنسبة لضرورة المحادثات الثنائية ومعاهدة رسمية كوسيلة وحيدة لتحقيق سلام دائم. بالنظر إلى تعنت العرب تضغط الولايات المتحدة على إسرائيل لقبول نوع آخر من الحل الدبلوماسي حيث تقترح تحديدًا إعلان حالة من السلم تستلهم ما حدث في 1956، بإضفاء الطابع الرسمي على إنهاء الأعمال العدائية اليابانية -الروسية عقب الحرب العالمية الثانية. بمقتضي هذا الإعلان

يقر المتحاربون- كل على حدة للأمم المتحدة بأنهم في حالة سلام مرة أخرى.

-اللاجئون

يظن الملك حسين أن عددًا قليلًا من الفلسطينيين سوف يعود إلى الدولة اليهودية إلا أن الولايات المتحدة تحث على تصويت خاص بتوفير حق العودة أو التعويض. ما من شك أن الفدائيين سوف يفرغون التصويت من معناه، بدفع عدد كبير بالتصويت بنعم لكي يثبتوا أن القضية الفلسطينية لا تزال متفجرة ويهددون بإغراق إسرائيل بالعرب.

- القدس

تتعرض المدينة التي تقدسها الأديان الثلاثة لخطر أن تصبح عقبة غير مقدسة لأي حل. تنوي إسرائيل الاحتفاظ بها، لكن ستسمح للعرب بزيارات الأماكن الإسلامية المقدسة، ويطالب الملك حسين بعودة القطاع الأردني، وسيسمح لليهود بزيارة حائط المبكى. ويقترح السوفيت بترك مسألة وضع القدس للأطراف المعنية لتسويتها بأنفسهم.

إصرار إسرائيل على الاحتفاظ بالمدينة، وجزء من الأراضي المحتلة، يثير في أذهان الكثيرين حقيقة ما تريده إسرائيل. فالإسرائيليون على ما يبدو لا يرغبون في تسوية توافق عليها القوتان العظيمان، كما لا يرغبون في حرب أخرى. وتهدف سياستهم -كما أوضح حديثًا وزير الدفاع موشي ديان- إلى إيجاد حقائق جديدة من خلال الاحتلال، ومع مرور الوقت، وهذا معناه إجبار العرب بضغط الاحتلال على تغيير مواقفهم، وهذا بعيد المنال. وهذه الحقائق الجديدة بالنسبة للكثير من الإسرائيليين تعني سقوط ناصر، الذي يعتبرونه عقبة في وجه السلام.

تقول إسرائيل قولًا وجيهًا وهو؛ أن أيًّا من يخلف عبد الناصر -بصرف النظر عن تشدده- لن يكون مدينًا للروس، ولن يتمكن بالضرورة من مطالبتهم بالمساعدات. لكن إن غابت الرؤية بشأن من سيخلفه سيكون البحث عن تسوية أساسه ما الذي ستتخلى عنه إسرائيل، وما الذي يستطيع ناصر إقناع الجيش به ويرضي الدول العربية. تواصل إسرائيل الاحتفاظ بالأراضي المحتلة ما دام ساد الجمود، وهو ما تستفيد به إسرائيل، ويتمتع في ظله ناصر بمساعدات خارجية ويبقي في السلطة بحجة؛ أن العدو الإسرائيلي يقف على أبواب مصر، وهذا وضع بالغ الحساسية بالنسبة لجمال عبد الناصر الذي يشبه من يسير في السيرك على سلك مشدود فقد يقع أو يرمي بنفسه.

غير أن الصراع في نهاية المطاف ليس صراعًا على الأرض أو صراعًا عرقيًّا أو دينيًّا، إنما صراع ثقافات، فالعرب متأخرون غاية التأخر عن الإسرائيليين من أصل أوربي في التعليم ومهارات الإدارة الحديثة والتكنولوجيا. فالنزاع بين أمة غاية في التقدم وأخرى في الحضيض. قاد عبد الناصر ثورته في 1952، بهدف تخليص مصر من حكم فاسد، وسيطرة أجنبية دامت 4000 سنة، وكذلك إدخالها إلى عالم الحداثة عن طريق الوسائل الاشتراكية البدائية. ولم يتمكن من تحديث بلده في 17 عامًا، بل خسر حربين وافتقد الثقة لدى الإسرائيليين. يدرك العرب تمامًا الهوة التي تفصلهم عن الإسرائيليين، ووعود ناصر وآماله التي لم تتحقق هي بمثابة مأساة سنواته في الحكم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



دور ناصر

قد لا يكون ناصر قادرًا على تحقيق التغيير للعرب، لكنه تغير هو كونه قائدًا للعالم العربي فبعد أن كان تجسيدًا للنضال العربي قادرًا على إخراج الناس إلى الشوارع يطالبون بالحرب، أصبح يتسم ببعض الاعتدال، ويبحث عن مخرج من جولة حربية رابعة، لن يتمكن من كسبها، وعن مخرج من سلام عبر مكتمل لن يدوم. بمعنى أنه خطا خطوات واسعة نحو حل وسط، وهو على استعداد في نهاية المطاف أن يسلم بحق إسرائيل في الوجود بين العرب.

بمعني أو بآخر أضحت إسرائيل الآن هي الجانب المتلكئ، كانت سترضى بما يعرضه العرب لولا حرب الأيام الستة. لكن لم يحدث في التاريخ أن كسب بلد حربًا دون أن يحصل على غنائم. وهذا النصر زاد من شهية الإسرائيليين على المزيد وزيادة المخاوف لدى العرب بأن الإسرائيليين مصرون على التوسع وعلى أن يكونوا قوةً إمبريالية في المنطقة. ويرى بعض الدبلوماسيين جدوى إعلان إسرائيل استعدادها من حيث المبدأ للانسحاب من الأراضي المحتلة شريطة أن تتم تلبية احتياجاتها الأمنية. وسيجدي أيضًا أن يقروا بمأساة اللاجئين الفلسطينيين.

تنعدم الواقعية كثيرًا لدى طرفي النزاع. يتصور الإسرائيليون أنهم لو ترك لهم الأمر فإنهم سيتمكنون في نهاية المطاف من إجبار العرب على قبول شروطهم. وتلك ثقة اكتسبوها من غزواتهم المتتالية، كما أنهم يتوقعون سقوط حكم ناصر، أعدي أعدائهم في نهاية الأمر. لكن قد يكون رأيًا قصير النظر، لأنه ليست هناك سبيل لتحقيق سلم دائم إلا مع منافس قوي.

يظل ناصر هذا المنافس الأقوى، وهو الرجل الوحيد الذي بمقدوره صنع السلام، نيابة عن العرب، ولجم الفدائيين قبل أن يستفحل أمرهم. كما أنه لا يزال يعيش وهم القيادة وخرافتها، وإن كان لم ينس الدرس الذي لقنه إياه الإسرائيليون. وعليه وبضغط من القوى الكبرى وبعض التنازلات الإسرائيلية، قد يتمكن جمال عبد الناصر من توفير الوسيلة لإسرائيل والعالم للوصول إلى حل في الشرق الأوسط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الشرق الأوسط بعد عبد الناصر

(مجلة لايف: ٩ أكتوبر ١٩٧٠)

9 أكتوبر 1970

صرخة الحزن العربي

ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التلفاز في الليلة الأخيرة المشئومة لحرب الأيام الستة في عام 1967، الذي انكشفت فيها الآلة العسكرية المصرية، وتحطمت الطائرات وانقلبت الدبابات على ظهورها في الصحراء، وانسحب الجنود المصريون حفاة الأقدام من قناة السويس إلى القاهرة. جلس الجميع في كل مكان، وفي المقاهي، يحتسون الشاي، وفي الشقق الفارهة على النيل أمام التلفاز الذي عرض في البداية صورًا لعبد الناصر، وهو يستعرض الجنود ويرتدي نظارته الشمسية، ثم وهو في مركب سريع.

يحمل المصريون صورة زعيمهم المتوفَّى، ويبكونه بهستيرية شديدة، لقد حول المصريون القاهرة إلى مدينة للعزاء

زيَّنت صورة جمال ذات الهيبة الفرعونية البيوت والمحال في بلد، هو أصل الحضارة. أما اليوم، فنحن أمام إنسان آخر مكسور حزين نادم يتنحى من الرئاسة، ويطلب من الله المغفرة.

على إثر ذلك سقط البلد في ظلام دامس، وكأن شخصًا قد ضغط على زر فسقط البلد في بئر من الخوف. استقال ناصر، وأظلم العالم ثم تعالى الصراخ دون أن ندري، وجاء من بعيد ثم سرعان ما عمَّ الأحياء ومصر أجمع ونادى الناس "ناصر.. ناصر..".

حين واتته المنية في الأسبوع الماضي، وهو في الثانية والخمسين، بسبب سكتة قلبية، تجلى تأثيره على الناس مرة أخرى في مصر والعالم العربي. غصت القاهرة بمئات الآلاف من المعزيين وأُغمي على النساء، كما كان يحدث حين يلمحونه من قبل. لصق الكبار والصغار صوره على أجسادهم. نعته المآذن واستمتع الناس بحديثه على نحو منقطع النظير وراقت لهم وعوده البراقة حتى إن كانوا يدركون أنه لن يوفي بها. فقد وحد البلد وبنى السد العالي وحسن التعليم والصحة. ولا شك أنه كان يبغي الكثير، لكن أعاقته إسرائيل. أقسم أنه سيدخل تل أبيب، لكنه مات والحرائق مشتعلة في الشرق الأوسط. مات وليس هناك من يخلفه، وترك وراءه تركة من الريبة والمؤامرات، شأنه في ذلك شأن الحكام المصريين طيلة 5000 سنة.

في عام 1954 أدى جمال عبد الناصر مناسك الحج مع الحجاج المسلمين. وقبلها بعامين دبر الانقلاب الذي أطاح بالملك فاروق. التف القاهريون حول عبد الناصر وأخذوه بالأحضان حين تسلم السلطة كاملة. فقد قضى على الإقطاع وحصل على وعد من إنجلترا بالانسحاب من السويس.

عُرف عنه منذ البداية أنه سيد وفتي من أعالي الصعيد، يتحدث العربية لا الإنجليزية أو الفرنسية، هذا هو وجه الثورة التي قادها، التي تجعل المصريين فخورين بمصريتهم. قال لمحرر مجلة لايف: "لدينا الكثير من المشاكل، ولذا نطلب العون من الخارج، لكن الأهم أن نعتمد على أنفسنا، فنحن لدينا كرامة".

كان قادة العالم يعرفونه حق المعرفة ما يتمتع به ناصر من دفء وشخصية، خدمة كثيرًا على المسرح العالمي. فقد حضر هو واثنان من قادة العالم الثالث هما نهرو من الهند ويونو من برما احتفالات السنة الجديدة في برما.

التقي ناصر عشية أزمة السويس في 1956، برئيس وزراء بريطانيا أنتوني إيدن (على اليمين) والسفير البريطاني. حين أمم ناصر القناة أرسلت بريطانيا وفرنسا قواتهما إلى القناة، وغزت إسرائيل سيناء، لكنهم سحبوا قواتهم بضغط أمريكي سوفيتي. أصبح ناصر بطلًا في الشرق الأوسط وأفريقيا لأنه وقف أمام القوى الاستعمارية.

حافظ ناصر على كرامته وشخصيته وما يتمتع به من دفء، وتغلب على الكثير المشاكل التي كانت كفيلة بإسقاط من هو أمهر منه. فقد أطاح بملك فاسد، لكنه -كعسكري محترف- شهد جيشه يهزم ويذوق الذل ثلاث مرات على يد إسرائيل. وسعى -كقائد عالمي- أن يشكل كتلة للقوى المحايدة لا شرقية ولا غربية، لكن انتهى به المطاف في وضع هش في أحضان الروس. وفي الداخل كان يحلم بالخروج بشعبه من براثن الفقر، لكن الفقر استمر. ورغم ذلك زاده كل إخفاق مكانة في قلوب شعبه الذي كان يري نفسه فيه، ولم يزاحمه أحد في سدة رئاسته للعالم العربي مقطّع الأوصال. بعد عشرة أيام من سفك الدماء في الأردن، لم يكن بوسع أحد سوى جمال عبد الناصر بإقناع عرفات والملك حسين أن يتعانقا كالإخوة مرة أخرى وكان هذا آخر إنجاز له قبل أن توافيه المنية.

في نيويورك في افتتاح دورة الجمعية العامة عام 1960، زار ناصر رفيقه في الثورة فيدل كاسترو. وقد أضحي ناصر الآن قائد مجموعة عدم الانحياز، وفي نهاية المطاف وجد نفسه وكاسترو يبتعدان عن الولايات المتحدة ويلجآن بشكل متزايد إلى طلب العون الاقتصادي والعسكري من روسيا.

الإستراتيجية التي تركها ناصر

ابتزاز الولايات المتحدة بالنفط العربي

لكي تفهم أي بيان يصدره متحدث رسمي بريطاني أو سوفيتي أو مصري أو إسرائيلي، عليك أن تدرك أن الغرض من البيان ليس الإخبار، وإنما تحقيق هدف ما. لا تسل ماذا يعني بل سل لماذ قال ما قال. فتش عن الحافز لا عن المعني.

الرئيس جمال عبد الناصر، لديه النسخة الخاصة به لهذه الحكمة، التي أخذت من نصوص وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. اعتاد ناصر أن يقول: "لا بد أن أضع نظارة أخرى قبل التفكير في هذا الأمر. يجدر بنا أن نملي الفكر في كلماته هذه. نحن الذين كنا نحاول أن نتصور ما يضمره حين موته، ونخمن الأهوال التي تنتظرنا بعد اختفائه من مسرح الأحداث. نعم أهوال، لكن ليست كتلك التي تنبأ بها كتاب الرأي والدبلوماسيون الذين يصدقون التهديدات والوعود التي يطلقها القادة في الشرق الأوسط. لا ترى هذه الأهوال المحدقة إلا بمنظور لا يتوفر إلا لكبار المراقبين لجمال عبد الناصر.

الناصرية كفكر حتى إن كانت غير موجودة خارج مصر ستستمر. منذ مرضه في سبتمبر 1969، هناك لجنة تدعم جمال عبد الناصر مؤلفة من ضباط الجيش، تسيطر تمامًا على القوات المسلحة، ومن ثم على أرجاء مصر. قد تدب الخلافات بين أعضاء هذه اللجنة، لكن الآن ينبغي أن يروا الوضع في مصر -على حد قولهم- كما رأه عبد الناصر عشية وفاته. وسوف ينظرون إلى الوضع من منظور ناصر.

اعتاد وزير الخارجية الأمريكي، جون فوستر دالاس، أن يقول: "لذلك علينا أن نفهم نظرة ناصر للعالم. ولو أنه اقتصر على مصر، وتوقف عن التدخل في شئون الدول العربية الأخرى فسنعطيه كل المساعدات التي يطلبها". كان ناصر يدرك الهدف الذي يرمي إليه دالاس، وهو إبعاد مصر عن الشئون العربية، وإن كان يرى أنه كلما أثرت مصر على الأوضاع في العالم العربي، ازدادت المساعدات التي تحصل عليها من الولايات المتحدة.

وناصر نفسه تحدث بطريقة وتصرف بطريقة أخرى، وكان يرتفع صوته بالحرب على إسرائيل في حين يعرف كبار المراقبين أنه لا يضمر ذلك. وقبل مبادرة روجر بوقف إطلاق النار، في حين وضح عدم وجود أي نية للسلام لديه. ودوافعه بصفة أساسية كدوافع المصريين لا تتغير، بصرف النظر عن من في السلطة في مصر. المصريون ليسوا عربًا. لا بل هم عرب حين يواتي هذا أغراضهم، ويعادون إسرائيل إن كان ذلك مواتيًا لأغراضهم.

هذه هي الصيغة التي يسترشد بها ناصر في تصرفاته، التي قد يورثها لمن يخلفه:

1 - اجعل القوتين العظميين تتنافسان على مجاملتك (الحياد الإيجابي أكثر فائدة من الانحياز لطرف أو لآخر).

2 - شكل اتحادًا من دول متشابهة تطلب خدمات من الدولة العظمى (فلو حصلت واحدة على منفعة تخيل ماذا يأخذه الجميع).

3 - استبعد المخالفين (فاتحاد الدول شأنه شأن نقابات العمال لا يقبل من يخرج عن الخط).

4 - تذكر أن الخطر المشترك هو أسهل طريقة لفرض الهيمنة (لهذا تحتاج مصر إلى إسرائيل لتحقيق هذا لغرض).

5 - تذكر أن الهدف الأسمى هو تحسين الوضع في مصر، وما عد ذلك ليس إلا وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

يسهل على المرء أن يتصور العنت الذي لاقاه عبد الناصر في العام الماضي، إذا أدرك مدي أهمية هذه المبادئ بالنسبة له، فقد كان هو والسوفيت في جانب والأمريكيون وإسرائيل في الجانب الآخر، وانتهت لعبة ضرب قوى عظمى بالأخرى. على صوت السوريين والعراقيين عن تحرير الوطن الفلسطيني والوحدة العربية، غير أنهم كانوا تقريبًا في سلام مع إسرائيل (على الأقل لم تكن لديهم نية على ما يبدو من أعماله للحرب، وانخرطوا في مهاترات جعلت الوحدة العربية أمرًا مستحيلًا. واصل المحاربون الفلسطينيون علو الصوت والادعاء إلا أن جهودهم الحربية ضد إسرائيل لم تتعد كونها مجرد منغصات لها في أفضل الأحوال. وفي ذلك الحين كانوا يلحقون ضررًا شديدًا بأنفسهم، وبمختلف الحكومات العربية: قال لي ناصر على سبيل المثال، إن عدد القتلى العرب على يد العرب يزيد عشرة أمثال ما قتله العرب من الإسرائيليين منذ 1967، وذلك حسب أكثر الحسابات تحفظًا. وخرج المحاربون الفلسطينيون عن نطاق التأثير المصري أو السوفيتي.

فبناءً عليه، وضع ناصر إستراتيجيته. وعقب سلسلة من الاجتماعات لجمع شمل العرب على ما يبدو في حملة واحدة ضد إسرائيل، تبين عبثية هذا المسعى فسعى سعيًا حثيثًا لجمعهم في جبهة ضد الولايات المتحدة. اعترف لي أحد المسئولين المصريين أنه منذ منتصف عام 1969، تبين أن الولايات المتحدة هي العدو (علمًا بأن كلمة عدو بالنسبة للمصريين قد تعني منافس أو هدف) ذلك لأن الهدف الحقيقي ليس الحرب، إنما المناورة للحصول على إمتيازات لمصر من الولايات المتحدة.

ولهذا حين التقى القادة العرب في الرياض أو القاهرة أو طرابلس أو أي مكان آخر كانوا يتداولون في العلن عن إسرائيل، أما إذا تحدثوا عن الولايات

المتحدة فيكون ذلك في السر. وفي بداية السبعينيات تبلور برنامج ناصر التالي:

-الخطوة الأولى: تلتئم مصر وليبيا والسودان في وحدة اقتصادية فاعلة على الأقل في أمور البترول، فمصر وليبيا هما الأهم لأنهما تشكلان مساحة جغرافية كبيرة بالنسبة للامتيازات النفطية، وقدرتهما معا على المساومة سوف تكون ضخمة. أكد لي أحد مسئولي شركة ويسترن للنفط في ليبيا، أن الليبيين يمقتون المصريين، ولا يثقون فيهم، ومن غير المحتمل أن يوافقوا على الخطة. وقال لي أحد كبار مسئولي الحكومة الليبية إن المصريين ينتهجون نهجًا ذكيًا هذه المرة. فهم أقنعونا أنهم لا يرغبون أي نصيب من ريع النفط ولا الهيمنة علينا، وأكدوا أننا لو توحدنا في العمل ازددنا فاعلية وكفاءة.

- الخطوة الثانية: إقناع العراق والجزائر بتشكيل اتحاد شبيه بنقابة للدول المنتجة للنفط. ورغم المهاترات التي دارت بين المصريين والعراقيين، عقب قبول ناصر لمبادرة روجر، فإن العرقيين واصلوا الاهتمام بفكرة الاتحاد هذا، وأرجأوا أية قرارات سياسية كبرى حتى يتضح أمره. تأخر الجزائريون في الموافقة إلا أنهم أبدو اهتمامًا. وقبيل موت جمال عبد الناصر كانت الدلائل تشير إلى أنهم على استعداد للانضمام.

-الخطوة الثالثة: تعامل مع الأجلاف، أي السعودية والكويت ومشيخات الخليج الغنية بالنفط، التي من المحتمل أن تقاوم. يرى القادة المصريون أن هذا أمر سهل. تتوقع الصحف الناصرية في بيروت وأماكن أخرى، أن النظام السعودي بشكله الحالي لن يبقي حتى آخر 1970، ويفترض أن يحل محله نظام آخر من الأمراء المنافسين الذين ينظرون إلى الناصرية باعتبارها الموجة المقبلة حتى من دون ناصر، الذين سيتواءمون مع فكرة اتحاد الدول المنتجة للنفط. بمجرد أن توافق السعودية، وهي الدولة الرائدة في شبه الجزيرة، على الفكرة، فإن المشيخات الأخرى لن تتمكن من المقاومة.

- الخطوة الرابعة: واجه أوربا بهذا الاتحاد بما له من مقدرة على الحرب الاقتصادية والتهديد باللجوء إليها لجعل مختلف الدول الأوربية تمارس ضغوطا على الولايات المتحدة، لتحسن التعامل مع مصر. حذر خبراء اقتصاد البترول، ونبهوا إلى احتمال قيام العرب بهذه الحرب الاقتصادية منذ أزمة السويس في 1956. يدفع البعض بأن العرب لا بد أن يبيعوا بترولهم وألّا يشربوه. لكن هذا الدفع يتغاضى عن أن الحرب الاقتصادية ليست بالضرورة المنع الكامل، إنما السحب المباغت أو المؤقت أو التلاعب بالأسعار أو التهديد بذلك. كما أنهم يتغاضون عن أن أوربا مضطرة للإعتماد على البترول العربي، بصرف النظر عن محاولات الاقتصاديين للدفع بغير ذلك.

- الخطوة الخامسة: القيام بشن هجمات مباشرة على الأمريكيين وشركاتهم ومنشآتهم الصناعية، ومؤسساتهم الخيرية في العالم العربي، وأماكن أخرى يستطيع المخربون العرب (وليس المصريون وحدهم) الوصول إليها.

الهدف المتوخى من برنامج ناصر ذي الخطوات الخمس، هو إجبار الولايات المتحدة على انتهاج سياسة أقل حميمية لإسرائيل وأكثر فائدة لمصر، والاستفادة من العلوم الأمريكية والحصول على مساعدة اقتصادية. شهد ناصر صعود الأمريكيين إلى القمر ورفاهية الحياة الأمريكية، واعتبر الروس ثاني أفضل مصدر للمساعدة. بما أن من يخلف ناصر من العسكر، فإن النهج المصري سيكون أقل جراءة وأكثر تحفظًا من ناصر. العسكريون المصريون على عكس عموم الآراء ليسوا متشددين، ذلك لأنهم ذاقوا مرارة الهزيمة مرتين على يد إسرائيل، وهم يرون السوفيت يضنون عليهم بالدعم والسلاح للقيام بعمليات عسكرية ناجحة. الاحتمال الأقرب هو؛ أن من سيخلفه سيرتد إلى برنامج مصر أولًا. ويبدو أنهم يرون كما كان يري ناصر أن مصر لا تستطيع العيش من دون مساعدات اقتصادية ضخمة من الخارج، وأن هذه المساعدات تتوقف على ما لمصر من نفوذ في الأمور الدولية. ومن ثم سيواصلون -قدر إمكانهم- تنفيذ هذا البرنامج الخماسي الذي وضعه ناصر.

ما رأي الحكومات الغربية في كل هذا؟ إدارات المخابرات في هذه البلدان لديها فكرة أفضل عن نيات عبد الناصر، وما من شك أن بإمكانها أن تضع تقديرات سليمة إلى حد كبير عما سيقوم به خلفاؤه. أخبرني أحد الدبلوماسيين الغربيين للتو، أن ما يقلقه حقًا هو؛ أن هذه المعلومات ليست يسيرة المنال. وإننا ينبغي أن ننطر إلى كل هذا من منظور أخر.

نعم. قد يكون. وأميل إلى الاعتقاد بأن المصريين وبقية العرب سوف يبقون على ما كانوا عليه من قبل. يلحقون الضرر بمصالحهم، ولا يعدو أن يكونوا مجرد منغصات للغرب. وإن كنت أشك في ذلك. وأجدني في زمرة العالمين ببواطن الأمور وأرى أن المستقبل محفوف بالمخاطر، وأن العرب سيخلقون مشاكل للمصالح الأمريكية أكثر من الإسرائيلية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متميزون
للكتب النصية

E-Book

لينك الانضمام الى الجروب – Group Link

لينك القنـــــاة – Link

الفهرس..